بسم الله الرحمن الرحيم

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية

تصدر عن

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

العتبة الحسينية المقدسة

العدد الحادي والأربعون

السنة الحادية عشرة (١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م)

رئيس التحرير

الدكتور حاتم كاطع موسى البخاتي

مدير التحرير

الدكتور عدنان جاسم كريم الطائي

هيئة التحرير

أ.د. عبد الجبار ناجي رحيم الياسري..... جامعة بغداد/ العراق

أ.د. محمد جواد محمد سعيد عمران الطريحي ..... جامعة بغداد/ العراق

أ.د. حيدر محمد علي محمد جواد السهلاني ..... جامعة الكوفة/ العراق

أ.د. عادل نذير بيري عزيز الحسّاني ..... جامعة كربلاء/ العراق

أ.د. علي مجيد داود البديري ..... جامعة البصرة/ العراق

أ.د. هادي عبد النبي محمد التميمي ..... الجامعة الإسلامية/ العراق

أ.د. دلال عبّاس ..... الجامعة اللبنانيّة / لبنان

أ.د. نور الدين أبو لحية ..... جامعة باتنة/ الجزائر

أ.د. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي ..... جامعة كربلاء/ العراق

أ.م.د. طلال فائق مجبل جار الله الكمالي ..... جامعة وارث الأنبياء/ العراق

أ.م.د. علي حسن اللواتي ..... جامعة صحار/ عُمان

أ.م.د. خولة بنور ..... المعهد العالي للعلوم الإنسانية/ تونس

أ.م.د. لطفي بن صالح البكوش ..... الجامعة الزيتونية/ تونس

م.د. أسعد علي أحمد السلمان ..... مؤسسة وارث الأنبياء/ العراق

د. ميثم رحيم الربيعي ..... مؤسسة وارث الأنبياء/ العراق

د. رغدان كركح المنصوري ..... مؤسسة وارث الأنبياء/ العراق

د. حيدر خمّاس الساعدي ..... مؤسسة وارث الأنبياء/ ألمانيا

التنسيق والعلاقات العامّة

السيّد صالح محمد حسن التنكابني

السيّد مالك عاشور نعمة البطاط

السيّد حسن محمد رضا الحكيم

المراجعة والتدقيق اللغوي

عصام بدران العلي

معتمد الترجمة الإنجليزية

الشيخ حيدر نجم البهادلي

الإخراج الفني

الشيخ حسين المالكي

السيّد علي حسين الهاشمي

التصميم والجرافيك

عبد الزهرة فرحان الطائي

صادق مصطفى الحيدري

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: ISSN: 978-964-984-240-7

السياسة العامّة لمجلّة الإصلاح الحسيني

مجلّـة (الإصلاح الحسـيني) مجلّـة علمية تختـصّ بالنهضة الحسـينية، تصدر عن مؤسّسـة وارث الأنبياء للدراسـات التخصّصيـة في النهضة الحسـينية، التابعة للعتبة الحسينية المقدّسة.

تُعنى المجلّة بنشر كلّ ما يمتّ بصلة إلى النهضة الحسـينية، وآفاقها المتعدّدة، من خلال تسـليط الضوء على: تاريخها، وتراثها، وفلسـفتها، وإبراز جوانبها: الإنسانية، والاجتماعية، والفقهية، والأدبية، وغيرها من الحقول المعرفية.

تتطلّـع المجلّة لاسـتيعاب جميـع المجالات المهمّة والحسّاسـة في دراسـة النهضة الحسـينية، شريطة أن تكـون البحوث والدراسـات المقدّمة موافقـة لأُصول البحث العلمي، وأخلاقيات النشر المتّبعة في الأوساط العلمية والبحثية.

وعلى هذا الأسـاس؛ تسـتقبل المجلّة من الكتّاب والباحثين الكرام كلّ بحث له صلة بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، على أمل أن تلاحظ سياسة المجلّة المدرجة ضمن النقاط الآتية:

١. أن تكـون البحـوث منسـجمة مـع اختصـاص المجلّـة، وسياسـتها العامّة، وضوابطها المعتمدة في النشر.

٢. يخضـع البحـث المقـدّم للنـشر لعملية تقييم علمـي من قِبل لجنـة مختصّة من المحكّمين العلميّين.

٣. بعـد عملية التقييـم العلمي، وتأييد صلاحية البحـث للنشر، يخضع البحث للتحرير من قِبل هيئة التحرير.

٤. إطـلاع الباحـث على قبول نـشر بحثه أو عدمـه في مدّة أقصاها شـهران من تاريخ استلام البحث.

٥. بعد الموافقة على نشر البحث يُعتبر البحث ملكاً للمجلّة، فلا يحقّ للباحث تقديمه للنشر، أو المشاركة به في أيّ نشاط علمي آخر.

٦. لا يحقّ للباحث سحب بحثه بعد تقييمه من قِبل المحكّمين العلميّين، وتأييد صلاحية نشره من قِبل رئاسة التحرير.

٧. للمجلّة حقّ إعادة نشر البحث في كتاب مستقلّ، أو ضمن كتاب، مع الحفاظ على نصّه الأصلي، وحقوق الكاتب المعنوية.

٨. ليست المجلّة ملزمة ببيان أسباب الرفض فيما لو لم يحصل البحث على درجة القبول المطلوبة.

٩. لا ترى المجلّة نفسها ملزمة بإعادة البحث إلى الباحث، سواء نُشر في المجلّة، أم لم يُنشر.

١٠. تستقبل المجلّة البحوث المكتوبة باللغات الأُخرى غير العربية، وستعمل على نشرها بعد ترجمتها إلى اللغة العربية.

١١. قد تعمد المجلّة إلى ترجمة البحوث المنشورة بلغات أُخرى إلى اللغة العربية، ونشرها في المجلّة، بعد إعلام الباحث بذلك.

١٢. تحتفظ هيئة التحرير بحقّ تعديل أو حذف ما لا تراه منسجماً مع سياسة المجلّة، وأهدافها العامّة، وما يُخالف السلامة الفكرية، والثوابت الدينية.

١٣. يخضع ترتيب البحوث المقدّمة للنشر لاعتبارات فنّية تقتضي التقديم أو التأخير أحياناً.

١٤. تُراعى في أسبقية النشر الأبحاث المشاركة في المؤتمرات أو الندوات أو الملتقيات الفكرية التي تُقيمها مؤسّسة وارث الأنبياء، وذلك بعد تأييد صلاحيّتها للنشر من قِبل اللجنة المعنية بذلك.

١٥. جميع الأفكار والآراء المطروحة في المجلّة تعكس وجهة نظر أصحابها، ولا تُعبّر بالضرورة عن رأي المجلّة.

ضوابط النشر في مجلّة الإصلاح الحسيني

١ . أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلّة، منسجماً مع أهدافها وسياساتها العامّة.

٢ . أن يكون البحث مبتكراً، أو يتضمّن نوعاً من التجديد والإبداع، وأن يحتوي على تطبيقات ونتائج ذات أهمّية على الصعيد العلمي.

٣ . ألّا يكون البحث منشوراً في مجلّة أُخرى، أو أيّ وسيلة من وسائل النشر المتنوّعة، أو مقدّماً للنشر فيها.

٤ . أن يراعي الباحث أُصول البحث العلمي وأخلاقياته، وأن يلتزم بمنهجياته وخطواته المتعارفة على المستوى العالمي.

٥ . أن يحتوي البحث على العناصر الأساسية الآتية: ملخّص، مع كلمات مفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدّمة، ومحتوى، وخاتمة تتضمّن أهمّ النتائج والتوصيات، وقائمة بالمصادر والمراجع.

٦ . ألّا يكون البحث المقدّم للنشر مستلاً من كتاب، أو رسالة، أو أُطروحة لغرض الترقية العلمية، وأن يوقّع الباحث تعهّداً خطّياً خاصّاً بذلك.

٧ . ألّا يكون موضوع البحث مستهلكاً من الناحية العلمية، أو تجميعياً إلى درجة يغيب فيها الحضور العلمي للباحث.

٨ . اعتماد اللغة العلمية الرصينة، والتحلّي بالموضوعية والدقّة المطلوبة في عرض المعلومات.

٩ . ألّا يقلّ عدد صفحات البحث عن (١٥) صفحة، ولا يزيد على (٣٠) صفحة، بمعدّل (٢٥٠) كلمة في الصفحة الواحدة.

دليل المؤلِّفين

تخضع عملية التأليف وكتابة البحوث للمعايير الأخلاقية للبحث والنشر العلمي (*COPE*)، من حيث الأُسلوب، والمنهجية، والمضمون، ولا ينبغي تجاوز هذه المعايير لأيّ سبب من الأسباب؛ فإنّ تجاوزها ينعكس سلباً على المستوى الفكري والمعرفي للبحث؛ الأمر الذي يُعرّض الباحث إلى المساءلة العلمية، والقانونية أيضاً.

ومن جملة هذه المعايير ما يأتي:

١ . على المؤلّف تقديم بحث أصيل ومبتكر قدر الإمكان مطابق لمواصفات البحوث المحكّمة.

٢ . بيان النتائج والمخرجات بشكل صحيح، وذلك عن طريق عرض المقدّمات بشكل منطقي متّسق.

٣ . تجنّب عرض المعلومات أو النصوص أو النظريات المقتبسة من مفكّرين آخرين، أو ترجمة أعمالهم بطريقة توحي إلى كونها من إبداعات الباحث وابتكاراته (السرقة الفكرية)، من دون إرجاع إلى مصادر تلك النصوص أو المعلومات المقتبسة.

٤ . تجنّب الخوض في مسائل بعيدة عن الخلق الرفيع، والذوق السليم، أو بيان معلومات مجانبة للحقيقة، وعدم استخدام أيّ تعبير يحمل بين طيّاته نزعة طائفية أو عرقية أو قومية.

٥ . لا ينبغي للمؤلّف تقديم البحث ذاته إلى أكثر من مجلّة أو فعّالية علمية مشابهة؛ إذ يُعدّ ذلك منافياً لأخلاقيات النشر العالمية، إلّا في حال إجراء تعديلات جوهرية على عنوانه ومضمونه.

٦ . ينبغي للباحث أن يلتزم بتضمين البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي رجع إليها، واعتمدها في البحث، مرتبة في نهاية البحث وفق الصيغة التالية: (عنوان المصدر أو المرجع، اسم المؤلّف، دار النشر، بلد النشر، رقم الطبعة،

سـنة الطبـع)، عـلى أن يكون ترتيـب المصـادر المثبّتـة في هامـش كلّ صفحة بالطريقة الآتية: (اللقب، الاسم، عنوان المصدر: الجزء، الصفحة).

٧ . الاعتـماد عـلى المصـادر الأوّلية المعنية بموضـوع البحث قـدر الإمكان، دون الرجوع إلى المصادر الثانوية.

٨ . على المؤلّف إذا اكتشـف وجود خطأ أسـاسي في بحثه، أن يُشـعر إدارة المجلّة فوراً بذلك؛ كي تتّخذ الإدارة الإجراءات اللازمة بحذف الخطأ أو تصويبه.

٩ . عدم التعريض والإسـاءة إلى الأشـخاص أو الباحثـين، حتى لو كان ذلك في مقام الردّ على شبهاتهم أو إشكالاتهم العلمية.

١٠ . الالتـزام بقواعـد الاقتبـاس والتوثيق؛ فلا بـدّ للباحث مـن الالتزام بوضع علامـات الاقتبـاس المتعارفة لـكلّ نصّ مقتبس مـن مصادر أُخـرى، لكيلا يختلط بنصوص الباحث وأدبياته.

١١ . ينبغي للباحث إجراء تعديلات في بحثه وفقاً لمقترحات لجنة المحكّمين، وفي حـال عدم الموافقة عـلى التعديلات المقترحة، يجب عليـه تقديم تبرير منطقي بأسـباب الرفض، فإن لم يُقدّم الباحث أسـباباً مقنعة تحتفـظ المجلّة بحقّها في عدم الموافقة على نشر البحث.

١٢ . يُكتب عنوان البحث واسـم الباحث باللغتـين العربية والإنجليزية، وتُثبّت جهـات انتسـاب الباحـث (القسـم، الكلّيـة، الجامعـة أو المؤسّسـة العلميـة والبحثية التي ينتمي إليها، المدينة، البلد).

١٣ . كتابة ملخّص البحث (*Abstract*) باللغتين العربية والإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية (*Keywords*)، وتتراوح كلمات الملخّص ما بين (١٥٠ـ٢٠٠) كلمة، عـلى أن يضمّ الملخّص بيان موضوع البحـث، وأهدافه، والمنهج المعتمد، مع ذكـر أهمّ النتائج التي توصّل إليها الباحث، ولا ينبغي الاستشـهاد بمصدر، أو بيان دليل أو شاهد.

١٤ . ينبغي تحديد مشكلة البحث وأهمّيته وأهدافه وتحليل النتائج وتفسيرها في ضوء المنهج العلمي المتّبع.

١٥ . إذا كان البحث مشتركاً بين مؤلّفَين أو أكثر، فلا بدّ من حصول مقدِّم البحث للنشر على موافقة جميع المؤلّفين المشاركين في إعداده وتأليفه قبل تقديمه؛ فإنّ ذلك يُعدّ جزءاً من حقوقهم.

١٦ . لو تبيّن بعد قبول البحث أنّه غير مستوفٍ لشروط النشر، فسيُطلع الكاتب على ذلك، وإذا نُشر ثمّ ظهر بعد ذلك عدم اشتمال البحث على أخلاقيات البحث العلمي، يتحمّل الباحث كافّة التبعات القانونية.

١٧ . يُقدّم البحث مطبوعاً وخالياً من الأخطاء اللغوية والمطبعية قدر المستطاع.

١٨ . يُرسل البحث على قرص مدمج، أو على البريد الإلكتروني الخاصّ بالمجلّة، مرفقاً بالسيرة الذاتية للباحث، وبريده الإلكتروني.

١٩ . تُرفع الملاحظات التي يبديها المحكّم العلمي إلى الباحث؛ بغية إجراء التعديلات التي تُقرّها لجنة التحكيم، على أن يُسلّم الباحث نسخة معدّلة في مدّة لا تتجاوز أُسبوعاً واحداً من حين إبلاغه بذلك.

دليل المحكّمين العلميّين

المهمّة الأساسية للمحكِّم العلمي هي قراءة البحث الذي يقع ضمن تخصّصه العلمي بدقّة فائقة، والنظر في منهجيّته ومنطلقاته الفكرية والمعرفية، والنتائج المترتّبة على ذلك، وفق آليات محدّدة متعارف عليها في الوسط العلمي والبحثي؛ وعليه فإنّ المحكّم العلمي يساعد هيئة التحرير ورئيسها على اتّخاذ القرار المناسب بشأن البحث، كما يُسهم في مساعدة المؤلّف في تطوير بحثه وتحسينه.

بناء على ذلك؛ ينبغي أن يتمتّع المحكّم باستعداد كامل لتحمّل مسؤولية التحكيم من خلال توفّر مواصفات متعدّدة:

١. **التخصّص العلمي**: لا بدّ من تناسب موضوع البحث المراد تحكيمه مع تخصّص المحكّم ومجال بحثه واهتمامه العلمي.

٢. **السرّية الكاملة**: ينبغي للمحكّم الالتزام بمعايير السرّية المتعلّقة بعملية التحكيم، من خلال المحافظة على سرّية المعلومات الواردة في البحث، فلا يحقّ له الإفصاح عنها، أو مناقشتها مع أيّ طرف، باستثناء المرخّص لهم من قِبل رئيس التحرير، فيجب عليه معاملة الأبحاث التي تسلّمها للتحكيم بعد إخفاء اسم الباحث عنه كوثائق سرّية؛ وعليه لا بدّ من تسلّم ملاحظات المحكّم من قِبل مدير التحرير مكتوبة على استمارة خاصّة بالتحكيم.

٣. **الموضوعية**: على المحكِّم تحرّي الموضوعية في الأحكام والنتائج الصادرة عن عملية التحكيم، والتجرّد من أيّ آراء سابقة، أو قناعات ذاتية، أو أذواق شخصية، من شأنها أن تُعكّر صفو العملية التحكيمية، ولا بدّ له من التعبير عن رأيه بنزاهة ووضوح، وتدعيم ذلك بالأدلّة المقنعة، وعدم التمييز بين المؤلّفين على أساس الجنس، أو الأُصول العرقية، أو الاعتقاد الديني، أو المواطنة، أو الانتماء السياسي.

٤. **الأمانة**: على المحكِّم أن ينأى بنفسه عن استخدام المعلومات التي حصل عليها من البحث الذي تمّ تحكيمه لمصلحته الشخصية.

٥. **الدقّة الكافية**: على المحكّم أن يُجهد نفسه في التحرّي عن المعلومات المعروضة في البحث، والتأكّد من خلوّه من الانتحال والسرقة الأدبية أو العلمية، كما يجب عليه أن يدوّن في استمارة التحكيم أيّ تشابه بين البحث الذي تمّ تحكيمه وأعمال أُخرى منشورة يعرفها، علماً بأنّ المجلّة تعتمد برامج فحص الاستلال العلمي؛ للتحقّق من أصالة البحث، وعدم نشره سابقاً.

٦. **الاستقرار النفسي**: لا بدّ للمحكِّم الاجتناب عن التحكيم في حال عدم شعوره بالراحة أو الاطمئنان النفسي؛ الأمر الذي يؤثّر سلباً في نتائج التحكيم ومخرجاته، وعليه إعلام مدير التحرير في حال عدم استعداده لتحكيم البحث المقدّم إليه لأيّ سبب من الأسباب.

٧. **التقيّد بالوقت المحدّد لعملية التحكيم**.

وفي ضوء ما تقدّم؛ فإنّ نتائج التقييم العلمي والتوصيات المرفقة يتمّ اعتمادها بشكل أساسي في قرار قبول البحث للنشر في المجلّة أو عدمه.

معايير التحكيم

عادةً ما يتّبع المحكّمون العلميّون في تقييم البحوث والدراسات العلمية المقدّمة إلى (مجلّة الإصلاح الحسيني) مجموعة من الضوابط، من جملتها:

١. تناسب العنوان مع المعنون.

٢. اشتمال البحث على منهجية عرض مكتملة: (ملخّص، مع كلمات مفتاحية، مقدّمة، محتوى، خاتمة، قائمة بالمصادر والمراجع).

٣. تناسب المقدّمة مع المحتوى.

٤. ارتباط المكتوب بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

٥ . الترابط المنطقي بين العناوين.

٦ . المستوى اللغوي المطلوب في البحث، والتزام الباحث بقواعد النحو والإملاء.

٧ . مراعاة اللغة العصرية في عرض المعلومات.

٨ . الالتزام بأُصول البحث العلمي.

٩ . التجديد، والإبداع، والإثارة العلمية.

١٠ . تحديد قيمة المصادر المعتمد عليها.

١١ . تحديد نوع البحث بحسب محتواه، وتصنيفه إلى: علمي أصيل بامتياز، أو أصيل نوعاً ما، أو تلفيقي، أو تجميعي.

١٢ . تقييم النتائج التي توصّل إليها البحث، وبيان قيمتها ودقّتها.

١٣ . تشخيص ما إذا كان ملخّص البحث باللغة العربية والإنجليزية كاشفاً بشكل عامّ عن مضمون البحث ونتائجه.

١٤ . الكشف عن مستوى الاستلال العلمي في البحث، وتحديد نسبة الاقتباس.

١٥ . ملاحظة عدد صفحات البحث؛ للتأكد من كونها وفق الضوابط المعتمدة في المجلّة.

مراكز التوزيع

* العراق/ النجف الأشرف: شارع الرسولﷺ ـ المعرض الدائم للعتبة الحسينية المقدّسة.

* العراق/ كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.

* إيران/ قم المقدّسة: شارع معلّم ـ سوق ناشران ـ معرض العتبة الحسينية المقدّسة.

المحتويات

افتتاحية العدد

زيارة الأربعين علائم التميّز وسمات التفرّد

رئيس التحرير ١٩

ملف العدد
زيارة الأربعين... أبعاد ودلالات (١)

زيارة الأربعين دراسة فقهية في خصوصية الاستحباب

الشيخ كاظم القره غولّي..... ٢٧

أثر المنهجيّات في نهضة المعرفة الاجتماعية (مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام نموذجاً)

د. الشيخ غالب الناصر..... ٦٣

نصّ زيارة الأربعين دراسة في البعد التوثيقي والدلالي

د. الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي ٩٥

الأبعاد الاجتماعية والتربوية لمسيرة زيارة الأربعين

الشيخ عبّاس علي الصائغ البحراني ١٣٥

زيارة الأربعين وسُنّة الهداية الإلهية دراسة في الأهداف والدلالات

أ.م.د ناهد الشماسي ١٦٧

معايير قبول نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام (زيارة الأربعين نموذجاً)

د. السيّد زين العابدين المقدّس الغريفي ٢٠٣

دور زيارة الأربعين في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلّية التربية في جامعة ميسان

أ.د. نجم عبد الله غالي الموسوي ٢٤١

آداب المشي إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين

السيّد حسين الهاشمي التنكابني ٢٧٩

دراسات حسينية

نهضة الإمام الحسين عليه السلام وفق القانون الدولي

د. الشيخ رافد عسّاف التميمي ٣٠٥

العلاقة بين أهل البيت عليهم السلام وباب حطّة (الإمام الحسين عليه السلام أُنموذجاً)

عمّار عبد الله الجويبراوي ٣٣٣

سيميائية الذهن في خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

م.م. كوثر عاشور عبد الحسين الكعبي ٣٦٣

افتتاحية العدد

زيارة الأربعين

علائم التميّز وسمات التفرّد

زيارة الأربعين
علائم التميّز وسمات التفرّد

رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من المسلّم على وفق معطيات الأدلّة أنّ لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مطلقاً أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، وآثاراً دنيوية وأُخروية، وفضيلة قلّ نظيرها من بين العبادات في منظومتنا الدينية، هذه الأدلّة التي جاءت ضمن حشد هائل من الروايات والبيانات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وكثير منها جاء بأسانيد وطرق صحيحة ومعتبرة في واحدة من الظواهر الدينية الفريدة التي استوقفت العلماء والباحثين، وتتطلّب مزيداً من الدراسة والبحث؛ إذ يجد المتتبّع لهذه الروايات أنّ هذا الأجر والثواب والآثار والمقامات التي أُعدّت لزائر الإمام الحسين عليه السلام امتازت بأُمور عديدة:

منها: الكثرة الكاثرة من الآثار والعطايا.

ومنها: التنوّع الواسع بين ما هو دنيوي وأُخروي، وبين ما هو مادّي تكويني ومعنوي.

ومنها: التفاوت الكبير الذي تحمله هذه الروايات؛ إذ حمل بعض الروايات والنصوص آثاراً ومقامات تختلف عن الآثار والمقامات التي جاءت بها روايات أُخرى؛ ممّا قد يبدو تضارباً بينها في الوهلة الأُولى، ولكن لا بدّ من أنّ هناك أسباباً وعللاً أُخرى وراء هذا الاختلاف والتفاوت، لعلّ من بينها نيّة الزائر ومقدار معرفته بمقام المزور.

كما أنّ لنا أن نستنتج من خلال الآثار والمزايا المترتّبة على بعض الزيارات المخصوصة أنّ بعضها استحوذ على نوع من الأجر والثواب والمقامات العالية، ما جعلها في الصدارة من حيث الفضيلة والمنزلة، كزيارة عاشوراء، وزيارة يوم عرفة في التاسع من ذي الحجّة، وزيارة النصف من شعبان، وغيرها من الزيارات المخصوصة، وهذا التميّز في الأجر والفضل تتدخّل فيه عوامل عدّة، لعلّ من أهمّها خصوصية الزمان؛ إذ ورد في استحباب هذه الزيارات أن تكون في وقت معيّن قد حدّدته الروايات، ما يؤشّر إلى أنّ الزمن له دخالة في حصول الأجر والثواب المعيّن، وبالتالي تكون لهذه الزيارة فضيلة ومنزلة تميّزها عن غيرها من الزيارات.

وزيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر المعروفة بزيارة الأربعين، وإن لم تحظَ بكثير من الروايات والبيانات المنوّهة بفضلها وأهمّيتها بالقياس إلى أخواتها من الزيارات المخصوصة، إلّا أنّنا يمكننا أن نلحظ أربع علامات أو سمات لهذه الزيارة العظيمة والشعيرة المقدّسة، تجعلها تتفرّد بها عن سائر الزيارات الأُخرى، مع أنّ زيارات الإمام الحسين عليه السلام جميعها فيض وعطاء ورحمة إلهية حبانا الله تعالى بها، وهو باب من أبواب عطفه ورأفته. وهذه السمات والخصائص التي حظيت بها زيارة الأربعين هي:

أوّلاً: أنّها علامة من علامات المؤمن الموالي لأهل البيت عليهم السلام؛ استناداً إلى ما ورد عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام أنّه قال: «**علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم**»[1]. وتفسير زيارة الأربعين بزيارة الإمام الحسين عليه السلام هو التفسير الأقرب للواقع؛ بقرينة المقابلة مع سائر الفقرات الأُخرى، مع دخول الألف واللّام العهدية على كلمة (أربعين)، ففي ذلك إشارة إلى أنّ زيارة الأربعين كانت متعارفة بين محبّي أهل البيت عليهم السلام مواليهم، وهي متداولة بلفظها المعروف.

(١) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص٥٣. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٢٥.

وكون زيارة الأربعين من علامات المؤمن أمر يحتاج إلى نوع من البيان والتوضيح، فزيارات الإمام الحسين عليه السلام تُشارك زيارة الأربعين في كثير من الخصائص، فلماذا لم يرد في حقِّ إحداها أنّها من علامات المؤمن؟

نعم، نحن إذا أخذنا بنظر الاعتبار هذه المسيرة المليونية، وهذه الحشود الهادرة السائرة نحو ضريح المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام يحدوها الولاء والإيمان، التي اقترنت بزيارة الأربعين في العشرين من صفر، فمن الواضح اليوم لكلّ مراقب أنّ هذه المسيرة الحاشدة هي أصدق تعبير على الإيمان بنهج الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، وأوضح علامة للمؤمن الموالي الذي نراه يقطع الفيافي والقفار، ويعبر المحيطات والبحار، ويجتاز الصعاب والأخطار؛ للمثول بين يدي أبي الأحرار سيّد الشهداء عليه السلام، وذلك في مشهد أبهر العالم، وحيّر العقول.

وإذا كانت العلامة المميّزة للمؤمن الموالي هي تولّي أهل البيت عليهم السلام والتبرّي من أعدائهم، فزيارة الأربعين مع هذه الحشود المؤمنة هو تجسيد حي للتولّي والتبرّي وترجمة معبّرة عمّا ورد في نصّ زيارة الأربعين «**اللّهم، إنّي أُشهِدكَ أنّي ولي لمَن والاه، وعدو لمَن عاداه**»[1].

ثمّ مَن يدري؛ لعلّ الإمام العسكري عليه السلام بعلمه الغيبي يشير إلى هذه الأعصار، وهذه الشعيرة التي ربّما ستبقى إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومَن عليها. وعلى كلّ حال؛ فالمؤمنون الموالون لأهل البيت عليهم السلام في كلّ عام في هذه الزيارة يجدّدون العهد مع الإمام عليه السلام، ويثبتون للعالم أجمع أحقّية مبادئه، وإنسانية نهضته، وسموّ تعاليمه.

ثانياً: أنّ زيارة الأربعين مع هذه المسيرة العظيمة، وهذه الأعداد الغفيرة من المحبّين الموالين من كلّ طيف ولون وجنس وقومية، وهم يحثّون الخطى مشياً على الأقدام، ومع التعب والنصب، لهي أروع مثالٍ، وأصدق تعبير على مواساة هذه

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٨٩.

الجموع المؤمنة لأهل البيت عليهم السلام، وعائلة الإمام الحسين عليه السلام وعلى رأسها الإمام زين العابدين عليه السلام والسيّدة زينب عليها السلام، بعد عودتهم من رحلة السبي المضنية القاسية وما عانوه خلالها، حيث تقودهم اللوعة والأسى، وتخيِّم عليهم الذكريات، وهم في طريقهم إلى مرقد أبي عبد الله الحسين عليه السلام والشهداء، مجدّدين الحزن والآلام، ومستذكرين المأساة بكلّ صورها المرّة.

فزيارة الأربعين تحمل هذا الطابع الفريد الذي يميّزها عن باقي الزيارات، فالمؤمنون الزائرون والمؤمنات الزائرات في هذه المسيرة لا تغيب عن بالهم ما عانته عائلة الإمام الحسين عليه السلام والسبايا من الأطفال والنساء، فهم في هذه الزيارة يشاركونهم آلامهم، فتصطبغ مواكبهم ومجالسهم وفعاليّاتهم بالأسى والحزن من خلال البكاء واللطم وإنشاد القصائد والمراثي التي تحكي ما أصاب أهل البيت عليهم السلام من المصائب والمآسي.

فهذه الزيارة بهذا المعنى تُعطي رسالة واضحة عن المواساة والتضامن، ويتمثّل فيها إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام بأنصع صوره، وهي إجابة واضحة وتحقيق لنبوءة النبي صلى الله عليه وآله عندما سألته الزهراء عليها السلام ـ في رواية طويلة ـ عمّن يقيم الحزن والعزاء على ولدها مع غياب أهل البيت عليهم السلام في ذلك الزمان، فقالت: «**يا أبتِ، فمَن يبكي عليه؟ ومَن يلتزم بإقامة العزاء له؟ فقال النبي: يا فاطمة، إنّ نساء أُمّتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كلّ سنة، فإذا كان القيامة تشفعين أنتِ للنساء، وأنا أشفع للرجال، وكلّ مَن بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنّة**»[1].

ثالثاً: تتميّز زيارة الأربعين بأنّها تأتي في هذا الوقت تأسيّاً بالركب الحسيني، أي ركب سبايا أهل البيت عليهم السلام على ما هو المشهور تاريخياً من أنّهم جاؤوا لزيارة

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٩٣.

الإمام الحسين عليه السلام بعد عودتهم من الشام في العشرين من صفر، فالمؤمنون الزائرون والسائرون نحو ضريح أبي عبد الله الحسين عليه السلام يحاكون عائلة الإمام الحسين عليه السلام والسبايا ـ وهم متوجّهون عام ٦١ من الهجرة إلى كربلاء ـ لتجديد العزاء على مصاب الإمام والشهداء من أهل بيته وأصحابه عليهم السلام، ويشاركون جابر بن عبد الأنصاري في زيارته، وهذه ميزة فريدة لزيارة الأربعين لا تشاركها فيها أيّة زيارة أُخرى من زيارات الإمام الحسين عليه السلام.

رابعاً: ومن السمات والخصائص الأُخرى لزيارة الأربعين، كونها اقترنت في هذه الأعصار بالمسيرة المليونية العظيمة، والحشود السائرة مشياً على الأقدام من كلّ حدب وصوب لزيارة كربلاء الإمام الحسين عليه السلام، في ظاهرة فريدة وقف العالم أمامها حائراً، ممّا يظهر فيها من صور التلاحم والتراحم والمواساة والولاء، وما يرافقها من مظاهر الكرم والعطاء في كلِّ شيء، فأفرزت هذه الظاهرة معطيات اجتماعية وفكرية وسياسية وعلى جميع الصعد والأبعاد ما يحتاج منّا وقفة متأنّية لدراستها وتحليلها للإفادة منها.

فلهذه الخصائص والسمات الفريدة لزيارة الأربعين ارتأت (مجلّة الإصلاح الحسيني) أن تُفرد محوراً خاصّاً بهذه الزيارة في أربعة أعداد؛ لتغطية بعض جوانب هذه الشعيرة المقدّسة، وللمساهمة في خدمة النهضة الحسينية المعطاء، فجادت يراع العلماء والباحثين والكتّاب بأبحاث ودراسات قيّمة سيلمسها القارئ العزيز في أعداد هذا المحور من مجلّتنا، ومن الله سبحانه وتعالى نستمدّ العون، وعليه التكلان.

ملفُ العدد

زيارة الأربعين .. أبعاد ودلالات (١)

- زيارة الأربعين دراسة فقهية في خصوصية الاستحباب
- أثر المنهجيّات في نهضة المعرفة الاجتماعية (مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام نموذجاً)
- نصّ زيارة الأربعين دراسة في البعد التوثيقي والدلالي
- الأبعاد الاجتماعية والتربوية لمسيرة زيارة الأربعين
- زيارة الأربعين وسُنّة الهداية الإلهية دراسة في الأهداف والدلالات
- معايير قبول نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام (زيارة الأربعين نموذجاً)
- دور زيارة الأربعين في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلّية التربية في جامعة ميسان
- آداب المشي إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين

زيارة الأربعين
دراسة فقهية في خصوصية الاستحباب

الشيخ كاظم القره غولي

أُستاذ في الحوزة العلمية/ النجف الأشرف

The Ziyara of Arbaeen
– A Jurisprudential Study on the Specificity of Desirability

Shaykh Kadhim al-Qara Ghuli

Senior Lecturer at the Islamic Seminary, Holy Najaf

ملخّص البحث

تُشكّل الأحداث الكبيرة والظواهر الخارجية الهامّة مادّة بحث للناظر، ومن أعظم تلك الظواهر والممارسات الطقسية في زماننا زيارة الأربعين؛ وذلك بتعداد المشاركين فيها، وبمفردات العطاء والإيثار، وبنحو يمكن أن يُقال وبضرس قاطع: إنّها لا نظير لها في العالم.

وممّا قيل فيها: إنّه لا مأخذ لها يثبت شرعيّتها بنحو خصوصية الاستحباب، فجاء هذا البحث لمعالجة هذه الجهة، وقد استدللت على المدّعى بالقرآن الكريم، وبثلاث طوائف من الروايات.

أمّا القرآن الكريم، فبقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1].

وأمّا الروايات؛ فإنّ الطائفة الأُولى منها هي الروايات الخاصّة التي توجد فيها روايتان تامّتا الدلالة، وإن كان في السند مشكلة.

والطائفة الثانية: روايات (مَن سنّ سنّة حسنة..)، وما يرجع إلى معناها.

والطائفة الثالثة: روايات (مَن بلغ...) التي عمل بها أجيال من الفقهاء، ولم يفرّقوا بين كونها واردة عن النبي صلى الله عليه وآله، وبين كونها واردة عن أحد الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وبعضها مطلق من هذه الناحية.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، خصوصية الاستحباب، الشعائر، روايات (مَن بلغ)، قاعدة (التسامح في أدلّة السنن).

(١) الحجّ: الآية ٣٢.

Abstract

Major events and significant external phenomena constitute research subjects, and among the greatest of these ritual phenomena and practices in our time is the Ziyara of Arbaeen. This is due to the number of participants at this Ziyara, the giving, and the selflessness that occurs at it, in such a manner that one can state, with absolute certainty, that this event is without comparison in the world.

One of the opinions regarding this Ziyara is the lack of religious legitimacy legalizing the preferability of the Ziyara. This study aims to answer this claim, and I base my deduction on evidence from the Holy Quran and three categories of narrations.

The Quranic evidence is the Almighty's words, "And whoever honors the rituals of Allah, it is certainly out of the piety of the hearts." (Al-Hajj 32).

As for the narrations, the first category includes specific narrations where two of them are found to be completely indicative, even though there is a problem in their chain of transmission.

The second category of narrations comprises the narrations of "whoever established a good tradition…" and narrations with a similar meaning.

Finally, the third category deals with the narrations of "whoever receives…" that generations of Islamic jurists have heeded and relied upon. These scholars did not differentiate between whether these narrations originated from the Prophet (PBUH&HF) or one of the infallible Imams (PBUT), and some of them do not even mention the origin.

Keywords: Ziyara of Arbaeen, specificity of desirability, rituals, the narrations "whoever received", the principle of "leniency in the evidence of traditions."

المقدّمة

لقد منّ الله تبارك وتعالى على الإنسان بقدرته على التفكير والاستنتاج، وليس ذلك حالاً قابلاً للانفكاك عنه، فيكون ثبوته له عابراً، بل تلك سمته وصفته التي لا تُفارقه؛ ومن هنا فإنّ كثيراً من رؤاه في تبدّل مستمرّ.

فالتفكير يكشف الستار عمّا كان من المجهول، ويصحّح ما كان خطأً من الأفكار والرؤى، والإنسان ناقد لا يملّ، وباحث لا يكلّ، نقده وسعيه للتصويب لا يقف أمامه حتى المقدّس.

إنّ موسى عليه السلام كان نبيّاً من الأنبياء العظام، وحين سافر إلى مجمع البحرين ليلتقي العبد الصالح كي يتعلّم منه، لم يمنعه علمه بمنزلة الخضر عليه السلام من أن يعترض عليه مرّات متعدّدة، مع أنّ معلّمه قد نبّهه أنّه لا يستطيع معه صبراً، وأخذ منه عهداً ألّا يسأله عن شيء حتى يحدِث له منه ذكراً: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا﴾[1].

تتوالى اعتراضات موسى عليه السلام، حتى يقطع الخضر تلك الرفقة، ولو بقي مع الخضر يرى منه مثل ما رآه لبقي الاعتراض والتساؤل مستمرّاً لا يقف عند عشرة أو

(١) الكهف: الآيات ٦٦ ـ ٧٣.

عشرين سؤالاً؛ لبقاء العلّة: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾[1].

هكذا هو الإنسان، سعيه لا يقف على بناء الرؤى، بل يتعدّاه إلى التوثيق والدعم والإسناد، حتى فيما تيقّن منه؛ ومن هنا تراه لا يكتفي بدليل واحد على متبنّياته، بل قد يجمع على أمرٍ واحدٍ سيلاً من الأدلّة، ويسعى لترسيخ ما كان نظرياً منها بالحسّ.

لم يكن في يقين إبراهيم عليه السلام في إحياء الله تعالى للموتى خِلّة، ولا في مستند ذلك علّة، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من أن يطلب دعم النظر العقلي بالحسّ؛ كي يطمئن قلبه، وتسكن نفسه، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[2]، وقصّة عُزَير النبي وموقفه في التساؤل عن كيفية إحياء الله الموتى لها المنشأ.

إنّ منطلق البحث لا يقتصر على حالة الشكّ، فما أكثر ما نفكّر فيه ممّا ليس فيه ذرّة من الشكّ، ومن ذلك ما تقدّم من تساؤلات الأنبياء. كما أنّه ليس عيباً أن نبحث في قضية ما لأنّنا نشكّ فيها، فالشكّ هو الأصل في الأشياء التي ليست بديهية، وكلّ مفردات العلم النظرية تحتاج إلى استدلال؛ لأنّها في الأصل مشكوكة، وكلّ الشؤون والمعارف الدينية إن لم تكن بديهية ـ وما أقلّ البديهيات فيها إن وجدت ـ فهي نظرية تحتاج إلى الإثبات والاستدلال من خلال إعمال الفكر، والفقهاء إنّما يمارسون عملية الاستنباط؛ لعدم العلم عندهم بالأحكام قبل الاستنباط، ومَن قلّدهم من عامّة الناس لم يخرج عن دائرة الشكّ فيما أفتوا فيه، فعلمهم إنّما هو في أنّ متابعة فتاوى الفقهاء مبرئة للذمّة، لا أنّ فتاواهم جاءت طبق واقع الشريعة.

ثمّ إنّ المفردات تختلف في شدّة استدعائها للبحث والتدقيق، فما كان مفردة جانبية في التاريخ، أو حكماً فرعياً في الشريعة، لا يستدعي البحث بقدر ما تستدعيه

(١) الكهف: الآية ٦٨.

(٢) البقرة: الآية ٢٦٠.

حادثة مفصلية في التاريخ، أو ظاهرة متفرّدة، أو قاعدة في الاستنباط.

واهتمام الإنسان بالأشياء يزداد كلّما زادت أهمّيتها أو غرابتها؛ ومن هنا كانت القضية الحسينية محلاً للبحث والتمحيص الكثير في أصل حدوثها، وفي تفصيلاتها، وفي أهدافها، وفي دلالاتها؛ فإنّها واقعة شكّلت بانعكاسها على الأُمّة حادثة مفصلية في تاريخ المسلمين، وبعثت الروح في أُمّة كادت أن تكون حَرَضاً، أو من الهالكين، وفعّلت دور الأُمّة في رسم حاضرها ومستقبلها، ودعمت تأثير النفس اللوّامة على حساب النفس الأمّارة.

ولم تطل الليالي والأيّام حتى قلب صداها أقواماً كانوا يعيشون في أطراف دولة الإسلام في ذلك الزمان، لتأتي الحشود من خراسان التي كانت تمثّل أقصى شرق أُمّة الإسلام: يا لثارات الحسين عليه السلام.

كما تمكّنت من أن تكسر حاجز الزمان، ولا تبقى أسيرة ظرفها، ككثير ممّا سواها من الحوادث، بل اجتازت جميع الحدود بتفاصيلها، وشجاها، وقدرتها الهائلة على تحريك المشاعر، وإحداث التفاعل في النفوس، ولا أدلّ على ذلك ممّا نراه من موقع هذه الحادثة في نفوسنا، وقد فصل بيننا وبينها ما يقرب من أربعة عشر قرناً من الزمان، لم يقلّل ظلم الطُغم الحاكمة من توهّجها، ولم يفقدها تراب السنين عبقها، ولم تمسّ شبهات المشكّكين نصوع بياضها، فكانت كالذهب الذي كلّما ازداد مسّ النار له تطهّر من شوائبه، وازدادت نقاوته، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

وأمّا تفرّدها؛ فلأنّه لم يسبق أن قتلت أُمّة الإسلام سبط نبيّها، وسيّد شباب الجنّة باعتقادها، بالصورة المأساوية التي حدثت، فلا يوم كيوم أبي عبد الله عليه السلام، ولسنا بصدد السرد التاريخي لندخل في جزئيّات تلك الواقعة.

---

(١) التوبة: الآية ٣٢.

وقد أتاحت الدنيا في أيّامنا هذه بعد طول كمد فسحة، وبعد طول غصص نفحة، فكان من أتباع هذا المذهب أن جدّدوا العهد، وأحيوا ما أراد الظالمون إماتته، فجاؤوا بما لم يأتِ به أتباع مذهب أو دين، وفعلوا ما لم يصدر من المتقدّمين والمتأخّرين، والذروة في ذلك زيارة الأربعين؛ ومن هنا كانت هذه الزيارة محلاً للبحث والتنظير، ومن ذلك البحث في شرعيّتها، ونحن في هذه الوريقات بصدد التعرّض لما يصلح أن يكون دليلاً ومستنداً في ذلك.

تأسيس القاعدة

إنّ مقتضى القاعدة والأصل هو عدم خصوصية الاستحباب؛ فإنّ أحكام الشريعة الفرعية لم تكن قد شُرّعت في أوّل الدعوة النبوية، وإنّما شُرّعت تدريجاً؛ إذ لم تكن الشريعة قد حَوَت أوّلاً ما زاد على الأُصول، وينطبق ذلك على الصلاة، والصيام، والزكاة، وبقية الفروع، فلم يكن المسلمون في أيّام الدعوة الأُولى قد كُلّفوا بشيء من ذلك، إلى أن اكتملت غالبية معالم الدعوة.

وهذا ينطبق على تشريع الزيارات المطلقة والمخصوصة، فنحن عند شكّنا في مطلوبية شيء في الشريعة فشكّنا إنّما هو في شيء نتيقّن من عدمه في فترة سابقة، وفي مثله يجري الاستصحاب لإثبات العدم، هذا إن لم نعثر على دليل يمنع الرجوع إلى الاستصحاب، فالأصل ومقتضى القاعدة هو العدم.

وبما أنّه قد قام الدليل على استحباب زيارة الحسين عليه السلام، المتمثّل بالأخبار المتواترة ـ ويكفي في ذلك ما جمعه ابن قولويه في (كامل الزيارات) ـ فلا مجال للرجوع إلى الاستصحاب في أصل استحباب زيارة أبي عبد الله عليه السلام.

وأمّا بالنسبة لخصوصية الاستحباب في ليلة الأربعين ويومها، فالأصل هو العدم؛ وعليه لا بُدّ في إثبات الاستحباب من دليل يسوّغ رفع اليد عن الاستصحاب، إمّا بنفي موضوعه كما لو وجِدَت أخبار متواترة يُقطع بمؤّداها، وأمّا بإسقاط مرجعيّته

كقاعدة تعبّداً كما لو لم يكن الخبر قطعيّاً في دلالته، بل كانت دلالته بالظهور وإن كان قطعياً في صدوره، أو العكس، أو لم يكن قطعيّاً في صدوره ولا في دلالته لكنّه كان حجّة في دلالته.

فالمبحوث عنه في المقام دليل يصحّ الاستناد إليه لإثبات خصوصية الاستحباب، ولو كان ذلك الدليل هو الاطمئنان الحاصل بضمّ القرائن بعضها إلى بعض؛ فإنّ الاطمئنان حجّة بإمضاء السيرة العقلانية التي جرت على العمل به، والركون إليه؛ إذ لم يردع الشارع المقدّس عن العمل بالاطمئنان، لا مطلقاً في جميع الموارد، ولا في هذا المورد الخاصّ.

ثمّ لا يخفى أنّ الإشكال إذا تمّ في إثبات خصوصية الاستحباب، فإنّه لا يعني نفي استحباب الزيارة في الأربعين؛ إذ إنّ عمومية الاستحباب لكلّ زمان لا شكّ فيها، إنّما الكلام في إثبات شيء زائد على ذلك في خصوص الأربعين، وهو الذي عبّرنا عنه بـ(خصوصية الاستحباب)، وسيأتي في طيّات البحث أنّه لا إشكال في استحقاق الثواب على الخصوصية ـ وإن لم تثبت ـ بحكم روايات (مَن بلغ) ببيان سيأتي.

الدليل الأوّل: القرآن الكريم

يتمثّل الدليل القرآني بقوله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1]. ببيان: أنّ الآية الشريفة كانت في مقام التمدّح بمَن يُعظّم شعائر الله؛ إذ قالت: إنّ تعظيمها من تقوى القلوب، والمراد: أنّ ذلك من التقوى، ولكن باعتبار أنّ محلّ التقوى هو القلب أُضيفت التقوى إلى القلوب كما قال الطبرسي في (مجمع البيان)[2]؛ فالآية في مقام الحثّ على تعظيم الشعائر وإقامتها، وتعاهدها هو من تعظيمها.

(١) الحجّ: الآية٣٢.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٧، ص١٥٠.

وقد اختلفت كلمات المفسّرين في تحديد معنى الشعائر ـ التي هي جمع (شعيرة) ـ على أقوال: فعن «**الزجّاج في شعائر الله: أنّها جميع متعبّدات الله التي أشعرها الله، أي: جعلها الله إعلاماً لنا، وهي: كلّ ما كان من موقف، أو مسعى، أو ذبح**»[1]. وكأنّه قد خصّها بأفعال الحجّ.

وعن الشيخ أبي علي: «**وحملوا الشعائر على المعالم، أي: معالم حدود الله، وأمره ونهيه، وفرائضه**»[2].

وبعضٌ قال: إنّها الصفا والمروة والهدي من البُدْن وغيرها. وبعضٌ ذهب إلى أنّ الشعائر هي العلامات المنصوبة للفرق بين الحِلّ والحرم. وذهب الفيروز آبادي في (القاموس)[3] إلى أنّها المعالم التي ندب الله إليها، وأمر بالقيام بها. ويمكن أن يرجع هذا الرأي إلى الأوّل، وغير ذلك.

ويمكن أن يكون منشأ قول مَن ذهب إلى توقيفية الشعائر هو ما ذكره في (القاموس) من أنّها المعالم التي ندب الله إليها، فلا بُدّ من إحراز أنّها قد ندب إليها الشارع المقدّس في رتبة سابقة لتصبح شعيرة.

إنّ أكثر الذين تعرّضوا لبيان معنى كلمة (الشعيرة) قد أرجعوها إلى أبواب شرعية خاصّة، كبعض مناسك الحجّ، أو علاماته، أو موارد في الشريعة قد أمر الله تبارك وتعالى بها، وهذا يكشف عن أنّهم لم يكونوا بصدد تحديد معناها لغةً؛ فالمعنى اللغوي غير مرتبط بوجود حقيقة شرعية وضِعَ اللفظ للحكاية عنها.

ولا شكّ في أنّ للشعيرة معنى قبل أن يعتقد الناس بالشريعة. نعم، هي في الآية قد أُضيفت إلى الله تعالى، ومقتضى الحال هنا أن يكون للشعيرة معنى محدّد في نفسه لا يقتصر على الصفا والمروة، بل إنّ ما دلّ على أنّ الآية الشريفة كانت بصدد الردّ

(١) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج٤، ص٤١٤.
(٢) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٣، ص٣٤٦.
(٣) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج٢، ص٦٠.

على مَن قالوا: إنّ الصفا والمروة ليسا من الشعائر، يدلّ على أنّ الشعائر كان لها معنى محدّد، وكانت لها مصاديق؛ فالآية كانت بصدد تخطئتهم فيما يرتبط بأنّ الصفا والمروة ليسا من الشعائر، وهذه التخطئة في التطبيق، وليست الآية بصدد عملية وضع جديدة لمفهوم خاصّ.

وعليه؛ فمقتضى القاعدة أنّ أيّ لفظ ورد في دليل إن أردنا أن نُحدّد مفهومه رجعنا إلى المعنى المتعارف في زمان صدوره، وهو معنى محدّد قبل نزول الآية؛ لأنّ الآية لم تُحقّق وضعاً جديداً للكلمة، بل استعملتها في معناها المعهود قبل النزول، فإن لم نُحدّد ذلك المعنى رجعنا إلى المعنى اللغوي الذي وضِع له، وبضميمة أصالة التطابق نُحدّد المعنى العرفي في زمان الظهور، فالمطلوب أوّلاً هو المعنى العرفي في زمان صدور اللفظ.

وإذا أردنا أن نُحدّد مصداق اللفظ فعلينا أن نرجع إلى زماننا؛ إذ قد يختلف المصداق من زمان إلى آخر، ففي قاعدة (نفي الضرر) نبحث تارة لتحديد معنى الضرر، وأُخرى لتحديد مصداقه، وربّما كان الدرهم ضرراً في زمان، مع أنّ عشرة دراهم لا تُعدّ ضرراً في زمان آخر، أو حتى مكان آخر.

وبناءً على ما تقدّم؛ فإنّ المرجع في تحديد معنى (الشعيرة) هو المعنى المتعاهد عرفاً في زمان الصدور، ولا شكّ أنّه غير مختصّ بأفعال الحجّ، ولا بأفعال معيّنة ولو كانت أوسع من أفعال الحجّ، بل لا يختصّ بعموم ما كان منها في زمان نزول الآية فقط، ولمّا لم يأبَ الواقع أن تتحقّق مصاديق جديدة كان بالإمكان أن تتولّد شعائر جديدة، والمهمّ أنّها تصل إلى مستوى أن تكون شعيرة في الزمان المبحوث فيه.

ثمّ إذا وردت روايات في تحديد المعنى أخذنا بها، ولكن بشرط ألّا تكون الروايات في مقام بيان أظهر المصاديق أو بعضها، وإلّا بقيت الكلمة على عمومها. ولكن لم ترد رواية في تحديد معنى الشعيرة الواردة في الآية الشريفة ونظائرها، وإنّما وردت في تحديد بعض مصاديق الشعيرة، فعن (الكافي): عن العِدّة، عن أحمد بن

محمّـد، عن الحسـين بن علي، عن بعض رجاله، عن أبي عبـد الله عليه السلام، قال: «**إنّما يكون الجزاء يضاعف فيما دون البدنة حتى تبلغ البدنة، فإذا بلغ البدنة فلا يضاعف؛ لأنّه أعظم ما يكون**، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾»[1].

لكنّها ليسـت في مقام تحديد معنى شـعائر الله، بل استشـهدت بالآية على تعظيم البدنـة، فهـي أجنبية عن تحديد معنى الشـعيرة، وكذلك فيها مشـكلة سـندية؛ لأنّها مرسلة.

وفي صحيحـة معاويـة بـن عمّار، عن أبي عبـد الله عليه السلام: «... **وإنّ المسـلمين كانوا يظنّون أنّ السـعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون**، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[2]»[3].

وهي ليست في مقام تحديد معنى الشعيرة، بل بصدد بيان مصداق لها.

وكيـف كان؛ فلا أجد ما يوجب رفع اليد عن المعنى العرفي لها، وهو العلامة التي تشمل البُدْن ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾[4]، والصفا والمروة ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾.

نعـم، قد يُتخيّل أنّ الكلام السـابق تامّ فيما إذا وردت كلمة الشـعيرة ـ مفردة أو جمعاً ـ ولم تُضَف إلى الله تعالى، ولمّا حصلت الإضافة في الآية كشف ذلك عن تحديد لا يقـف عـلى التضييق بحصّة خاصّة، وهو ما يصدق عليه أنّه شـعيرة الله، بل يتعدّاه إلى مـا يفرضـه واقع كونها مضافـة إلى الله؛ لأنّه يمكن أن يقال: إنّ معناها سـينحصر بـما حـدّده الله تعالى من طاعة معيّنة، وعبادة خاصّة، ممّـا يعني أنّه لا مجال لأن يتحقّق مصـداق جديـد لها غير مـا نصّ عليه الدليـل الشرعي، وهو ما يرجـع إلى قولهم: إنّ

(١) الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين: ج٣، ص٤٩٦.
(٢) البقرة: الآية١٥٨.
(٣) الحويزي، عبد علي بن جمعة، تفسير نور الثقلين: ج١، ص١٤٦.
(٤) الحجّ: الآية٣٦.

الشعائر توقيفية، فلا يمكن الاستفادة من الآية الشريفة في إثبات حكم استحبابي أو وجوبي لفعل لم ينصّ عليه دليل سابق؛ فيمنع ذلك من الاستدلال بالآية في محلّ الكلام.

ولكن لا أرى مانعاً من التمسّك بالآية؛ إذ يمكن تولّد شعيرة جديدة ولو في حدود خصوصية الاستحباب، ويشهد لذلك أنّ الفقهاء جعلوا هذه الآية دليلاً على بعض الأحكام، كما في مسألة حُرمة تنجيس المصحف ووجوب تطهيره.

نعم، لقائل أن يقول: إنّ هذا الاستدلال ينفع في تعميم لفظ التعظيم لمنع التنجيس ووجوب التطهير، لا لبيان سعة دائرة ما يصدق عليه شعيرة. مضافاً إلى ما في نفس الاستدلال؛ لأنّ المستدَلّ عليه حكم لزومي، والآية لا دلالة فيها على اللزوم؛ فإنّ كون شيء من تقوى القلوب لا يستدعي وجوبه؛ فإنّ بعض درجات التقوى غير واجبة التحصيل.

والبحث اللغوي يقتضي أن تكون شعائر الله أو الشعائر الدينية هي جملة من قوانين الإعلام في الدين، تتميّز بأهمّية كبيرة في الدين، وهذا يعني أنّها لا تنطبق على كلّ أحكام الدين، فالشعيرة جاءت من الإشعار، وهو الإعلام.

وقد قال الفيروزآبادي في (القاموس): «... **وأشعرها: جعل لها شعيرة، وشعار الحجّ: مناسكه وعلاماته**»[1].

وقال ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة): «**ومشاعر الحجّ: مواضع المناسك، سُمّيت بذلك لأنّها معالم الحجّ. والشعيرة: واحدة الشعائر، وهي: أعلام الحجّ وأعماله**»[2].

وكيف كان؛ فالذي يظهر من بعض اللغويّين، بل والمفسّرين أنّ موارد استعمال هذه المادّة ما كان فيه إعلام حسّي، وهذا ما يمكن أن ينطبق بسهولة على أفعال الحجّ،

(١) الفيروزآبادي، محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج٢، ص٦٠.

(٢) القزويني، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص١٩٤.

وعلى بعض الأعمال العبادية الجماعية، ومن أعظمها في زماننا الزيارات المليونية، وأعظمها في ذلك زيارة الأربعين.

وقد تحدّث الفقهاء في الشهادة الثالثة بما يمكن أن يكون نافعاً في المقام؛ فقد ذكروا أنّها في هذه الأيّام تُعدّ من الشعائر، وهذا يعني أنّ المدار على الصدق العرفي في زماننا، ممّا يعني أنّها ليست توقيفية كما تقدّم، فقد قال السيّد الحكيم في الشهادة الثالثة في الأذان: «**بل ذلك في هذه الأعصار معدود من شعائر الإيمان ورمز التشيّع، فيكون من هذه الجهة راجحاً شرعاً، بل قد يكون واجباً**»[1].

وقال السيّد الخوئي: «**ولكن الذي يهوّن الخطب أنّنا في غِنىً من ورود النصّ؛ إذ لا شبهة في رجحان الشهادة الثالثة في نفسها، بعد أن كانت الولاية من متمّمات الرسالة، ومقوّمات الإيمان، ومن كمال الدين؛ بمقتضى قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾**[2]، **بل من الخمس التي بُني عليها الإسلام، ولا سيّما وقد أصبحت في هذه الأعصار من أجلى أنحاء الشعار، وأبرز رموز التشيّع، وشعائر مذهب الفرقة الناجية؛ فهي إذن أمر مرغوب فيه شرعاً، وراجح قطعاً في الأذان وغيره**»[3].

وفي (صراط النجاة) قال: «**وبما أنّه أصبحت الشهادة الثالثة شعاراً للشيعة في الأذان، فيجب المحافظة على ذكرها، وحثّ الناس على الالتزام بها**»[4].

ولا تغفل عن أنّ السيّد الخوئي يقول بتوقيفية الشعائر، ومع ذلك يرى أنّ الشهادة الثالثة في غنى عن ورود النصّ بعد أن أصبحت في هذه الأعصار من أجلى أنحاء الشعائر، ومن شعائر مذهب الفرقة الناجية، ثمّ يستنتج أنّها أمر مرغوب فيه شرعاً، ونحن لا نبغي أكثر من ذلك في زيارة الأربعين.

(١) الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى: ج٥، ص٥٤٥.
(٢) المائدة: الآية٣.
(٣) الخوئي، أبو القاسم، المستند في شرح العروة الوثقى/ الصلاة: ج٢، ص٢٨٨.
(٤) الخوئي، أبو القاسم، صراط النجاة: ج٥، ص٣١٧.

وممّا ينفع في المقام فتوى النائيني في المواكب العزائية، وقد رأيت من المناسب جدّاً هنا نقلها، ونقل بعض ما علّق به بعض الأعاظم على هذه الفتوى، ونصّها: «**قد تواردت علينا في (الكرادة الشرقية) برقيّاتكم وكتبكم المتضمّنة للسؤال عن حكم المواكب العزائية وما يتعلّق بها؛ إذ رجعنا بحمده سبحانه إلى النجف الأشرف سالمين، فها نحن نحرّر الجواب عن تلك السؤالات ببيان مسائل:**

الأُولى: خروج المواكب العزائية في عشرة عاشوراء ونحوها إلى الطرق والشوارع ممّا لا شُبهة في جوازه ورجحانه، وكونه من أظهر مصاديق ما يُقام به عزاء المظلوم، وأيسر الوسائل لتبليغ الدعوة الحسينية إلى كلّ قريب وبعيد، لكنّ اللازم تنزيه هذا الشعار العظيم عمّا لا يليق بعبادة مثله، من غناء، أو استعمال آلات اللهو، والتدافع في التقدّم والتأخّر بين أهل محلّتين، ونحو ذلك، ولو اتّفق شيء من ذلك، فذلك الحرام الواقع في البين هو المحرّم، ولا تسري حرمته إلى الموكب العزائي، ويكون كالناظر إلى الأجنبية حال الصلاة في عدم بطلانها...»[1].

ولا شك أنّ هذه المواكب لم تكن على عهد الأئمّة عليهم السلام، كما لا شكّ أنّها لم يرد فيها دليل خاصّ، ومع ذلك عبّر عنها النائيني رحمه الله بأنّها عبادة، بل عبادة لها أهمّيتها؛ إذ قال: «**لكنّ اللازم تنزيه هذا الشعار العظيم عمّا لا يليق بعبادة مثله، من غناء...**»، فقد وصفها بأنّها شعار عظيم أوّلاً، ثمّ قيّدها بقوله: «مثله».

والمواكب على عظمتها في تلك الأزمنة ـ التي سُئل النائيني فيها ـ لا تُقاس بشعيرة زيارة الأربعين في أيّامنا هذه، ويكفينا من كلامه أنّه وصفها بأنّها شعار عظيم. ثمّ إنّ ارتضاء الأعاظم لما ذكره رحمه الله وتصحيحه يدلّ على أنّهم يرون شعارية هذه الأُمور، بل صرّح بعضهم بأنّها شعائر.

وقد كتب المغفور له السيّد عبد الهادي الشيرازي في المقام ما نصّه: «**ما ذكره** رحمه الله

(١) السند، محمد، الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد: ص٤٢٦.

في هذه الورقة صحيح إن شاء الله تعالى»[1].

وكتب السيّد محسن الحكيم ﷺ ما نصّه: «**ما سطّره أُستاذنا الأعظم ﷺ في نهاية المتانة، وفي غاية الوضوح، بل هو أوضح من أن يحتاج إلى أن يُعضد بتسجيل فتوى الوفاق، والمظنون أنّ بعض المناقشات إنّما نشأت من انضمام بعض الأُمور من باب الاتّفاق، التي ربّما تنافي مقام العزاء، ومظاهر الحزن على سيّد الشهداء عليه السلام، فالأمل ـ بل اللازم ـ الاهتمام بتنزيهها عن ذلك، والمواظبة على البكاء والحزن من جميع مَن يقوم بهذه الشعائر المقدّسة، وما توفيقي إلّا بالله، عليه توكّلت، وإليه أُنيب**»[2].

فقد عبر عنها بـ: (الشعائر المقدّسة)، مع أنّ المسؤول عنه في غالبه لم ترد مطلوبيّته بدليل خاصّ، ممّا يجعلك تجزم أنّه ﷺ ومَن عبّر بمثل تعبيره، ومَن ارتضى تعبيراً مماثلاً، لا يرون أنّ الشعائر توقيفية، وإن رأوا أنّها توقيفية فهم لا يرون المنافاة بين توقيفيّتها وكون المراسم الحسينية شعائر، وإلّا كيف يُعبّر عنها السيّد الخوئي ﷺ بأنّها: شعائر، مع ما عُرِف عنه من الذهاب إلى توقيفية الشعائر؟! ومن ذلك: ما كتبه السيّد محمود الشاهرودي، وقد كان من أعلام تلامذة الميرزا النائيني ﷺ، ونصّه: «**ما حرّر هنا شيخنا العلّامة ـ قدّس الله تربته الزكية ـ من الأجوبة عن المسائل المندرجة في هذه الصحيفة هو الحقّ المحقّق عندنا، ونسأل الله أن يوفّقنا وجميع المسلمين لإقامة شعائر مذهب الإمامية...**»[3].

فشعائر المذهب ليست سوى شعائر الدين، ولا شيء في المذهب خارج عن الدين، وإنّما عبّر بالمذهب في مقابل المذاهب الأُخرى لا في مقابل الدين، ولو كان في مقابل الدين، فهو في مقابل ما يراه الآخرون ديناً، لا في مقابل واقع الدين، والمقام الذي ذُكرت فيه إقامة الشعائر يدلّ على أنّ ما يفعله الناس من تلك المراسم العزائية بأنحائها هو شعائر دينية.

---

(١) المصدر السابق: ص٤٢٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص٤٢٩.

نـصّ ما كتبه السـيّد الخوئي في تعليقه على ما أفتى بـه النائيني من حكم المواكب العزائية وما في حكمها: «**بسم الله الرحمن الرحيم... ما أفاد شيخنا الأُستاذ دام ظله في أجوبته هذه عن الأسئلة البصرية هو الصحيح، ولا بأس بالعمل على طبقه، ونسأل الله تعالى أن يوفّق جميع إخواننا المؤمنين لتعظيم شعائر الدين، والتجنّب عن محارمه**»[1].

وممّـن يظهـر منه تعميم مفهوم الشـعائر الشـيخ جعفر الكبير؛ فقد جـاء في إذنه للسلطان فتح علي شاه لتدبير الجيش والدفاع ما نصّه: «**وهاك عمدة مواضع... سادسـاً: إقامة الشعائر الإسلامية، وتعيين المؤذّنين وأئمّة الجماعات، والمحافظة على الصلاة والصيام في جيش المسلمين**»[2].

ومـن الواضح أنّه لم يقصد من الشـعائر الإسـلامية ما هو خـاصّ بالحجّ، بل لو التزمنا باختصاصها به فإنّ تعظيمها سيكون من مختصّات الحاجّ لا الحاكم والسلطان. وكيـف كان؛ ففتح علي شـاه لم يكن صاحب الأمـر في الحجّ؛ لأنّه لم يكن يحكم أرض الحجـاز. بـل يظهر منـه أنّه غير خـاصّ بما ورد فيـه دليل خاصّ؛ فقـد ذكر في بعض موارد استحباب الوضوء: «**ويقوى القول برجحانه للدخول في كلّ مكان شريف، على اختلاف المراتب، بقصد تعظيم الشـعائر، من قباب الشهداء، ومحالّ العلماء والصلحاء، مـن الأموات والأحياء، وما يتبع الروضات من رواق ونحوه، وكلّ حرم محترم، وقراءة القرآن...**»[3].

ويظهـر مـن صاحب (الجواهـر) التعميم لما هو أعمّ من الحـجّ؛ فقد قال في باب الجهاد، مسـألة عدم وجـوب الهجرة من بلاد الخلاف في زمن الغيبـة: «**ثمّ إنّ الظاهر كون المراد بالتمكّن من إظهار شـعار الإسـلام الذي يسقط معه وجوب الهجرة هو عدم المعارضـة والأذية من العمل على ما يقتضيه دينه في واجب أو ندب، فلو تمكّن من بعض**

(١) المصدر السابق.

(٢) كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج١، ص٢٥.

(٣) المصدر السابق: ج٢، ص٨٠.

دون بعض وجبت، خصوصاً إذا كان المتروك مثل الصوم والصلاة والحجّ ونحوها ممّا هو من أعظم الشعائر»[1].

وهذا يعني أنّ الشعائر تعمّ ما هو من غير الأعظم، وهو ما سوى الصوم والصلاة والحجّ. وقد يُفهم ذلك من كلمات الشريف الرضي، فقد قال في (المجازات النبوية) في شرح قوله عليه السلام: «(مفاتيح الجنّة: لا إله إلّا الله): وهذه استعارة، والمراد أنّ هذا القول به يوصل إلى دخول الجنّة، فجعله عليه السلام بمنزلة المفاتيح التي يُستفتح بها الأغلاق، ويُستفرج الأبواب، وأراد عليه السلام هذه الكلمة وما يتبعها من شعائر الإسلام، وقوانين الإيمان، إلّا أنّه صلى الله عليه وآله عبّر عن جميع ذلك بهذه الكلمة؛ لأنّها أوّل لتلك الشعائر، وسائرها تابع لها، ومتعلّق بها، فهي لها كالزمام القائد، والمتقدّم الرائد»[2].

وفي (الحدائق) في مبحث وجوب إكرام التربة المشرّفة، قال: «وما كتب عليه شيء من علوم الدين؛ فلدخوله في الشعائر المأمور بتعظيمها في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ...﴾، وألّا تحلّ؛ لقوله: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ...﴾»[3].

وقال الآقا رضا الهمداني في (مصباح الفقيه): «وكيف كان؛ فينبغي استثناء قبور الأنبياء والأئمّة عليهم السلام من القبور التي يُكره البناء عليها وتجديدها؛ فإنّ ضرورة المذهب قاضية برجحان تعمير مشاهدهم، وحفظها عن الاندراس، وتجديد عمارتها، وكونها من أعظم الشعائر التي يجب تعظيمها، فضلاً عن شهادة الأخبار بذلك، بل الظاهر أنّ قبور العلماء والصلحاء ونحوهم ـ ممّن رجح شرعاً بقاء رسمه والتقرّب بزيارته ـ أيضاً كذلك، بل ينبغي القطع بذلك بالنسبة إلى قبر مثل أبي الفضل العبّاس عليه السلام، وغيره من صالحي أولاد الأئمّة عليهم السلام، بل وكذا بعض خواصّ أصحابهم كـ(سلمان) و(أبي ذر)

(١) النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام ج٢١، ص٣٧ـ٣٨.
(٢) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، المجازات النبوية: ص٢٢٧.
(٣) البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج٢، ص٤٦.

و(**حبيب بن مظاهر**)، **ونظرائهم**...»[1] إلى آخر كلامه، وها هو يطبّق عنوان الشعائر على قبور بعض خواصّ أصحاب الأئمّة عليهم السلام، وهذا يعني أنّه لا يرى توقيفية الشعائر.

وقال العاملي في (مفتاح الكرامة) في جواز بناء القباب على قبور العلماء والصلحاء: «**لا يبعد استثناء قبور العلماء والصلحاء؛ استضعافاً لخبر المنع، والتفاتاً إلى تعظيم الشعائر لكثير من المصالح الدينية**»[2].

وفي (الجواهر) في شرحه على عبارة صاحب (الشرائع): (ويُستحبّ كنس المساجد)، قال: «**قطعاً بمعنى: جمع كناستها (بضمّ الكافّ)؛ لما فيه من تعظيم الشعائر**...». وجعل تعظيم الشعائر دليلاً يعني أنّه برأسه دليل بغضّ النظر عن ورود دليل آخر[3].

ثم إنّ هذه الكلمات لم تُذكر لاستقصاء كلّ من عمّم لفظ الشعائر، وإنّما ذُكرت للاستشهاد.

الدليل الثاني: الروايات الخاصّة

لقد ورد في الروايات ما دلّ على استحباب زيارة الأربعين بخصوصها، ولنعرض هذه الروايات للبحث:

الرواية الأُولى: رواية محمد بن الحسن الطوسي، قال: «**روي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنّه قال: علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم**»[4].

الرواية الثانية: «**وعن جماعة، عن التلعكبري، عن محمّد بن علي بن معمر، عن علي**

(١) الهمداني، الآقا رضا، مصباح الفقيه: ج٥، ص٤٢٨.
(٢) العاملي، محمّد جواد، مفتاح الكرامة: ج٤، ص٢٧٨.
(٣) النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج٤، ص٨٧.
(٤) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٧٨.

بـن محمد بن مسـعدة والحسـن بن علي بـن فضّال، عن سـعدان بن مسـلم، عن صفوان الجمّـال، قـال: قال لي مولاي الصادق عليه السلام في زيـارة الأربعين: تزور عنـد ارتفاع النهار، وتقول: السلام على ولي الله وحبيبه... وذكر الزيارة إلى أن قال: وتُصلّي ركعتين، وتدعو بما أحببت، وتنصرف»[1].

الروايـة الثالثـة: «وروى أيضـاً في (المصبـاح): أنّه في يـوم العشرين مـن صفر كان رجوع حرم الحسـين عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله إلى زيارة الحسين عليه السلام، وهو أوّل مَن زاره من الناس»[2].

والرواية الثالثة مرسـلة، ودلالتها غير تامّة؛ فإنّهـا تدلّ على أنّ جابر هو أوّل مَن زار الحسـين عليه السلام، والـكلام ليـس في أصل اسـتحباب زيارته عليه السلام وإنّـما في خصوصية الاستحباب للزيارة يوم الأربعين؛ هذا مضافاً إلى أنّ فعل جابر ليس حجّة علينا وإن كانت له منزلته.

وأمّـا الروايتـان الأُولى والثانيـة فتامّتا الدلالة، ودلالـة الأُولى أبلغ؛ فقد جعلت زيارته عليه السلام في الأربعين من علامات المؤمن. ولكن تبقى مشـكلة الإرسال في الأُولى، والتعليـق على الجماعة الذيـن رووا عن التلعكبري في الثانية، والتلعكبري هو هارون بن موسى بن أحمد بن سـعيد، وهو: «**جليل القدر، عظيم المنزلة، واسـع الرواية، عديم النظير، ثقة**»، على ما قاله الشيخ[3] والعلّامة[4].

وقال النجاشي: «**كان وجهاً في أصحابنا، ثقة معتمداً، لا يُطعن عليه**»[5].

ومحمد بن علي بن معمر لم يُنصّ على توثيقه، ويمكن توثيقه بناءً على تمامية كبرى

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق: ص٤٧٨ـ٤٧٩.
(٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، رجال الطوسي: ص٤٤٩.
(٤) العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، خلاصة الأقوال: ص٢٩٠.
(٥) النجاشي، أحمد بن علي، فهرست أسماء مصنّفي الشيعة (رجال النجاشي): ص٤٣٩.

وثاقة مَن ورد في أسانيد (كامل الزيارات). وأمّا سعدان بن مسلم فقد نُقل: «**عن السيّد الداماد أنّ سعدان بن مسلم شيخ كبير القدر، جليل المنزلة، له أصل**»[1].

الدليل الثالث: روايات (مَن سَنّ سُنّة حسنة)

جاء في (الخصال): «**حدّثنا أبي (رضي الله عنه)، قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلّا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته، فهي تجري بعد موته إلى يوم القيامة صدقة موقوفة لا تورث. أو سُنّة هدى سنّها، فكان يعمل بها، وعمل بها من بعده غيره. أو ولد صالح يستغفر له**»[2]. والرواية صحيحة السند.

وفي (المحاسن): عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه: «**عن ابن محبوب، عن إسماعيل الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: مَن استنّ بسُنّة عدل فاتُّبع، كان له أجر مَن عمل بها من غير أن ينقص من أُجورهم شيء، ومَن استنّ بسُنّة جَوْر فاتُّبع، كان له مثل وزر مَن عمل به من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[3].

وعن (مجالس) المفيد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن أحمد بن محمد، عن حمّاد بن عثمان، عن إسماعيل الجعفي، مثله[4]. والرواية تامّة السند وفق طريق (المحاسن).

وعن الشيخ المفيد، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن العبّاس بن معروف، عن علي بن مهزيار، عن أحمد بن محمد

(١) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٩، ص١٠٥.
(٢) الصدوق، محمّد بن علي، الخصال: ص١٥١، ح١٨٤.
(٣) البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج١، ص٩٥.
(٤) أُنظر: المفيد، محمّد بن محمد، الأمالي: ص١٩١.

بـن أبي نـصر البزنطي، عن حمّـاد بن عثمان، قال: قال إسـماعيل الجعفي: سـمعت أبا جعفر... الحديث. وهذا الطريق تامّ أيضاً.

وهناك جملة من الروايات الأُخرى وإن لم تكن تامّة السـند، إلّا أنّها تؤيّد ما ورد في هاتين الصحيحتين.

ويمكـن أن يكون مـردّ ذلك قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[1]، فالاسـتنان مـن آثار جعل السُـنّة وإحداثهـا، لكـنّ الآيـة لا دلالة فيها على أنّ مَن سـنّ سُـنّة ما كان له مـن الجزاء مثل جزاء مَن عمل بها.

وكذلـك الـكلام في الوجـه الذي يمكـن أن يكون عقليـاً، وهو التسـبّب بفعل المسـتنّ بالسُـنّة، ومن سنّ السُـنّة تسبّب أو سـاهم في أن يأتي بها آخرون بعده، إلّا أنّ ذلك لا يُثبت إلّا دخالته كجزء من السـبب، ولا يُثبت أنّ الجزاء المسـتحقّ مثل جزاء العاملـين إلى يوم القيامة. وعليه؛ فمثل هذه الروايات فيها دلالة إضافية على ما يُفهم من الآية والوجه العقلي؛ فإنّهما لا يثبتان إلّا أصل الاستحقاق، لا مقداره.

بيان ذلك: أنّ الروايات قالت: «**مَن سنّ سُنّة حسنة فله أجرها...**»[2] الرواية، ممّا يعنـي أنّها لم تكن مسـنونة قبل ذلك من قبل الشـارع المقـدّس، وإلّا لما صحّ أن يقال: سـنّ فلان سُـنّة، إن كانت مسـنونة قبله، ولا شكّ في قيام سُـنّة حالية تتمثّل بالزيارة في وقت الأربعين، فعلى فرض أنّها لم يقم عليها دليل كسُـنّة شرعية أصالةً، فإنّها سُـنّة حالية فعلية، قد سُنّت ابتداءً خارج دائرة التشريع أصالة.

وكيف كان؛ فهذه السُنّة الحالية إمّا أن تكون شرعية أصالة كما هو مقتضى أدلّتها، فيثبـت المطلـوب. وإمّا ألّا تكون كذلـك، فشرعيّتها واسـتحبابها يكونان من إمضاء الشارع لأمر حسن سَنّه بعض الناس.

---

(١) سورة يس: الآية١٢.

(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٩.

فإن قيل: إنّ وصف الشارع لمثلها بالحسنة ـ أي: سُنّة حسنة ـ غير كافٍ في إثبات الاستحباب لها.

فيقال: إنّ ترتّب الثواب عليها ـ فله أجرها وأجر مَن عمل بها ـ يُثبت مطلوبيّتها شرعاً، وإلّا فما معنى استحقاق الثواب عليها أو ترتّبه عليها إن لم تكن مطلوبة شرعاً؟! إنّ ترتّب الثواب على عمل دليل على محبوبيّته، بل ومطلوبيّته، وبإتيانه يتحقّق الانقياد والطاعة، فيستحقّ الفاعل الثواب.

ولكن يمكن أن يقال: إنّ مثل هذه الروايات لا دلالة فيها على نشوء طلب شرعي على مورد الاستنان؛ إذ يمكن الالتزام بأنّ مورد هذه الروايات أمر حسن قبل جعله سُنّة، والذي حصل من منشئ السُنّة ومبتدئها أنّه حوّله إلى سُنّة، لا أنّه تحوّل إلى سُنّة وصار حسناً، وحسنه السابق على الاستنان يعني أنّ له حكماً شرعياً غير متفرّع على الاستنان.

ولنوضّح ذلك بمثال هو مورد البحث: إنّ زيارة الأربعين قبل أن تُسنّ ـ لو لم تكن مسنونة شرعاً أصالة ـ كانت مستحبّة بالعنوان العامّ للزيارة بغضّ النظر عن كونها في يوم الأربعين أو غيره، ولمّا تحوّلت إلى سُنّة في خصوص يوم الأربعين، فإنّ المترتّب على ذلك الفعل هو ثواب الزيارة العامّ الذي يستحقّه فاعلوها، ويستحقّ مثله مَن سنّ هذه السُنّة.

وقد يُدعم ذلك من خلال ما ورد في شقّ الروايات الأُخر، وهو قولهم عليهم السلام: «**ومَن سنّ سُنّة سيئة، فعليه وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة**»[1]؛ فإنّ مورد السُنّة السيّئة الذي يكون موجباً لاستحقاق الوزر، لا بُدّ أن يكون محرّماً قبل صيرورته مورداً للسُنّة، وإلّا فممّا لا إشكال فيه أنّ ترتّب الوزر على العمل المسنون لا يأتي من جهة كونه مسنوناً إلّا أن يكون متّصفاً بالسوء في نفسه ثم جُعل مورداً للاستنان،

(١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، هداية الأُمّة إلى أحكام الأئمّة عليهم السلام: ج٥، ص٥٧٩.

وبهذا الاعتبار صارت السُـنّة سـيّئة. ومثاله: ما حصل في زمن معاوية حين سنّ سبّ أمير المؤمنين عليه السلام كجزء من خطبة الصلاة، ويسـتحقّ مَن سـنّها وزر عمله ومثل وزر كلّ مَن سبّ أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذلك عملاً بهذه السُنّة.

وبقرينة المقابلة نقول: السُنّة الحسنة كذلك، موردها ما كان حسناً قبل الاستنان، فـلا يضيف الاسـتنان شـيئاً في جهة التشريع، وإنّـما يضيف التطبيـق، والمفروض أنّ بحثنـا في إثبـات حكم اعتماداً على الاسـتنان الحسـن، ولا أقلّ من التشـكيك في أنّها تشـمل ما لم يكن حسـناً أو مطلوباً للشـارع قبل ذلك أو لا؟ والأصل عند الشكّ هو عدم التشريع.

ومن هنا؛ يتبيّن أنّه لا مجال للتمسّـك بإطلاق (مَن سـنّ سُـنّة حسـنة)؛ لأنّه إنّما يُتمسّـك بالإطلاق لمنع الخروج الحكمي، لا لمنع الخروج الموضوعي عند الشكّ فيه، فلا يجوز التمسّـك بإطلاق الدليل في مورد شُـكّ في كونه فرداً لموضوع ذلك الدليل؛ إذ دور الدليل إثبات الحكم عند تحقّق الموضوع وصدقه، وأمّا تحقّق الموضوع فلا ربط للدليل الذي دلّ على حكمه به، ولا يجوز التمسّك بالدليل في الشبهة الموضوعية له.

والمورد هنا هو الاسـتحباب الخاصّ لزيارة الأربعين المتولّد من صيرورتها سُنّة، ونحن نشـكّ أنّ السُنّة الحسنة تشـملها أو لا؟ هذا إذا لم نجزم بأنّها لا تشملها بالبيان المتقدّم.

وبما تقدّم يتبيّن أنّ استحقاق الأجر والثواب ليس دليلاً على خصوصية الطلب، فكون العمل مطلوباً بالعنوان العامّ موجب لاستحقاق الثواب.

وربّما يقال: إنّه وإن لم تثبت ملازمة بين استحقاق الثواب وبين المطلوبية الشرعية، ممّا يعني أنّه ليس كلّ ما كان موجباً لاستحقاق الثواب يكون مطلوباً شرعاً، فالموارد التـي يحصـل فيهـا الانقياد[1] لا يكـون الأمر المنقاد فيـه مطلوباً شرعاً، وكـذا الموارد

(١) الانقياد: مصطلح أُصولي يراد به: الإتيان بالفعل باعتقاد تعلّق الأمر الشرعي به، مع أنّه لم يتعلّق به واقعاً.

التـي يحصل فيها الاحتياط، ولا تكون أفعالنا التـي احتطنا بها مطابقة لمقتضى الحكم الواقعـي. لكـن لا يعني ذلك أنّنا لا نجزم بالملازمة في بعـض الموارد، ومنها موردنا؛ فإنّ انفكاك الملازمة إنّما هو في موارد خاصّة، منها الموردان اللذان ذكرناهما، والموارد التـي يتحقّـق فيهـا تفضّل محضّ، كمَن عزم عـلى فعل الخير ولم يفعلـه، أي نية الخير، وخصوصيـة الثواب في روايـات (مَن بلغ)، وليس محلّ كلامنا منهـا، وهذا يعني أنّ ثبوت الأجر لمَـن عمل بالسُنّة التي سنّها بشر يكشف عن مطلوبية ما سُنّ شرعاً، وأنّ هذه المطلوبية تثبت بالاستنان.

لكـن يـردّه: أنّ المطلوبيـة في مـورد الاسـتنان وإن ثبتـت، لكـنّ ذلـك لا يعني بالضرورة أنّها ثبتت بالاسـتنان، بل كان الأمر مطلوباً قبل ذلك، والشاهد أنّ الرواية قالـت: (فلـه أجرها)، والسُـنّة قبـل أن يعمل بها الآخرون ليسـت سُـنّة، فلأجل أن يثبت الاسـتحباب متفرّعاً على سـنّ السُنّة لا بُدّ ألّا يكون مورد الاستنان مطلوباً قبل حصول السُنّة، والمفروض أنّ مَن سنّها يستحقّ أجرها، ممّا يعني أنّها كانت ذات أجر من أوّل الأمر، فهي مطلوبة قبل ذلك.

الدليل الرابع: روايات (من بلغ)

هناك جملة من الروايات وردت بمضمون: مَن بلغه ثواب على عمل فصنعه، كان له وإن لم يكن على ما بلغه، ومنها: ما رواه «**أحمد بن أبي عبد الله البرقي في (المحاسن)، عن علي بن الحكم، عن هشـام بن سـالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَن بلغه عن النبي صلى الله عليه وآله شيء مـن الثـواب فعملـه، كان أجر ذلـك له وإن كان رسـول الله صلى الله عليه وآله لم يقلـه**»[1]. وهي صحيحة السند.

وما رواه محمد بن يعقوب، عن «**علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشـام بن سـالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَن سمع شـيئاً من الثواب على شيء فصنعه،**

(١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١، ص٨١، ح٣، ب١٨، أبواب مقدّمة العبادات.

كان له وإن لم يكن على ما بلغه»[1]. والرواية صحيحة أو حسنة على اختلاف الرأي في إبراهيم بن هاشم والد علي بن إبراهيم.

ومجموع الروايات التي رواها الحرّ العاملي في (الوسائل) تسع روايات، والذي يُعتمد عليه ـ سنداً أو دلالةً ـ منها الرواية السادسة، وهي رواية هشام بن سالم التي نقلناها عن (الكافي). أمّا الرواية التي نقلناها عنه أوّلاً فهي وإن كانت تامّة سنداً، إلّا أنّ دلالتها غير وافية؛ لأنّ موردها مَن بلغه عن النبي صلى الله عليه وآله شيء من الثواب، والأدلة التي استُند إليها في زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين لم تكن واردة عن النبي صلى الله عليه وآله، اللهمّ إلّا أن تُلغى خصوصية النبي صلى الله عليه وآله في هذه الرواية، وهو ليس ببعيد.

وكيف كان؛ فلدينا روايتان تامّتان سنداً ودلالةً، فإن كانتا صالحتين للاستناد إليهما في إثبات قاعدة التسامح في أدلة السُنن تمّ المطلوب، وقد التزم جملة من فقهائنا بتلك القاعدة اعتماداً على مثل هاتين الروايتين.

وزيارة الحسين عليه السلام في الأربعين سُنّة مستحبّة على فرض تمامية الدليل عليها، فيثبت الاستحباب من خلال هذه القاعدة اعتماداً على الدليل ولو كان ضعيفاً.

وأمّا إذا لم تتمّ هذه القاعدة، ولم تنهض هذه الروايات لإثباتها ـ كما هو مبنى جملة من المعاصرين من الفقهاء إن لم يكن جُلّهم ـ فإنّ روايات (مَن بلغ) لا تعدم الفائدة في محلّ كلامنا؛ إذ إنّ دلالتها على ترتّب الثواب على العمل المأتي به بعد بلوغ أنّ عليه ثواباً، وليس الإشكال من جهة الضعف السندي؛ لمنع الاستناد إليها في ترتيب أيّ فائدة، بل هو إشكال دلالي، وهو المنع من الاستدلال في مورد الدلالة المبحوث عنها، الذي هو عبارة عن قاعدة التسامح التي تستلزم ـ إن تمّت ـ إثبات استحباب أو كراهة، اعتماداً على دليل ضعيف.

وانتفاء هذه الدلالة المحتملة بدواً لا يستدعي انتفاء دلالة هذه الروايات على ترتّب

(١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٨٧.

الثواب، وكفى بذلك وجهاً لإثبات أنّ الإتيان بزيارة الأربعين وإن لم يُشرّع استحبابها واقعاً، موجب لاستحقاق الثواب الذي ذكرته أدلّة زيارة الأربعين وإن لم تتمّ سنداً.

على أنّ عدم نهوض روايات (مَن بلغ) لكي تكون مستنداً لقاعدة التسامح في أدلّة السُنن لا يعني أنّ القاعدة غير ثابتة واقعاً، وهذا وجه آخر مسوّغ للإتيان بالزيارة بداعي القربة والخصوصية رجاءً للمطلوبية.

وهنا فائدة، وهي أنّ كلّ روايات (مَن بلغ) موضوعها العمل الذي بلغ عليه الثواب؛ ومن هنا قد يقال: إنّها لا تشمل ما ورد من روايات في موارد خاصّة دلّت على المطلوبية، ولم تتحدّث عن مقدار الثواب.

لكنّ ذلك مردود من جهة أنّ بلوغ الثواب تارة يكون بالأدلّة المطابقية، كأن يرد: مَن قال كذا، فله كذا مقدار من الثواب. وأُخرى يكون بالدلالة الالتزامية، كما لو ورد أمر بشيء في رواية غير تامّة سنداً دون نصّ على مقدار الثواب المستحقّ عند الإتيان بذلك الفعل، فإنّ لازم مطلوبية الفعل شرعاً استحقاق الثواب عليه، فيكون استحقاق الثواب مدلولاً التزامياً للرواية الدالّة على المطلوبية مطابقة. نعم، في مثل هذه الرواية لا يكون مقدار الثواب محدّداً.

هذا؛ مضافاً إلى أنّ الفقهاء (رضوان الله عليهم) حين طبّقوا قاعدة التسامح في أدلّة السُنن لم يفرّقوا بين ما دلّ من الروايات الضعيفة على مقدار الثواب المستحقّ، وبين ما دلّ على طلب الفعل دون تعرّض لمقدار الثواب المستحقّ.

ولا يصحّ التمسّك بدلالة مثل هذه الروايات ـ وإن تمّ بعضها سنداً ـ لإثبات الاستحباب بعيداً عن قاعدة التسامح المزبورة، بزعم أنّ الثواب لازم والمطلوبية ملزوم، فيكون الاستحباب أو المطلوبية الشرعية الأعمّ من كلّ من الوجوب والاستحباب مدلولاً التزامياً لاستحقاق الثواب.

والوجه في ذلك: أنّه ربّما كان هذا الثواب تفضّلاً محضاً من الله تعالى، دعت إليه مصلحة الاحتياط في موارد احتمال الحكم الشرعي.

ويمكن الالتزام بعدم اعتبار الإتيان رجاءً للمطلوبية في استحقاق الثواب على الخصوصية؛ لأنّ لسان الأدلّة الدالّة على استحقاق الثواب مطلق من دون تقييد (فعمله، فصنعه).

فان قيل: إنّ قصد التقرّب بعمل لم تثبت مقرّبيّته تشريع، والتشريع محرّم ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[1].

قلنا: إنّ حرمة التشريع إنّما هي من جهة حرمة الكذب؛ لأنّه نسبة ما لم يُعلم صدوره عن الشارع المقدّس إليه، والكذب ليس علّة تامّة للتحريم، فيمكن أن يعرض ما يمنع من حرمته، والكذب اللازم للتقرّب بما لم تثبت مقرّبيّته لا يتحقّق إلّا إذا التُفت إلى الملازمة، وعامّة الناس تغفل عن هذه الملازمة، فلا يلتفتون إلى ضرورة الإتيان بتلك الأعمال رجاءً للمطلوبية لدفع محذور التشريع، ولمّا كان التقييد بهذا النحو ممّا تغلب الغفلة عنه، كان اللازم على الأئمّة عليهم السلام أن ينبّهوا الناس إليه، والحال أنّه لا يوجد عين ولا أثر في روايات (مَن بلغ) لمثل هذا التقييد، مع أنّها كانت في مقام الحثّ على الإتيان بالأعمال التي وردت فيها روايات ولو كانت ضعيفة.

هذا أوّلاً، وثانياً: أنّ حرمته مرتفعة بحكم الغفلة عنه، وثالثاً: أنّ المانع من صحّة الأعمال العبادية التي لم تقم الحجّة المعتبرة على شرعيّتها هو عدم تحقّق قصد القربة إذا لم يثبت كون العمل شرعياً، ومع الغفلة يمكن تحقّق قصد القربة.

وفرق **الوجه الأوّل** عن الثاني والثالث معاً أنّ الوجه الأوّل ـ إن تمّ ـ فإنّه يثبت استحقاق الثواب لمَن أتى بالعمل ولو كان ملتفتاً إلى احتمال عدم مطلوبيّته واقعاً وأتى به بقصد القربة، فلو وردت رواية ضعيفة في مطلوبية عمل ما شرعاً، والتفتُّ إلى ضعفها، وأتيت به بداعي القربة إلى الله، فإنّي أستحقّ الثواب المعهود.

(١) يونس: الآية٥٩.

أمّا **الوجه الثاني**، فهو يمنع من الإتيان بالعمل في هذه الصورة، ويمنع من استحقاق الثواب على العمل المأتي به في صورة الغفلة عن احتمال التشريع إذا لم يكن العمل مطلوباً واقعاً، واستحقاقه إن كان مطلوباً واقعاً.

وأمّا **الوجه الثالث**، فمردّه إلى عدم إمكان حصول قصد التقرّب في هذه الصورة، ولو غفل فحصل قصد التقرّب منه استحقّ الثواب إن كان العمل مطلوباً في الواقع، وإلّا فلا.

إنّ زيارة الأربعين ليست مسألة وردت فيها رواية لم تتمّ سنداً ككراهة التمندل من ماء الوضوء، ولم يتوفّر معها ما يدعمها، بل هناك جملة من القرائن قد يتمكّن الباحث من ضمّ بعضها إلى بعض ـ على فرض عدم تمامية إحداها مستقلّة ـ لإثبات خصوصية استحباب هذه الزيارة، وتتمثّل هذه القرائن بالروايتين المذكورتين في (الوسائل)، مضافاً إلى آية الشعائر، وروايات (مَن بلغ)، وروايات (من سنّ سُنّة حسنة). وهنا لا بُدّ من ملاحظة جملة من الأُمور:

الأمر الأوّل: ليس من الضروري أن نصل إلى القطع بوجود الحكم بالاستحباب، بل يُكتفى بالاطمئنان، فلو أوصلنا ضمّ القرائن بعضها إلى بعض إلى الاطمئنان إلى صدور بعض منها، أو صحّة تطبيق بعضها الآخر ـ على تفصيل يأتي ـ كفى ذلك؛ لحجّية الاطمئنان إلى إمضاء الشارع المقدّس للسيرة القائمة على العمل به، والاستناد إليه؛ إذ لم يردع عنه، وكفى بذلك دليلاً على الإمضاء بعد استحكام السيرة المزبورة، فما نحتاج إليه من القرائن الاحتمالية أقلّ ممّا نحتاج إليه في إثبات التواتر، ولا أعني بالتواتر الثبوت السندي بنحو يُحتجّ به؛ إذ مجرّد الاطمئنان إلى الصدور كافٍ في الاستناد إلى الخبر.

الأمر الثاني: أنّ احتمال الخلاف في كلّ من القرائن الاحتمالية ليس من باب واحد، فبعض مورده في جانب الصدور، وبعض في الدلالة، وبعض في التطبيق، فالروايتان لا مشكلة في دلالتهما، ولا يبعد نصّية كلّ منهما في جانب الدلالة، فاحتمال الخلاف

إنّما هو في جانب الصدور، والمنشأ فيه هنا تعمّد الكذب. ولا مجال هنا لاحتمال الخطأ والغفلة؛ إذ الغفلة إنّما تكون عن شيء موجود، ولا تدعو إلى نسبة شيء إلى الشريعة وهي لم تذكره، وآية الشعائر قد تكون المخالفة للواقع في صورة حكمنا بالاستحباب في دلالتها، فهل الشعيرة تشمل محلّ كلامنا لغةً، أو لا؟ نعم، ربّما يقال: إنّ الكلام في الاستدلال بالآية هنا من جهة احتمال القرينة الخارجية؛ فقد ذهب بعض الأعلام إلى توقيفية الشعائر، وهذا يعني المنع من صيرورة شيء شعيرة بعد أن لم يكن كذلك.

وأمّا الخلاف في قاعدة التسامح في أدلة السُنن، فهو في الدلالة، ولا ربط له بالقرينة الخارجية المشكوكة.

وأمّا روايات (مَن سنّ سُنّة حسنة)، فإنّه لا يبعد تواترها، وقد تقدّم أنّ بعض علماء العامّة قال بتواترها، ونحن لدينا جملة من الروايات فيها، وأكثر من واحدة منها تامّة السند، لكن يبقى الكلام في قابلية تطبيقها على محلّ الكلام.

الأمر الثالث: أنّ تعدّد جهة احتمال الخلاف يضعف احتمال الوفاق، فيقلّل ذلك من قيمتها كقرينة احتمالية؛ لأنّ النسبة بين جهة الصدور وجهة الدلالة طولية، وحاصل القيمة الاحتمالية الموافقة يكون بضرب احتمال الوفاق في أحدهما باحتمال الوفاق في الآخر، ولمّا كان كلّ منهما عبارة عن كسر، فإنّ حاصل الضرب لا بُدّ أن يكون أقلّ من كلّ منهما.

الأمر الرابع: أنّ الدلالة في هذه الأدلّة لمّا كانت بمستوى الظهور لو تمّت، والظهور يمكن أن يكون بمستوى ٥٥٪ في مقابل ٤٥٪، فإنّ عدم تمامية الدلالة يعني ضعف احتمال المطابقة لما دون ذلك، أي: ما يقرب من ٥٥٪، وإنّما لم نذكر ٥١٪ في مقابل ٤٩٪ لأنّ الظهور أمر وجداني، والنفس غير قادرة على التمييز لظهورٍ بمستوى ٥١٪ في مقابل ٤٩٪، فالانسياق الذي هو قوام الظهور لا يتمّ إلّا في احتمالين على الأقلّ بينهما تفاوت معتدّ به.

وأمّا بالنسبة للسند، فقد تكون نسبة الإصابة ٦٥٪، بل حتى ٧٠٪، في حال لم

تثبت وثاقة الراوي بناءً على أنّ المدار في الحجّية وثاقته لا الوثوق بالمروي. نعم، في السند عادة ما تكون الطبقات متعدّدة، وهذا يضعف احتمال المطابقة.

الأمر الخامس: تعدّ كلّ واحدة من الروايتين قرينة احتمالية مستقلّة، وروايات (مَن سنّ سُنّة حسنة) بمجموعها قرينة احتمالية واحدة؛ إذ تواتر هذه الروايات يجعل صدورها قطعياً، فتبقى دلالتها، والإنصاف أنّ دلالتها على المطلوب ضعيفة، فتكون قرينة احتمالية ضعيفة. وروايات (مَن بلغ) صدورها لا يبعد أنّه مطمأن إليه أو يقرب من ذلك، ودلالتها أقوى بكثير من دلالة روايات (مَن سنّ سُنّة حسنة)، ويدعم دلالتها ذهاب جملة كبيرة من الفقهاء إلى دلالتها.

وكذا ينجر البحث إلى سندها؛ فإنّه لم يكن قطعياً وإن تمّ سند بعضها، وهذا يعني أنّه على فرض تمامية السند فيها، فإنّ ذلك كان تعبّداً، ولا معنى للتعبّد بسندها إذا لم تتمّ دلالتها ولو تعبّداً؛ إذ التعبّد في مثل هذه الصورة يكون لغواً وبلا فائدة، والشارع منزّه عن اللغو. وعلى أيّ حال، فإنّها تُعدّ قرينة احتمالية واحدة.

وأمّا آية الشعائر، فقد تقدّم أنّ سندها قطعي بحكم كونها آية قرآنية، والقرآن قطعي الصدور، فتبقى دلالتها، وهي تشكّل قرينة احتمالية واحدة.

وبضمّ هذه القرائن بعضها إلى بعض إن حصل القطع بوجود مثل هذا الاستحباب فهو، وإن حصل الاطمئنان فهو أيضاً، وإلّا اكتفينا بآية الشعائر. وإن لم يحصل هذا ولا ذاك ثبت استحقاق الثواب اعتماداً على روايات (مَن بلغ) المطلقة، التي لم تقيّد إطلاق الإتيان بالعمل بقصد رجاء المطلوبية، مع ملاحظة غفلة عامّة الناس عن الإتيان بالعمل برجاء المطلوبية. وإن لم ينهض شيء من ذلك جيء بالعمل مع الخصوصية بداعي رجاء المطلوبية للخصوصية، لا لأصل الزيارة، فإنّها مطلوبة قطعاً.

وهنا إشكال حاصله: أنّ الكثير من الأدعية الخاصّة التي ورد أنّها تُقرأ في أوقات خاصّة، أو لم يُعيّن لها وقت خاصّ، والزيارات المخصوصة، ومنها زيارة الأربعين، بل حتى العامّة للنبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، لم ترد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وإنّما وردت عن

الأئمّة عليهم السلام، فثبت لها الاستحباب بذلك؛ فهل يلزم من ذلك أنّ الشريعة لم تكمل على عهد النبي صلى الله عليه وآله والقرآن يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]؟

والجواب: أنّ اعتقادنا بعصمة الأئمّة عليهم السلام يقطع الإشكال في ذلك، فإذا أخبرنا أيّ منهم بحكم استحبابي أو لزومي، وجب قبوله، ومجرّد التشكيك مخالف للاعتقاد بعصمتهم، ويبقى علينا توجيه ما ورد بالنحو الذي يدفع الإشكال، وتوجيه ذلك إنّما هو بأحد طريقين:

الأوّل: الالتزام بثبوت الولاية التشريعية لهم عليهم السلام، كما عليه جملة من علمائنا، خصوصاً وقد دلّت الأدلّة على ثبوتها للنبي صلى الله عليه وآله؛ فقد أضاف الركعة الثالثة والرابعة في صلوات المغرب والعشاء والظهر والعصر، وأمضى الله تعالى له ذلك[2]، وكما في بعض موارد الصيام، وغير ذلك.

---

(١) المائدة: آية٣.

(٢) والرواية معتبرة سنداً، وقد نقلها الكليني: «عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أُذينة، عن فضيل بن يسار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول... ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ فرض الصلاة ركعتين ركعتين عشر ركعات، فأضاف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الركعتين ركعتين، وإلى المغرب ركعة، فصارت عديل الفريضة لا يجوز تركهنّ إلّا في سفر، وأفرد الركعة في المغرب، فتركها قائمة في السفر والحضر، فأجاز الله عزّ وجلّ ذلك كلّه، فصارت الفريضة سبع عشرة ركعة. ثم سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله النوافل أربعاً وثلاثين ركعة مثلي الفريضة، فأجاز الله عزّ وجلّ له ذلك... وفرض الله في السنة صوم شهر رمضان، وسنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صوم شعبان، وثلاثة أيّام في كلّ شهر مثلي الفريضة، فأجاز الله عزّ وجلّ له ذلك، وحرّم الله عزّ وجلّ الخمر بعينها، وحرّم رسول الله صلى الله عليه وآله المسكر من كلّ شراب، فأجاز الله له ذلك كلّه. وعاف رسول الله صلى الله عليه وآله أشياء، وكرهها ولم ينهَ عنها نهي حرام، إنّما نهى عنها نهي إعافة وكراهة، ثم رخّص فيها، فصار الأخذ برخصه (برخصته) واجباً على العباد كوجوب ما يأخذون بنهيه وعزائمه...»، وفي رواية الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٦٦ـ٢٦٧. وفي رواية زرارة الصحيحة على مبنى توثيق مُعلّى بن محمد: «عن أبي جعفر عليه السلام، قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله دية العين ودية النفس، وحرّم النبيذ وكلّ مسكر. وقال له رجل: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله من غير أن يكون جاء فيه شيء؟ قال: نعم، ليعلم مَن يطيع الله ممّن يعصيه». المصدر السابق: ص٢٦٧.

وما ثبت للنبي صلى الله عليه وآله ثابت لهم عليهم السلام إن لم يكن بنحو العموم ففي خصوص المورد؛ اعتماداً على بعض الروايات، ومنها: رواية عبد الله بن سنان التي هي صحيحة على مبنىً كما صرّح المجلسي رحمه الله في (مرآة العقول)، حيث قال: «**قال أبو عبد الله عليه السلام: لا والله، ما فوّض الله إلى أحد من خلقه إلّا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمّة؛ قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾**[1]، **وهي جارية في الأوصياء عليهم السلام**»[2].

وقد دلّت على ذلك روايات أُخرى، كرواية محمّد بن الحسين الميثمي، ورواية موسى بن أشيم، ورواية أبي إسحاق النحوي، وهي وإن كانت غير تامّة سنداً إلّا أنّها تصلح للتأييد.

فإذا التزمنا بثبوت الولاية التشريعية لهم عليهم السلام اعتماداً على مثل هذه الروايات، أمكن الالتزام بأنّ تشريع بعض المستحبّات في أصلها، أو في خصوصيّتها، حصل منهم إعمالاً لولايتهم التشريعية. ولا ينافي ذلك إكمال الشريعة في حياة النبي؛ فقد قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ عندما أعلن منصب الإمامة، التي هي قيادة الأُمّة، والتي تمتدّ إلى تشريع بعض الأحكام.

الثاني: الالتزام بأنّ الحكم جزء من منظومة الأحكام في حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، إلّا أنّه لم يصلنا ذلك الحكم عنه صلى الله عليه وآله، أو أنّه صلى الله عليه وآله لم يبيّنه في حينه، فكان دور الأئمّة عليهم السلام الكشف عنه لا تشريعه، وهذا لا يتوقّف على إنكار الولاية التشريعية لهم عليهم السلام.

فإن قيل: لا يمكن عدم بيانه من قبل النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنّ مهمّته صلى الله عليه وآله هي بيان جزئيّات الشريعة ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

قلنا: قد يكون المانع من البيان عدم تحقّق موضوع خارجي لذلك الحكم، وهل ترى بيان تشريع زيارة الأئمّة المتأخّرين ـ بل حتى المتقدّمين ممّا يؤدّى بعد وفاتهم ـ

(١) النساء: آية ١٠٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٢٦٧ـ٢٦٨.

(٣) النحل: آية ٤٤.

مناسبة في زمن النبي صلى الله عليه وآله، كأن يقول في حياته: إذا أردت زيارة قبر أمير المؤمنين أو قبر الحسين عليهما السلام فقل عند رأسه كذا، واقرأ عند قدميه كذا؟ أو هل من المناسب أن يشرّع النبي صلى الله عليه وآله دعاء الندبة مع أنّ ظرف قراءته هو زمن الغيبة؟ وماذا كان يشعر الراوي لو قرأ: أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية؟ أين المُعدّ لقطع دابر الظلمة...؟ أين المُدّخر لتجديد الفرائض والسنن؟ أين المتخيّر لإعادة الملّة والشريعة؟ وماذا كان سيشعر القارئ في زمن النبي صلى الله عليه وآله إذا مرّ على قوله في الدعاء نفسه: عزيز عليّ أن أُجاب دونك وأُناغى، عزيز عليّ أن أبكيك ويخذلك الورى، عزيز عليّ أن يجري عليك دونهم ما جرى، هل من مُعين فأُطيل معه العويل والبكاء؟ وغير ذلك كثير.

هذا؛ مضافاً إلى أنّ الذي دعا إلى أن يترك القرآن صراحة البيان في خصوص إمامة الأئمّة، ويترك التصريح باسم عليّ عليه السلام، وكذا بقية الأئمّة عليهم السلام، هو نفسه يدعو إلى ترك ذكر بعض الزيارات الخاصّة والأدعية الخاصّة، بل ربّما كان الداعي إلى النصّ على الإمامة أقوى من الداعي إلى التصدّي لبيان مثل هذه المستحبّات، لكنّ المانع ترك أثره هناك وهنا لو كان.

الخاتمة

إنّ الأصل هو عدم خصوصية الاستحباب في زيارة الأربعين، ولكنّ الدليل يمنع من التمسّك بالأصل، والاستدلال بالآية ـ الذي اعتمده البحث ـ تامّ بحسب ما تمّ التوصّل إليه، وأمّا الأدلّة الأُخرى التي تناولها البحث، فهي إن لم تكن بمستوى الاستناد إلى كلّ واحد منها مستقلاً لإثبات المدّعى، فإنّها تشكّل قرائن احتمالية تدعم ما استُظهر من الآية. والأخير منها ـ وهو ما تضمّن روايات (مَن بلغ) ـ يثبت استحقاق الثواب وإن حصل الشكّ في قاعدة (التسامح في أدلّة السُنن).

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١ـ بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي، الناشر: مؤسّسة الوفاء، لبنان ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢ـ تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلّاتي، الناشر: مؤسّسة إسماعيليان، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ.

٣ـ جواهر الكلام، محمد حسن النجفي، تحقيق: عبّاس القوجاني، الناشر: دار الكتب الإسلامية، إيران ـ طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ش.

٤ـ الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، الشيخ يوسف البحراني، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم المقدّسة.

٥ـ صراط النجاة، السيّد أبو القاسم الخوئي، الناشر: مكتب النشر المنتَخب، إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.

٦ـ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الناشر: دار العلم للجميع، لبنان ـ بيروت.

٧ـ كتاب الأمالي، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: الحسين أُستاذ ولي، وعلي أكبر الغفاري، الناشر: جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٨ـ كتاب الخصال، محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٩ـ كتاب الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران ـ طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ش.

١٠ـ كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء، جعفر كاشف الغطاء، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي، إيران ـ مشهد المقدّسة، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، إيران ـ قم المقدّسة، ١٣٨٠ش.
١١ـ لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، الناشر: أدب الحوزة، إيران ـ قم المقدّسة، ١٤٠٥هـ.
١٢ـ المجازات النبوية، محمد بن الحسين بن موسى الموسوي المعروف بالشريف الرضي، تحقيق: طه محمد الزيني، الناشر: مكتبة بصيرتي، إيران ـ قم المقدّسة.
١٣ـ مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تحقيق: أحمد الحسيني، الناشر: مكتبة مرتضوي، إيران ـ طهران، الطبعة الثانية، ١٣٦٢ش.
١٤ـ المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ.
١٥ـ مستمسك العروة الوثقى، محسن الطباطبائي الحكيم، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.
١٦ـ المستند في شرح العروة الوثقى (الصلاة)، أبو القاسم الخوئي، الناشر: مؤسّسة إحياء آثار الإمام الخوئي، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.
١٧ـ مصباح الفقيه، الآقا رضا الهمداني، تحقيق: المؤسّسة الجعفرية لإحياء التراث، الناشر: مؤسّسة المهدي الموعود عليه السلام، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.
١٨ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، إيران ـ قم المقدّسة، ١٤٠٤هـ.
١٩ـ مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلّامة، محمد جواد الحسيني العاملي، تحقيق: محمد باقر الخالصي، الناشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.
٢٠ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

أثر المنهجيّات في نهضة المعرفة الاجتماعية
مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام نموذجاً

د. الشيخ غالب الناصر

باحث إسلامي/ النجف الأشرف

The Impact of Methodologies on the Revival of Social Knowledge

– The Society of the Path of Imam Al-Husayn (PBUH) as a Sample

Dr. Shaykh Ghalib al-Nasir

Islamic researcher, Holy Najaf

ملخّص البحث

يتناول البحث الحصائل الفكرية المعاصرة التي تناولت مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام بالدراسة والتحليل لظواهر هذا المجتمع الديني، ولطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فيه، وأُسلوب هذه الدراسات في بحث الظواهر الثقافية، وذلك عن طريق استحضار الفرص المنهجية المتاحة في قراءة المجتمع الحسيني؛ باعتبارها مناهج يمكن أن يرتكز عليها البحث الاجتماعي في العالم جميعاً.

جاء البحث في قسمين: الأوّل: في المنهجيّات، وفي مجتمع طريق كربلاء. والثاني: في الوجوه المتصوّرة للنهضة المعرفية المترتّبة على هذه المنهجيّات.

ابتداءً بيّن الباحث المقصود من مفهوم النسق الاجتماعي، والنسق الثقافي؛ لما في التعريف بهما من الأهمّية في تحديد الموضوع المبحوث، مؤكّداً أنّ مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام ليس ظاهرة عابرة في الاجتماع الشيعي، بل هو مجتمع عضوي، وكيان يتّسم بالاستدامة البنيوية والوظيفية. ويرى أنّ فكرة النسق الاجتماعي، أو النسق الثقافي ـ كمفهوم جامع للنظم الاجتماعية والثقافية ـ من المعارف العلمية التي لا يمكن الاستغناء عنها عند دراسة مجتمع طريق كربلاء من حيث توصيفه، والعلاقات التي تربط بين أفراده وفئاته.

ثمّ انتقل الباحث إلى دراسة ظاهرة الزيارة، أو الشعائر الحسينية، والإشكاليّات المنهجية في دراستها، مؤكّداً أنّ بيان حدود الموضوع المستهدف له مدخلية كبيرة في اختيار المنهج. وفيما يرتبط بالروافد المنهجية للبحث الاجتماعي، تناول الباحث ـ بالدراسة ـ بعض المناهج التقليدية.

وفي القسم الثاني أشار إلى مجمل الفوائد المترتّبة على إعداد أُنموذج تصميميٍّ محاكٍ للواقع، يعتمد منهج الجدلية الديناميكي لدراسة الظاهرة الحسينية، مذكّراً بأنّ الحدث الحسيني يستدعي أنماطاً وحقولاً من التفكير والفهم لمقاربة الحقيقة.

وقد خُتم البحث بذكر أُمور مهمّة في إطار ترسيم الفهم لمجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين عليه السلام، الزيارة، الشعائر الحسينية، المعرفة الاجتماعية، النسق الاجتماعي، النسق الثقافي.

Abstract

This study addresses the contemporary intellectual outcomes that have dealt with the society of the path of Imam al-Husayn (PBUH) by studying and analyzing the phenomena of this religious society, the nature of the prevailing social relationships within it, and the method in these studies in researching cultural phenomena.

This was approached by invoking the methodological opportunities available when studying the Husayni society since these methodologies can be the frameworks of social research in this field.

The research is divided into two sections, the first focuses on methodologies and the study of the society of the path of Karbala, while the second discusses the perceived aspects of the epistemological revival resulting from these methodologies.

Firstly, the researcher clarifies what is intended by the concept of social system and cultural system, as defining them is necessary for determining the research subject. He asserts that the society of the path of Imam al-Husayn (PBUH) is not a passing phenomenon within the Shiite society; rather, it is a living society and an entity characterized by structural and functional sustainability.

He considers that the idea of a social system or cultural system, as a concept unifying the social and cultural construction, is part of the scientific knowledge substantial when studying the society of the path of Karbala in terms of its description and the relationships that connect its individuals and groups.

The researcher then moves on to study the phenomenon of the Ziyara or the Husayni rituals and the methodological problems of their study; confirming that stating the limits of the targeted topic is significant in selecting the methodology. Moreover, he explores some traditional methods concerning the methodological support of social research.

In the second section of the research, he points out the overall benefits resulting from creating a design model that reflects reality and that adopts the dynamic dialectical methodology to study the Husayni phe-

nomenon, reminding that the Husayni event requires various patterns and fields of thought and understanding to approach the truth.

Lastly, the study mentions important elements related to the construction of society's understanding of the path of Imam al-Husayn (PBUH).

Keywords: Imam al-Husayn (PBUH), Ziyara, Husayni rituals, social knowledge, social system, cultural system.

المقدّمة

موضوع البحث الذي بين يديّ القارئ العزيز هو الحصائل الفكرية المعاصرة التي تناولت مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام بالدراسة والتحليل لظواهر هذا المجتمع الديني، ولطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فيه، وأُسلوب هذه الدراسات في بحث الظواهر الثقافية، وقراءة الثقافة التي يمتثل لها هذا المجتمع أو تأوليها، والأبعاد المستقبلية لهذا الزحف الاجتماعي والفكري الديني، وأثره في التلاقح الثقافي بين الجماعات المختلفة في الداخل والخارج، ولا سيّما بعد التمدّد الكبير الذي حصل في حجم هذا المجتمع، وتزايد أعداد الزائرين، وحصول استمراريّته الوجودية على امتداد أيّام السنة؛ إذ انعكس ذلك على نشاط الفاعلين الاجتماعيّين، وأثرهم المحلّي والإقليمي والدولي، وهذا هو ما بدأ يظهر في كتابات الباحثين المهتمّين بالقضايا الاجتماعية عامّة، ومجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام خاصّة.

تُشكّل هذه الدراسات والبحوث التي تفكّر في هذا المجتمع وطرائقها المنهجيةَ في البحث، والمقاربات لهذا الواقع الحيوي، وتقدّم نماذج مثيرة ولافتة لتصاعد وتيرة البحث الاجتماعي والأنثروبولوجي الثقافي في العراق، وهو أمر على خلاف المتعارف؛ لما ثبت في دراسات ميدانية سابقة من وجود ضعف، أو عزوف كبير عن البحث الاجتماعي في العراق، وقد جاء في إحدى الدراسات عن وضع البحث الاجتماعي في العراق ما يأتي: «**تؤكّد حيثيّات هذه الدراسة وغيرها من اللقاءات، ما يستخلصه المرء من الزيارات الميدانية المباشرة، والاتّصالات مع طواقم أقسام العلوم الاجتماعية في جامعات بغداد والسليمانية وصلاح الدين وأربيل، والاطّلاع على مناهجها ومكتباتها، والالتقاء بأساتذتها ومحاضريها وطلبتها.**

إنّ هـذه الزيـارات والاتّصـالات ـ فضـلاً عن العمـل المباشر في هذه المؤسّسـات، والتشـاور مع الأسـاتذة المخضرمين، والمحاضرين البارزين، والمستشـارين الرسميّين ـ تدعم كلّها الفرضية الأساس القائلة بوجود ضعف بنيوي متراكم منذ عقود»[1].

ومع ذلك؛ فقد شكّل مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام فرصة متاحة كبيرة وغنية في المحتوى لتطوير البحث الاجتماعي؛ ولا سيّما في مجال استحضار المناهج المختلفة، وطرائق البحث الاجتماعي، إذ يحاول العديد من الباحثين صياغة نصّ، أو بناء سردية سوسـيولوجية، أو تأليف خطـاب علمي خاصّ بمجتمع طريق الإمام الحسـين عليه السلام كنسق اجتماعي، ومن ثمّ بيان نموذجه الثقافي.

يسـتلهم الباحثون عـادة صدقيّتهم العلمية من تلمّس واقـع الموضوع المبحوث أوّلاً، وهـو النسـق الاجتماعـي للمجتمع الحسـيني، وفعاليّات هذا النسـق الكثيرة، وذلـك من خلال المعايشـة الميدانية لهذا النسـق المجتمعي، ممّا يكسـب بحوثهم بُعداً تجريبيـاً. وكذلك من خلال التأمّل في فعاليّات هذا المجتمع، سـواء من موقع القراءة الحرفيـة، أم مـن خلال التأويـل الثقافي، وقراءة معنى المعنى في هذه الشـعائر، وذلك من أجل بناء تصوّر ثقافي وفكري عن هذا المجتمع، ومن ثمّ بناء مجموعة متّسـقة من التصوّرات التي يمكنها أن تُجيب عن عديد الأسـئلة والإشـكالات المدروسـة، ولا سـيّما أنّ الموضوع شـديد الصلة بالنواة الصلبة لنظرية المعرفة الإسلامية، ودورها في مجال بناء الرؤية الكونية، أي: عقائد الشـيعة الإمامية، وما يرون في شـخصية الإمام الحسين عليه السلام من العصمة، ومشروعية الثورة ضدّ الظالمين، ووجوب المواساة على هذه المظلومية، وضمان الثواب الأبدي في هذا الطريق.

كـما يسـتلهم الباحثـون في مجتمع طريق كربـلاء صدقيّتهم العلمية من الأُسـس المنهجية، ومنطق التفكير، والخيال العلمي، الذي تصدّى لدراسـة مجتمعات أُخرى،

(١) فريق أبحاث، وضع العلوم الاجتماعية في الجامعات العراقية: ص٦.

فشكّلت هذه الأُسس البحثية، والمناهج، ومنطق التفكير في المجتمع، حصائل فكرية عالمية لا يمكن التنكّر لها عند محاولة تقديم قراءة علمية للمجتمع المبحوث فيه، ولا سيّما أنّ هذه المناهج وطرائق التفكير قد اجتازت اختبارات عالمية في البحث الاجتماعي، ومن ثمّ شكّلت خلاصةَ التجارب التاريخية في هذا الحقل العلمي، ودخولُها كروافد علمية لبحث دور الفاعلين الاجتماعيّين في طريق كربلاء، أمر في غاية الأهمّية؛ لما تكشفه من أبعاد مستقبلية لهذا النشاط الاجتماعي.

وبعد التوسّع في مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام، والتوسّع العلمي والبحثي في تناول هذا الموضوع، ونتيجة التشقيق في أبعاده، والتعدّدية الواسعة في المناهج العلمية التي تتعاطى مع هذا الموضوع، والإشكالات فيه، تحتّم علينا في هذه المرحلة الوقوف على طرائق التفكير في هذا المجتمع، وأنماط الدراسات، ومناهج البحث الاجتماعية الموظّفة في النظر إلى مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ الوقوف على أبعادها العلمية العميقة في النظر إلى بنية هذا المجتمع ووظائفه، أو عند تقرير تطوّر المجتمعات، وبناء النماذج التي تحكي قصّة التغيّر الاجتماعي التلقائي، أو التغيير الاجتماعي المخطّط للانتقال من مرحلة إلى أُخرى، التي يمكن توظيفها في دراسة مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام.

من هنا؛ يمكن الجزم بأهمّية هذه الحصائل الفكرية عند المفكّرين العراقيّين في مجال التفكير في المجتمع، وقدرتها على تحقيق نهضة معرفية في هذا الحقل العلمي الحيوي، من خلال رفدها للذهنية البحثية في المجالات الاجتماعية بموضوعات حيوية قابلة للملاحظة، ومن ثمّ الإسراء بهذه النهضة إلى المجتمع الحسيني نفسه، من خلال تحقيق النمو في التراكم الذهني لمَن يهتمّ بهذه البحوث والدراسات من المثقّفين والمطّلعين وعموم المتلقّين في هذا المجتمع، وبالتالي زيادة الفاعلية الفردية، والفاعلية الاجتماعية، وصولاً إلى الفاعلية الحضارية، فهي صدقية جامعة بين واقع اجتماعي ملموس يستحضر معطيات نظرية المعرفة الإسلامية ورؤيتها الكونية،

وأُنموذج فكري معاصر يستحضر نظرية المعرفة الحديثة والمعاصرة في الدخول إلى فضاء المجتمع الحسيني ودراسته ثقافياً.

وسوف يكون تناولي لهذه الحصائل الفكرية الرائعة بالتأكيد ليس من خلال الاستقراء المباشر والبسيط ـ على طريقة المعاجم ـ في قراءة المنجز الفكري لهؤلاء الباحثين والكتّاب المبدعين، أو من خلال التأويل والنقد لما توصّلوا إليه في ضوء هذا الجمع المعبّر بشدّة عن تفتّحهم الفكري، وسعة اطّلاعهم الثقافي، وقدراتهم الأكاديمية على استيعاب المنجز العالمي في مجال الدراسات الاجتماعية ومناهجها، وتوظيف هذه المنجزات الكونية في قراءة المجتمعات المحلية، أو الفرعية، أو الواسعة، كما هو الحال مع مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام.

بل سيكون التناول عن طريق استحضار الفرص المنهجية المتاحة في قراءة المجتمع الحسيني، وهذه الفرص يمكن القول أنّها هي الفرص المتاحة عالمياً كمناهج يرتكز عليها البحث الاجتماعي في العالم جميعاً، وهي المشهود لها في تشكّل أيّ معرفة اجتماعية، كما أنّها تمثّل الأساس الذي يضمن أيّ نهضة مؤمّلة في هذا الحقل العلمي.

من هنا؛ سنعرف كيف شكّلت هذه المنهجيات ومراعاتها عند عدد من الباحثين العراقيّين الأجلّاء ضمانات حقيقة لنهضة معرفية في البحث الاجتماعي، ويمكن أن تؤوّل هذه النهضة المعرفية مع استمرارها وتفاعلها مع الوسط الاجتماعي إلى نمط من التطوّر المجتمعي، وتزايد الأعداد الواعية في طريق الإمام الحسين عليه السلام، وهي تعمل في المقابل على إيجاد نهضة متبادلة في هذا المجتمع ككلّ مترابط.

وقد جاء البحث في قسمين: الأوّل: في المنهجيّات والبحث في مجتمع طريق كربلاء. والثاني: في الوجوه المتصوّرة للنهضة المعرفية المترتّبة على هذه المنهجيّات.

القسم الأوّل: في البحث الاجتماعي

في البدء لا بُدّ من بيان المقصود من مفهوم النسق الاجتماعي، وكذلك المقصود

من النسق الثقافي؛ وذلك لما في التعريف بهما من الأهمّية في تحديد الموضوع المبحوث في مجتمع الطريق الحسيني، ثمّ البحث فيما يترتّب على تحديد الموضوع من الأولويات المنهجية.

النسق الاجتماعي (Social System)

كانت النظريات الاجتماعية الكلاسيكية تنظر إلى الكيان الاجتماعي كفضاء كلّي متجانس، بكلّ ما يتضمّنه من صراعات أو توافقات، ومع اقتراب النظرية الاجتماعية من الواقع أكثر اتّضح أنّ المجتمع يتشكّل من حواضن اجتماعية جزئية، ومجتمعات محلّية فرعية، وبذلك رفض علماء الاجتماع الذين يتبنّون منظور الفعل الاجتماعي، فكرةَ تأسيس نظرية في المجتمع على تصوّر ينظر إلى المجتمع ككيان كلّي واحد أو منسجم[1]، وبذلك تمّ التمهيد لظهور فكرة النسق الاجتماعي الذي يضمّ نمطاً من الفاعلين الاجتماعيّين.

يجري التعبير اليوم عن مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام وتصويره بالنسق الاجتماعي، وليس بالظاهرة الاجتماعية، فما المقصود بمفهوم (النسق) في علم الاجتماع؟ وهل يشكّل مجتمع طريق كربلاء نسقاً اجتماعياً متكاملاً من حيث العناصر والمكوّنات، ومن حيث الروابط والعلاقات، ومن حيث الوظائف والفعّاليات، وغير ذلك من الموضوعات الحياتية أو المشكلات المرتبطة بالمجتمع بمعناه العامّ والسائد؟

في البدء لا بُدّ من التأكيد على أنّ مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام ليس ظاهرة عابرة في الاجتماع الشيعي، تزول بزوال الدواعي التي أوجدتها، أو كيان مؤقّت ينتفي عند انتفاء الحاجة إليه في المدى المنظور أو البعيد، بل هو مجتمع عضوي، وكيان يتّسم بالاستدامة البنيوية والوظيفية، والنمو المتواصل؛ وذلك لأسباب دينية وتاريخية وسياسية وحضارية عديدة، شكّلت ـ بمجموعها ـ الثقافة الحسينية،

(١) أُنظر: تشيرتون، ميل، وبراون، وآن، علم الاجتماع النظرية والمنهج: ص٩٣.

والمجتمع الحسيني، وسيكون من مهامّ هذه الأُطروحة بيان جانب منها.

لاحظنا عند مراجعة كثير من البحوث التي تتعاطى مع موضوع مجتمع طريق كربلاء كنسق ونظام فكري وثقافي ديني، أنّها تواجه منذ بداية البحث إشكالية تحديد الموضوع المبحوث فيه كمركز للنظر والتحليل يتقدّم على غيره من الموضوعات، ومن ثمّ يشكّل المنظور الكلّي في البحث.

ومن المؤكّد أنّ هذه الإشكالية سوف تنعكس على نوع المنهج، وطريقة التفكير، فمَن يعمل على تحديد الموضوع بالنسق الاجتماعي، ويجعل من هذا التحديد طريقاً لبناء الأُنموذج الكلّي، سيقع في مشكلة تأويل الفكر، وقراءة المحرّكات الثقافية لهذا النسق، ومن ثمّ يزحف البحث من النظر فيما هو اجتماعي نحو النظر فيما هو ثقافي وفكري، وفي المحرّكات والدوافع؛ من هنا نؤكّد باستمرار على أنّ موضوع البحث هو النسق الاجتماعي السائر.

يُعدّ مفهوم (النسق الاجتماعي) من المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع المعاصر؛ إذ برز مع كتاب (النسق الاجتماعي The Social System)، الصادر عام (١٩٥١م) للكاتب (تالكوت بارسونز)، وقد طالب المؤلّف في هذا الكتاب عند دراسة مجتمع معيّن، كموضوع بحث، بدراسته من حيث البنية والتكوين أوّلاً، ومن حيث الروابط والعلاقات ثانياً، ومن حيث الوظيفة والاستمرارية التي تحفظ له البقاء في الوجود ثالثاً، وأطلق على هذا المجتمع المدروس النسق، بمعنى أنّه يُشير إلى منظومة، أو كيان متعدّد الأبعاد، أو نظام اجتماعي متكامل قادر على الاستمرار، وعدم التلاشي[1].

لقد قاربت هذه الرؤية بعض أشكال هذا المفهوم: النسق بين المنظومات أو الفضاءات الطبيعية والصناعية والإنسانية من خلال فكرة النظام أو الكيان أو الفضاء الذي يتضمّن المدخلات والمخرجات، ولا ريب أنّ بين هذه المدخلات والمخرجات

(١) أُنظر: لومان، نيكولاس، مدخل إلى نظرية الأنساق: ص٢١.

تقع العمليات والأنشطة الأساسية للنظام، وهكذا قارب مفهوم (النسق) بين ما يجري في العلوم الطبيعية من نظم فرعية، وبين ما هو موجود في الكيانات الاجتماعية الجزئية من فعاليات، مع أنّ مفهوم النسق الاجتماعي أوسع بكثير من مفهوم النظم القائم على أساس موديل المدخلات والعمليات والمخرجات؛ وذلك لمحدودية تمثيل المنظّمة للواقع الاجتماعي، فقد: «**انطلقت نظرية أو مدرسة النظم من حقيقة اعتبار المنظّمة وحدة اجتماعية هادفة، وجعلت ذلك المنطلق قاعدة فكرية في التعامل مع المتغيّرات التي أرست جوانبها النظرية، وقد عرف النظام بأنّه الكيان المنظّم والمركّب الذي يجمع ويربط بين الأشياء والأجزاء التي تكوّن بمجموعها تركيباً كلّياً موحّداً**»[1].

ولكن يبقى هذا الأُنموذج من أبرز مصاديق مفهوم الأنساق، وتُعدّ الآن نماذج النظم العامّة، أو الأنساق الكبرى من التراث المعرفي العلمي الرصين لهذا المفهوم الواسع.

ولا ريب أنّ الأُنموذج يحاول أن يصوّر الواقع، ويرسم معالمه، ويشرحها بشكل أفضل من التعبير عن ذلك بالنظرية التي تحاول عادة رصد العلاقات السببية، وليس تقديم الشرح والتأويلات المتعدّدة للموقف الاجتماعي والثقافي للنسق؛ لأنّ الأُنموذج قد يضمّ العديد من النظريات والمفاهيم، ويتخطّاها إلى ترسيم السياسات الخاصّة بالأُنموذج.

والنسق بشكل عامّ: نمط من العلاقات بين مجموعة من العناصر داخل منظومة محدّدة، وكلٌّ يملك خواصّ ترتبط به، وتتولّد من وجوده، خلافاً لغيره من الأنساق.

كما ويُنظر إلى النسق باعتبار أنّ لديه استعداداً ذاتياً كامناً نحو التوازن؛ ومن هنا يكون تحليل الأنساق تحليلاً لقدراتها الذاتية على تحقيق التوازن، والمحافظة عليه من خلال الترابط الداخلي للعناصر، والترابط الخارجي مع البيئة المحيطة بالنسق، التي

(١) الشماع، خليل محمد حسن، ود. خضير كاظم حمود، نظرية المنظّمة: ص٨٣.

يبدو فيها مميّزاً عن غيره من الأنساق[1].

أمّا بشأن خواصّ النسق وسماته الداخلية، فقد طوّر عالم الاجتماع (انتوني غِدنز) في كتابه (المشكلات الأساسية للنظرية الاجتماعية) دراسة النسق من خلال التدقيق في الخواصّ والسمات التي وجدها ترتبط بالفاعل الاجتماعي في النسق: إنّ الخواصّ أو السمات المنسوبة للنسق الاجتماعي، إنّما هي خواصّ الفاعلين الاجتماعيّين داخل النسق، وفي إطار الفعل الاجتماعي؛ إذ يجري إنتاج هذه الخواصّ وإعادة إنتاجها من خلال ممارسات اجتماعية روتينية يتمّ ترسيخها بمرور الوقت، ومن ثمّ فإنّ الخواصّ المنظّمة للأنساق الاجتماعية تنشأ من طبيعة الفعل الاجتماعي الذي يُمارسه النسق ومعناه[2]؛ ومن هنا ينفتح باب الكلام عن صلة النسق الاجتماعي بالمحتوى الفكري والثقافي.

النسق الثقافي (culture System)

أمّا بشأن النسق الثقافي، فهو تعبير عن الخواصّ والسمات الثقافية المكتسبة بالتعلّم، والمرتبطة بالفعل الاجتماعي للفاعلين داخل النسق الاجتماعي كممارسة ذات معنى تواصلي، وبالتالي تجتمع ثلاثة خصائص في النسق الثقافي، هي:

أوّلاً: القدرة على الأداء في مجال الممارسة الثقافية، كالقدرة على التكلّم بأكثر من لغة.

ثانياً: الدلالة على المعنى، كما في فعل زيارة قبور الشهداء، أو الأقارب، أو المرضى.

ثالثاً: الاشتراك مع الآخرين في العمل الاجتماعي؛ باعتبار أنّ الفاعل الاجتماعي والثقافي هو جزء من مجموعة من المشاركين في النسق، ويتقاسم معهم القيام بنفس الفعل[3].

ويمكن القول من الآن: إنّ فكرة النسق الاجتماعي، أو النسق الثقافي، كمفهوم جامع للنظم الاجتماعية والثقافية، أو كنظرية خاصّة بدراسة الكيانات الاجتماعية

(١) أُنظر: سكوت، جون، ومارشال، جوردن، موسوعة علم الاجتماع: ج٣، ص٤٠٤.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٤٠٥.

(٣) أُنظر: دورانتي، ألسندرو، الأنثروبولوجيا الألسنية: ص٤١.

والثقافية وتغيّرها، أو كرؤية تُعنى بتفسير السلوك الاجتماعي والثقافي داخل النسق، من المعارف العلمية التي لا يمكن الاستغناء عنها عند دراسة مجتمع طريق كربلاء، من حيث توصيف بنية هذا المجتمع الذي أصبح كياناً عالمياً وتكوينه، ومن حيث العلاقات والارتباطات الموجودة بين أفراده وفئاته، وكذلك عند دراسة محتوى هذا المجتمع الثقافي والحضاري ووظائفه، وقدرته على الاستمرارية والبقاء، وكيف يبقى متعايشاً مع الأنساق الأُخرى، ومتفاعلاً ومؤثّراً.

وفي ضوء هذه الرؤية العلمية لا بُدّ لهذا المفهوم ـ وهو النسق ـ أن يكون جزءاً أساسياً من الخطاب الاجتماعي والثقافي المعاصر الذي يتصدّى بشكل علمي للبحث عن مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام أو ثقافته، ومن ثمّ له أبلغ الأثر في التوجّهات المنهجية والنتائج البحثية، وسوف نلاحظ كيف أنّ الباحث (سليم جوهر) قد درس في كتابه تشكّل النسق في المجتمع الحسيني ضمن عنوان: مجتمع يتشكّل، وذلك في إطار أوسع، وهو: (عندما يتشكّل الرمز ثقافة وهوية)[1].

ظاهرة الزيارة أو الشعائر الحسينية

وفي ضوء ما ذكرناه في تعريف النسق الاجتماعي يظهر كيف أنّ مَن يبحث من الدارسين مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام على أنّه مجرّد ظاهرة طقوسية وشعائرية في المجتمع الكبير العامّ وهو العراق، ثمّ يشرع في التأويل الفكري والثقافي لهذه الظاهرة الخاصّة في المجتمع العامّ؛ وذلك بغية رسم أُنموذج فكري وثقافي لهذه الظاهرة، سوف يزحف البحث عند هذا الباحث من موضوع مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام الخاصّ نحو المجتمع العامّ، ممّا يحدث خللاً منهجياً في أصل تحديد الموضوع في البحث، ومن ثمّ يقع في إشكالية عدم التمييز بين النسق الاجتماعي الخاصّ ونظامه المميّز، الذي يتضمّن آلاف الظواهر، ونموذجه الفكري والثقافي الخاصّ به المنتِج

(١) أُنظر: جوهر، سليم، عندما يتشكّل الرمز ثقافة وهوية: الممارسات الثقافية لزيارة الأربعين.

للظواهر، وبين مفهوم الظاهرة الاجتماعية الطقسية، أو الشعائر التي تتطلّب البحث في العلل والأسباب، أو تتطلّب تأويلاً.

وهذا الخلط بين النسق الاجتماعي الحسيني صاحب الظواهر الكثيرة، وبين عدّه مجرّد ظاهرة في المجتمع العراقي، هذا الخلط في الموضوع يعكس إشكالية منهجية يتشتّت في إطارها الباحث بين ما هو اعتباري قابل للزوال، من قبيل الظواهر وما يلحق بها من العوارض، وبين ما هو جوهري ووجوده عضوي مستدام، وهو منشأ للظواهر الكثيرة والعوارض، كما يستبدل البحث فيما هو عامّ وأكثر تشتّتاً وضبابية، أي: النسق الاجتماعي العامّ وظواهره، بما هو خاصّ وأكثر تحديداً ووضوحاً، أي: النسق الاجتماعي الحسيني.

حدود الموضوع

وعلى فرض أنّ الباحث قد تجاوز الإشكالية المنهجية الأُولى، وكذلك الثانية، وحسم أمره في اختيار دراسة النسق الاجتماعي الحسيني، وعدّه مصدراً للظواهر الكثيرة الإنسانية والدينية، وغير ذلك ممّا يرتبط بالنسق الاجتماعي من قضايا: الوظائف، والتوجّهات، والتكامل، والتدرّج الاجتماعي، والإدارة، والقيادة، والتمويل. أو أنّ الباحث قد اختار وحسم أمره في التوجّه مباشرة نحو بناء الأُنموذج الثقافي لهذا المجتمع، وقرّر البحث فيما يرتبط بالفكر والثقافة من مشكلات وقضايا: الفعل الإنساني ودوافعه، والعلاقة مع المقدّس، والتلاقح الفكري، أو الكشف عن الرموز، أو التأويل للتصوّرات والأفعال الأخلاقية، والمصادر الضامنة لها، وغير ذلك ممّا يرتبط بالفعل الفكري والثقافي لهذا المجتمع، والفاعلين الاجتماعيّين فيه، فهنا لا بُدّ للباحث أن يُبيّن حدود الموضوع المستهدف وأسواره؛ لأنّ لذلك مدخلية كبيرة في اختيار المنهج، وهل هو بصدد بيان بعض الأجزاء والمكوّنات في هذا الأُنموذج الفكري والثقافي، من قبيل قضايا: الرؤية الكونية، أو التاريخ والذاكرة

المشكّلة لهذه الثقافة، أو موضوع المحاكاة والتقليد والتكرار في الأفعال، أو الرموز واللغة والتعابير السائدة في هذا النسق. أو هو بصدد بيان خصائص وسمات هوية هذا المجتمع؟

أولوية النسق الثقافي

يذكر المختصّون في مجال النظرية الاجتماعية بعامّة، ومجال علم اجتماع الثقافة بوجه خاصّ، أنّ تحوّلاً استراتيجياً أساسياً حصل للنظرية الاجتماعية، بأن انتقل البحث من تحليل البناء الاجتماعي إلى دراسة التصوّرات الثقافية وتمثيلاتها، وذلك بفضل البحوث التي أثبتت الأثر البالغ للثقافة، ودورها في تشكيل المجتمع، الأمر الذي يترتّب عليه ضرورة ـ عند البحث في مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام وثقافته ـ الجمع بين معطيات النظرية الاجتماعية ومعطيات النظرية الثقافية، ومن المؤكّد أنّه لا أولوية للنسق الاجتماعي أو للثقافي أحدهما من الآخر؛ وذلك بسبب وجود الجدلية التفاعلية القائمة بين النسقين، وهما يتفاعلان على امتداد تطوّرهما، فيشكّل كلّ منهما رافداً لتطوّر الآخر، كما سنرى عند التطرّق إلى الأبعاد الوظيفية والصراعية والتفاعلية والظاهراتية لهما.

من هنا؛ يشكّل الاختيار أو التفاضل البحثي بين موضوع النسق الاجتماعي وموضوع بناء الأُنموذج الفكري والثقافي فرصة كبيرة للتباين في التحليلات والتعليلات، والترابط بين المتغيّرات المختلفة بين هذين الموضوعين، ولا سيمّا مع وجود التداخل الاجتماعي في النسق بين مكوّنات عراقية داخلية متباينة، ومكوّنات من خارج النسق العراقي.

ولا ريب أنّ من العوامل المؤثّرة في البحث هي المفاهيم، ومحاولات الوصول إلى مفاهيم أو منظورات معاصرة خاصّة بهذا النسق، ونحت المصطلحات الخاصّة به، وعدم التعويل على ما هو سائد من المفاهيم والمنظورات والمصطلحات، بل لا بُدّ من ترميم لغة خاصّة بالبحث في مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام وتطويرها.

الروافد المنهجية للبحث الاجتماعي

لقد شكّلت الإشكالات السابقة وضرورة التوصّل إلى حلول لها فرصة بحثية للنظر في الكثير من الدراسات التي صدرت في مجال دراسة المجتمع الحسيني، ومع ذلك يمكن الاعتماد على العديد من المناهج العالمية التي شكّلت روافد تقليدية في تطوير البحث الاجتماعي العامّ.

لقد بلغ الخطاب الاجتماعي والثقافي المعاصر مستوى متطوّراً، ولا سيّما في الدراسات المعاصرة التي تصدر في العالم، سواء على مستوى المنهج البحثي وطرح الإشكاليات المذهبية المتبادلة بين المجتمع والثقافة، أم على مستوى المفاهيم المستخدمة، أم على مستوى النظريات الفاحصة للمجتمع والبنى الثقافية السائدة، أم على مستوى التطبيقات والمجالات والأفعال الاجتماعية والممارسات الثقافية قيد البحث، وفي مقدّمتها مجال التغيير الاجتماعي وإعادة البناء الثقافي والفكري، من أجل النهوض بالحواضن الاجتماعية المختلفة.

ومع ما ذكرناه من ضرورة التنقيح والترميم والتطوير لهذه المناهج، فهي تمثّل فرصة كبيرة ومتاحة في الواقع لقراءة النسق الاجتماعي لطريق كربلاء، ومن ثمّ فهي فرصة معرفية متاحة لتحقيق نهضة جديدة في عالم الاجتماع المعاصر، ولا بُدّ أن تطال بآثارها حركية المجتمع بشكل أو بآخر. ويمكن ذكر بعض هذه المناهج أو حصرها فيما يأتي:

- المنهج البنائي الوظيفي والتفكير في المجتمع.
- نظرية التبادل الاجتماعي واستراتيجيات الفهم.
- نظرية الصراع وتثبّت المقاومة.
- الطريقة الظاهرية وبناء الرؤية الكونية في مجتمع تعدّدي.
- التفاعل الرمزي والفعل الاجتماعي في مجال تقديم القربان والتضحية والبذل.

القسم الثاني: النهضة المعرفية المترتّبة على هذه المنهجيّات

ذكرنا أكثر من مرّة أنّ التداخل بين الموضوع الاجتماعي والموضوع الثقافي هو حصيلة التقاء التحليل العلمي للبناء الاجتماعي مع الدراسات في مجال التصوّرات والتمثيلات الثقافية[1]، وبذلك تداخلت المجالات الثلاثة الكبرى للثقافات: العلوم الطبيعية بلحاظ مناهجها في البحث، وهي تُعنى بالظواهر الطبيعية والتنبّؤ بمستقبلها. والعلوم الاجتماعية، وهي تُعنى بدراسة الظواهر الاجتماعية والنفسية والتنبّؤ بمسارها المستقبلي. والعلوم الإنسانية، وهي تُعنى بدراسة المعاني والدلالات والرموز التي يضفيها الناس إلى الوقائع والنصوص[2].

وكان من النتائج المترتّبة على هذا التداخل الواسع هو اجتماع أكثر من منهج علمي في البحث، والتقاء هذه المناهج على التفسيرات تارة، والتأويلات تارة أُخرى، يقول (كليفورد) في تأويل الثقافات: «**أنا أنظر إلى الثقافة على أنّها هذه الشبكات الرمزية، وأرى أنّ تحليلها لا يكون علماً تجريبياً يبحث عن قانون، بل علماً تأويلياً يبحث عن المعنى... فأنا أبحث عن الشرح، شرح التعبيرات الاجتماعية وإجلاء غوامضها الظاهرة على السطح**»[3].

يمكن توظيف نقاط القوّة الكثيرة في هذا المنهج وتعبئتها في مجالات الفهم والنقد والإنتاج السوسيولوجي؛ لبناء سردية سسيولوجية تحاكي الوجود الواقعي لهذا المجتمع وحراكه، وتكشف عن أسرار دوافعه المعلنة والخفية، وصيرورته في التحوّل التلقائي، والتغيير المخطّط أيضاً، وهي فرصة سانحة لبناء علم اجتماع

(١) أُنظر: إدواردز، تيم، النظرية الثقافية، وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة: ص٧.

(٢) أُنظر: كيغان، جيروم، الثقافات الثلاث، العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات في القرن العشرين: ص٢١.

(٣) كليفورد، غيرتز، تأويل الثقافات: ص٨٢.

إسلامي يمكن تطويره لدراسة حالات مقاربة في الاجتماع الإسلامي، تعيش جدلية الارتقاء في ضوء المثل الإلهي الأعلى ومصاديقه المحسوسة في حياتنا اليومية، وبالتالي خلق حالة من الانسجام بين التوجّهات الثقافية لمجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام، والوضع الحضاري العامّ المحيط بهذا النسق، ممّا يؤمّن فاعلية أكبر للانتشار الثقافي لهذا الأُنموذج عالمياً.

وعلى صعيد الأُنموذج، يمكن إجمال الفوائد المتوخّاة من إعداد هذا الأُنموذج التصميمي الذي يحاكي الواقع، والذي يعتمد فكرة أو منهج الجدلية الديناميكي في أربع نقاط:

أوّلاً: اكتشاف العناصر الرئيسة، أو الأجزاء المكوّنة والداخلة في أُنموذج الثقافة الحسيني ومجتمع طريق كربلاء، وكذلك تأشير العناصر الفرعية الدقيقة والمكوّنة للأجزاء الرئيسة وضبطها.

ثانياً: رصد الترابطات الموجودة بين الأجزاء والعناصر الرئيسة والفرعية والحلقات الواصلة بين هذه الأجزاء؛ لما لهذه الروابط من الأهمّية في متانة الأُنموذج واستمرارية عمله بشكل متراصّ وتماسكه.

ثالثاً: اكتشاف آليات عمل الأجزاء والعناصر في الأُنموذج، ورصد وظائفها الأساسية والفرعية في إعادة إنتاج الفعل الاجتماعي والثقافي، ودرجة تكراره بما يؤمّن تطوّر الأداء، وتكريس المعنى، وتوسيع الاشتراك.

رابعاً: يساعد إعداد النماذج في رصد وضبط تطوّر الأجزاء بفعل عمل النسق الدائم، وبالتالي رصد المستقبل، والتنبّؤ بالتبدّل في الأُولويات، وظهور المشكلات، والتوسّع على حساب الأنساق الأُخرى، والتحوّل في مجمل الخرائط الاجتماعية والثقافية.

كما يمكن لهذا الأُنموذج، ولهذه الجدلية أن تُساعدنا في المجالات الآتية: الفهم النظري والواقعي الاجتماعي، ومجال النقد والفرز في القيم والأخلاق، وكذلك في مجال التخطيط وإعادة البناء والتغيير، وهذا ما سنفصلّه جزئياً.

الحدث الحسيني يستدعي أنماطاً من الفهم، وحقولاً من التفكير والتأمّل، بهدف مقاربة الحقيقة في مجالات المجتمع والثقافة والرؤية الكونية التي تؤسّس لتلك الثقافة، وبيان حجم الترابط بين هذه الحقول المعرفية، والتأثير المتبادل بين عناصرها المختلفة بمرور الزمن، والاحتكاك بالمجتمعات والثقافات الأُخرى، وما يمليه من تأثيرات معرفية، ومحاكاة للآخرين في المجال الثقافي.

لا ريب أنّ إعداد أُنموذج نظري محاكٍ للثقافة الحسينية، وللمجتمع الحسيني، على طريقة عمل المهندسين في إعداد النماذج المعمارية التي تحاكي الواقع، أو الإداريّين في مجال النُظُم المؤسّسية وعملها، يُساعد كثيراً في فهم حراك هذا المجتمع، وطريقة الاشتغال الثقافي عند مكوّناته الإنسانية.

لقد كتب الغربيّون العديد من النظريات من أجل فهم أنماط الحراك الإنساني في الفضاء الاجتماعي، والمحرّكات الكامنة وراء هذا الحراك الكلّي، وفي طليعة هذه النظريات: النظريات الكلاسيكية[1]:

١ـ المجتمع هو فضاء من الصراعات وتضارب المصالح والرؤى.

ونجد أنّ هذا الفكر أظهر صوراً عديدة للصراعات الاجتماعية، تبدأ بالصراعات الجزئية بين الأفراد، وتنتهي بالصراعات الكونية والعالمية[2].

٢ـ المجتمع هو فضاء من التوافقات والإجماعات والجماعات المتحالفة فيما بينها وظيفياً.

ويرى هذا الفكر ـ في إطار منهج المقاربات الوضعية ـ أنّ ابتكار الثقافة وخلق الحضارة من وجهة علم الطاقة ليس إلّا تحويل الطاقة أو انتقالها من صورتها الفجّة

(١) أُنظر: تشيرتون، ميل، وبراون، آن، علم الاجتماع.. النظرية والمنهج: ص٢٥.

(٢) أُنظر: معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي: ص١١.

غـير النافعـة إلى طاقة نافعـة، وكلّما كانت معامـل الطاقة المتحصّلة مـن هذا الانتقال أو التحويـل عظيمة، كان تقـدّم الحضارة أكثر وأعظـم... إنّ المجتمع باعتباره مجمع الأفراد الذين يشـتغلون سوية لغاية مشتركة، هو تنظيمٌ غرضه استغلال الطاقة الخام استغلالاً أفضل، وتحويلها تحويلاً أكثر كمالاً إلى طاقة مفيدة[1].

٣ـ المجتمع هو فضاء من الهيمنة الذكورية.

وقد وجدت الكتابات النسوية طريقها لتكوّن فلسفة للمرأة ورؤيتها الثقافية في المواجهة مع المركزية الغربية؛ إذ: «**سـادت مركزية الحضارة الغربية العالمين؛ بسبب المدّ الاستعماري، وقهرت ثالوث الأطراف: قهرت المرأة، وقهرت الطبيعة، وقهرت شعوب العالم الثالث. وجاءت الفلسـفة النسوية وخطاب ما بعد الكولونيالية نازعة إلى تقويض مركزية العقل الذكوري؛ تحريراً للمرأة وقيمها الأُنثوية، وبالمثل تحريراً للبيئة، ولشعوب العالم الثالث**»[2].

٤ـ المجتمع ليس فضاءً موحّداً، بل فضاءات من الممارسات الاجتماعية والثقافية ذات المدلولات والمعاني المختلفة في مجال الثقافة ودلالات الرموز.

قدّمـت هـذه النظريات بعـض المسـاعدة العلمية في فهـم المجتمعـات العالمية، وحقيقة الحراك الإنسـاني فيها، إلّا أنّها قدّمت فهماً مختزلاً للثقافة والمجتمع، ولم تفسّر كلّ شيء، فمضى علماء الاجتماع قدماً في إعطاء مزيد من التفسيرات والتأويلات من أجـل إيجاد التصوّرات الصحيحـة للمجتمع والثقافة، وطريقـة صياغة مجتمع تجعل حياة الإنسـان أكثر أمناً، وأكثر اسـتقراراً، وأكثر قابلية للاسـتمرار، ولا سيّما في مجال الإجابة عن الأسئلة الكبرى: من أين؟ وفي أين؟ وإلى أين؟ وذلك من خلال الثقافة، ومركز قيادتها، والرؤية الكونية؛ إذ إنّ غياب هذه التصوّرات السليمة يقود إلى العماء

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص١٢٠.

(٢) أُنظر: بعلي، حفناوي، بانوراما النقد النسوي في خطابات الناقدات المصريّات: ص١٩ـ٢٠.

في الرؤيـة، والهـذاء في التعبـير، والأخطاء في اتّخاذ السـلوكيات المناسـبة، وفي اختيار السـبل الصحيحة، ولا سـيّما في مجال حلول المشكلات الاجتماعية والإنسانية، وهذه هي أهميّة الفهم السليم، ومقدّماته المنهجية.

أمّـا بالنسـبة إلى مقاربـة الفهم في مجتمع طريـق الإمام الحسـين عليه السلام، والأُنموذج الثقـافي الملائـم لبُنيته العقدية ورؤيته الكونية، فهو أوسـع مـن أن يُحاط به من خلال النظريـات، أو النـماذج ذات الفهم المحدود، وما يقدّم هنا هـو مجرّد محاولة متواضعة مـن أجل المزيـد من الفهم والوضوح، ولا بُدّ أوّلاً من بناء قاعدة من المعطيات، التي تغذّي عناصر الأُنموذج الرئيسة، وكذلك تُحدّد الروابط بين مكوّنات هذا الأُنموذج، والتفاعلات الاجتماعية والثقافية، ومن ثمّ تُساعد على استشراف أبعاده المستقبلية.

فهنالك **أوّلاً**: الثورة والخروج لمواجهة الإرهاب الأُموي ضدّ الإسـلام، وتشـويه معالم الدين الذي أسّس لكلّ إرهاب لاحق في العالم الإسلامي من أجل صرف الأُمم عن عظمة الإسلام وثقافته، وكان مراد الثوار الجدّي من هذا التحرّك الإصلاحي بوجه الظالمين هو حفظ الدين، مع التصريح المباشر بمسـار النهايات الحزينة والاستشـهاد، وكيـف أصبح الحزن والألم على مصاب العـترة الطاهرة ـ التي ضحّت من أجل الدين الإسلامي ـ جزءاً من فلسفة الخلاص والتقرّب من عتبات الثواب الأُخروي.

«إنّ فكرة الرضا الطوعي وغير المشروط للاستشهاد في سبيل محبّة الله، والحفاظ على شريعته، قد دفعت فكرة الفداء في الفكر الشيعي إلى نهايتها القصوى، هذا التفسير لموت الحسين هو الذي بقي بشكل أو بآخر حتى وقتنا الحاضر»[1].

وثانياً: قصّة الوقائع الاجتماعية والسياسـية على الأرض، والمساق المعدّ للنهضة منذ زمان الإمام الحسـن عليه السلام في عهده مع (معاوية)، المؤسّس الحقيقي لمذهب الجماعة

(١) أيوب، محمود، الألم الخلاصي في الإسلام: ص١٧٤.

السُنّية القائمة على فكرة القدر المحتوم، وكان ضمن بنود العهد: إرجاع الخلافة للإمام الحسين عليه السلام إن هلك معاوية والإمام الحسن عليه السلام غير موجود، وكيف أصبحت هذه القصّة تُستعاد بأثر رجعي؛ لتميط اللثام عن كلّ الانحراف الذي حصل بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ورجالات هذا الانحراف، وكيف أسّس لوصول الشجرة الخبيثة إلى منبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وبالتالي تحميلهم مسؤولية الجريمة الكبرى في التاريخ.

«تذهب هذه الفرضية إلى وجود مؤامرة مدروسة من بني أُمية لاعتلاء السلطة، وأنّهم وجدوا من وجهاء المهاجرين جسراً لبلوغهم طموحهم، ووجدوا أنّ الفرصة قد حانت عندما وصل عثمان إلى الخلافة، فنفّذوا انقلابهم الكبير الذي أدّى إلى فتنة مقتل عثمان، ثمّ الحروب المتتالية، وأخيراً استتباب الأمر لمعاوية الذي انتهى إلى توريث يزيد السلطة، ووقوع فاجعة كربلاء»[1].

ثالثاً: عمل أُنموذج الثورة الحسينية على إعادة صياغة المجتمع الإسلامي وثقافته بشكل دؤوب ومستمرّ، وذلك من خلال المقاربة المتواصلة بين مآسي الناس ومتاعبهم بسبب السلطة وعبثها بالحياة الاجتماعية والاقتصادية، وبين معاناة العترة الطاهرة عليهم السلام، ورفضها للظلم السلطوي، فتمّ نقل الولاء عند أكثرية الناس من السلطة بشكل عامّ إلى قوى المعارضة، ولا سيّما القوى الموالية للعترة النبوية الطاهرة.

وتجربة العبّاسيين كانت محطّة كبيرة على هذا الطريق؛ فقد جذّرت الدعوة العبّاسية، وطلب الثأر والرضا لآل البيت عليهم السلام، حبّ العلويّين في مناطق واسعة من العالم الإسلامي، ولا سيّما في إيران؛ جاء في كتاب (تراجيديا كربلاء): **«تقدّم مجالس العزاء الحسيني قصصاً لحوادث تاريخية مفعمة بالحزن والأسى، ممزوجة بقصائد في الندب والرثاء، بألحان عاطفية تُثير ما في أعماقهم من آلام، وبذلك تتماثل أوضاعهم**

(١) فرج، مرتضى، خلفيات واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ص١٧.

الاجتماعيـة النفسـية مع مأسـاة كربلاء، وما لاقاه الحسـين وأهل بيتـه وصحبه من ظلم واضطهاد، وقتل وتشريد»[1].

رابعاً: بذل المحبّون لنهج الحسين عليه السلام ـ والشيعة عموماً ـ جهوداً عظيمة في الحفاظ عـلى تقاليـد زيارة الإمام الحسـين عليه السلام في كربلاء، من خلال التصـدّي لكلّ محاولات السـلطات الزمنية، وعلى مختلف اتّجاهاتها التي كانت تحاول طمس معالم هذه القضية بمختلف الأسـاليب الوحشـية، وعلى جميع الأصعـدة الفكرية والثقافيـة، والمنع من الزيارة وأداء الشعائر، فكان الردّ من الناس بمزيد من التمسّك بهذا الطريق.

خامسـاً: الحقـل الأكبر للفهم والتفكير والتأمّل في هـذه المرحلة، ونحن في زمن تعدّد القراءات، هو الحشود المليونية التي تنطلق في كلّ أرجاء العالم، وتنحدر من كلّ بقاع الأرض، عبر استخدام كلّ وسائل النقل، وهي تهتف في عاشوراء وصفر: لبيك يا حسـين، كيف تقرأ هذه الجموع الحدث؟ كيف تتمثّل تفصيلات تلك السردية من تاريخ الثورة، أو تحاكيها ثقافياً؟ وذلك في راهن منحوس، تتسابق فيه قوى الإرهاب الحمقى مثل الفايروسات التي تنشرها أمريكا في إفريقيا لتفرّغها من أهلها، يسندهم بعـض حكّام العالم الإسـلامي من أشـباه الرجال؛ مـن أجل تقديم فـروض الطاعة للمستكبرين والطغاة هنا وهناك.

وأيّ أُنمـوذج ثقـافي يمكـن اسـتنباطه من هذه المعطيـات ـ وغيرهـا الكثير ـ ممّا ارتبـط بالمجتمع الإسـلامي وتراكماتـه عبر الأجيال، لكـي يوفّر الأمن والاسـتقرار والكرامـة والسـعادة، وقطع أيدي السـارقين والناهبـين للثروات الوطنيـة، وتحرير الأرض، وعـودة الحقوق الفلسـطينية إلى أهلهـا؟ ومن أجل تقديم قراءة تسـتنهض حاضرنـا كـما أراد الإمـام الحسـين عليه السلام إصلاحيـاً، يُفـترض أن نتّفق عـلى نوعية هذا الإصلاح وحقيقته، الأمر الذي يجعل الإصلاح في حاضرنا مشكلاً هو الآخر، ويُثير

(١) الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء سيسيولوجيا الخطاب الشيعي: ص٢٣٠.

مرّة أُخرى سؤال الحقيقة ومعناها، الأمر الذي يتطلّب استئناف النظر في الموضوعية، وحدود الذاتية في القراءة، ونوع الحقيقة التي ننشدها، وبالتالي ضرورة الوقوف على المعايير والقيم والأهداف في الحدث الحسيني، والرسالة التي أوصلها إلى الأجيال.

وهكذا يتسلسل البحث ويدور متداخلاً، فمن إشكالية الإصلاح والنهضة والتقدّم، إلى إشكالية الحقيقة وحدود الموضوعية والذاتية في هذا المنهج الإصلاحي، ومن ثمّ إلى المعايير والمنهج الذي يصلح سبيلاً سوياً للفهم والإدراك في الوصول إلى الحقيقة، أو مقاربتها في نهج الإصلاح.

ولكيلا تتحكّم الذاتية المغشوشة في مسالك الفهم والمنهج وتشخيص المصالح، تأتي الحقيقة الحسينية فوق الشبهات، ومناراً للفهم، وبذلك ينكشف الزيف عندما تغرّد المقاصد الإصلاحية خارج السرب الحسيني وإن كانت باسم الشريعة، كما فعلها ابن تيمية في نموذجه بالمقاصد: «**إنّ لابن تيمية كلاماً وافياً بالمقاصد، ولعلّ وجدانه خروج الحسين بن علي في كربلاء مفسدة في الدين والدنيا منتهى قوله في المقاصد! لذا قلنا: وجب ألّا نكتفي بالقول بالمقاصد، بل تعيّن وضع ضابطة معتبرة لها، حتى لا تصبح طريقاً إلى الفوضى**»[1].

ومَن يكُ ذا فم مرّ مريض ... يجد مرّاً به الماء الزلالا

وبذلك تتّضح أهمّية المراد الحسيني في ضبط إيقاع الفهم الموضوعي والذاتي في تعدّد القراءات للحقيقة الإصلاحية والنهضوية والتقدّمية، وترسيم المناهج القادرة على تخريجها وتثبيتها.

(١) هاني، إدريس، المعرفة والاعتقاد: ص٣١١.

الخاتمة

وبعد كلّ هذا البحث وفي الختام لا بُدّ من ذكر أُمور مهمّة في إطار ترسيم الفهم في بحثنا لمجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام:

أوّلاً: منذ نهاية عقد السبعينيّات، ومع تصاعد المدّ الشيعي الجماهيري بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، جرت عملية تشويه للشيعة في الإعلام الصهيوني، وتصوير نهضة الشيعة وثورتهم من قبل دوائر الاستكبار العالمي، وإعلامها المهيمن على الفكر العالمي، على أنّها دعوة للشرّ والحرب، فهؤلاء روافض، وليسوا دعاة للثورة بوجه الناهبين والمجرمين؛ من أجل بناء المجتمع الإسلامي وتحقيق نهضته التي باتت لا أمل فيها على أيدى التابعين للقوى الكبرى في الغرب أو الشرق، لقد عمل هذا الإعلام الإجرامي على تشويه المكوّن الشيعي في كلّ أنحاء العالم.

وبعد هزيمة الحزب الصدّامي في العراق عمل الأعداء على نشر سوء الفهم بحقّ الشيعة وعلاقتهم بأهل البيت عليهم السلام، وفي هذا الإطار جاء تصوير الزيارة ومجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام من قبل الدوائر الوهابيّة، أو الدوائر العلمانية الخاصّة بمناهضة الفكر الديني، والمرتبطة بالغرب في تحقيق هذا المسار، دون تمييز بين الفكر النهضوي التقدّمي الناجح في إنجاز التقدّم، والفكر الرجعي النكوصي والمتخلّف.

من هنا؛ تأتي أهمّية بناء الفهم السليم، وتجنّب سوء الفهم في طرح قضايا مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام، وذلك من خلال اعتماد آلية علمية في مقاربة هذا الفهم المعرفي للعلاقة العضوية بين دائرة طريق الإمام الحسين عليه السلام والمجتمع العامّ، وقدرة هذا المجتمع البنيوية والوظيفية على المساعدة في إعادة بناء المجتمع الإسلامي، في ضوء قضايا: الثورة على الواقع الفاسد، والنهضة العلمية والاجتماعية والاقتصادية، وبناء الإنسان المسلم السوي وفق مطالبه الروحية الخالدة في النفس الإنسانية، وعلاقته بالسماء ومنهج الأنبياء السابقين، وما جاء به القرآن الكريم وطريق الرسول

الأعظم صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة عليهم السلام التي أسّست لهذا المجتمع السائر إلى الله تبارك وتعالى.

ثانياً: الآن وقد صار واضحاً لدينا مسار العلاقة الجدلية الواسعة والتكاملية بين دائرة مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام والمجتمع العامّ، لا بُدّ من الوقوف على النماذج النظرية المفسّرة لتزايد أعداد السائرين في كلّ عام بهذا الشكل المطّرد والواضح في نمو مجتمع الزيارة، وهو الأمر الملاحظ بشكل عامّ لدى كلّ المتابعين للنمو في تكوين هذا المجتمع الديني المتحرّك باتّجاه الزيارة.

وبعد الملاحظ لا بُدّ من تحريك آليات الفهم النظري، أي: البحث فيما يمكن أن تؤدّيه هذه الرحلات إلى كربلاء والعتبات المقدّسة من وظائف، وما تلبّيه من حاجات فردية واجتماعية مختلفة، ضاربة في صميم الطبيعة الإنسانية وفق الدوافع العديدة عند الناس.

إنّ الرحلة الراجلة قد تكون من أجل الإفلات من حالة السكون الاجتماعي، والركود الآلي على حالة العلاقات الاجتماعية الساكنة، أو قد تُفسّر هذه الرحلة بمقاربة تلك الرحلة المطلوبة والقائمة في اللاوعي الإنساني منذ القدم نحو المحلّ الأوّل للوجود، والفردوس المفقود الذي استقرّ حبّه في اللاوعي، أو قد يكون السير بلا وسائط من أجل التلاقي مع الطبيعة من حولنا في مقابل العقل (الأداة)، ورتابة استخدام الآلة المفرط في حياتنا اليومية.

وكذلك من نماذج تفسيرها العلمي: التخلّص من الروح النفعية على امتداد أيّام السنة نحو حالة من انعدام السوق على طريق الإمام الحسين عليه السلام، في مقابل التنافس على البيع والمنافع، ويبقى التفسير الديني، والمواساة، وطلب الثواب، والمرضاة الإلهية في المقدّمة.

ثالثاً: لاريب أنّ هذه الجموع الكبيرة القادمة للانضمام إلى مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام تأتي من بيئات اجتماعية كثيرة ومختلفة من حيث الدوافع والاستعدادات

والقدرات، وتختلف أيضاً في عمق الرؤية العقائدية أو الأخلاقية، أو السلوك، وكثير من الزوّار ينخرط في الزيارة سلوكياً دون أن يكون له نصيب يُعتدّ به من الرؤية العقائدية، أو العمق الأخلاقي وتمثّل سيرة الأئمّة عليهم السلام.

إنّ مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام هو مجتمع مدني، يتألّف من أطياف عديدة ترتبط في هذا الطريق بشكل من العلاقات يختلف عمّا هو سائد من علاقات العمل القائمة على النفعية وتقسيم العمل الروتيني، كما لا يُعبّر عن أشكال من القرابة السائدة في المجتمع الريفي والأهلي العشائري، ففي طريق الحسين عليه السلام تتعاون المجموعات في انسجام تامّ من أجل خدمة الزائرين، وتقدّم نمطاً من العلاقات لا يُماثل العلاقات التقليدية في المجتمع السائد في الحياة العادية، فهو مجتمع مدني بامتياز، لا يتقوّم بالعلاقات العشائرية، والقرابات السائدة في علاقاتنا العادية.

ومن خلال الاندماج في مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام يحصل للكثيرين فهم جديد، ورؤية مغايرة لما تعلّمه في محيطه المحدود في حاضنته الاجتماعية الأصلية، ومعرفة غير مسبوقة لديه بدوافع أُخرى للزيارة مغايرة لدوافعه التي جاء من أجل تلبيتها، وهذا أمر مهمّ في فهم أهمّية الزيارة بالنسبة للكثير من الزائرين، كما تشكّل هذه المعطيات فهماً ديناميكياً لعملية المؤسّسة الاجتماعية وتطوّرها، وإعادة بناء المجتمع.

رابعاً: أنّ عملية الاحتكاك الاجتماعي تشمل هنا الأفراد ودورهم في هذه الجدلية التكاملية، كما تشمل الجماعات البؤرية الصغيرة والمتوسّطة، التي تتحرّك في مجتمع طريق الإمام الحسين عليه السلام عبر تشكيلات المواكب الخدمية والثقافية والفنّية، والمواكب السائرة، وغير ذلك. كما تشمل عملية الاحتكاك مجمل التكوين الاجتماعي، وأهدافه الكبرى، والتوجّهات والإمكانات الموضوعة في خدمته إزاء المجتمع الكبير المحيط.

ومن هنا؛ يمكن حلّ إشكالية دور الفرد في مقابل دور المجتمع، وتأثير أحدهما في الآخر؛ إذ تكون دوائر التأثير الفردية والبؤرية والاجتماعية دوائر واسعة ومتداخلة، ولا يمكن فصل الواحدة عن الأُخرى في التأثير.

خامساً: قد يذكر بعضهم أنّ الزيارات المليونية شكّلت رافعة قوية للانصهار في أطياف المجتمع العراقي الشيعي، وقد أسهمت عبر السنوات القليلة الماضية في توحيد المكوّن الشيعي، وحواضنه الاجتماعية، وإدماج بيئاته المختلفة، وهذا التأثير بحاجة إلى فهم لآليات تظهيره وإثباته واستدامته في المجتمع العراقي، وكلّ ذلك يمكن أن يتمّ عبر اعتماد الجدلية التكاملية، والانصهار الاجتماعي من خلال التعاون والتفاعل البنّاء.

ولا ريب أنّ الملاحظة العلمية لكي تشكّل أساساً للنظرية لا بُدّ أن يتبعها الفهم العلمي الجامع بين الذاتية الخصبة والموضوعية، وبالتالي فهو قائم على قبليات الخيال الخلّاق من المقاربات العلمية، سواء القادمة من استقراء التراث، أم الاستنتاج من الحداثة والمعاصرة، أو باعتماد الباحث أُسلوب التفكيكات والاستبعاد، ومن ثنائية التفكيك والمقاربة يتشكّل التأويل الذي يغدو الأساس في الفهم للحقائق الاجتماعية، وقراءة الفعل الاجتماعي.

المصادر والمراجع

١ـ الألم الخلاصي في الإسلام، محمود أيوب، ترجمة: د. أمير ججي الدومنيكي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠١٣م.

٢ـ الأنثربولوجيا الألسنية، ألسندرو دورانتي، ترجمة: فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٣م.

٣ـ بانوراما النقد النسوي في خطابات الناقدات المصريّات، حفناوي بعلي، دار اليازوري العلمية، الطبعة الأُولى، ٢٠١٥م.

٤ـ تاريخ الفكر الاجتماعي، معن خليل عمر، إصدارات جامعة بغداد، ١٩٨٥م.

٥ـ تأويل الثقافات، كليفورد غيرتز، ترجمة: محمد بدوي، مراجعة: الأب بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٩م.

٦ـ تراجيديا كربلاء.. سيسيولوجيا الخطاب الشيعي، إبراهيم الحيدري، مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

٧ـ الثقافات الثلاث: العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات في القرن العشرين، تيم إدوارد، ترجمة: أحمد عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، العدد ٢٠٠٨، الطبعة الأُولى، ٢٠١٢م.

٨ـ الثقافات الثلاث: العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات في القرن العشرين، جيروم كيغان، ترجمة: صدّيق محمد جوهري، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢٤٧٦، ٢٠١٤م.

٩ـ خلفيات واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، مرتضى فرج، دار الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠١١م.

١٠ـ علم الاجتماع.. النظرية والمنهج، ميل تشيرتون، وآن براون، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأُولى، ٢٠١٢م.

١١ـ عندما يتشكّل الرمز ثقافة وهوية، سليم الجوهر، إصدارات تجمّع مؤسّسات الرضوان، كربلاء، الطبعة الأُولى، ٢٠١٧م.
١٢ـ مدخل إلى نظرية الأنساق، نيكولاس لومان، ترجمة: يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١٠م.
١٣ـ مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٩م.
١٤ـ المعرفة والاعتقاد، إدريس هاني، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠١٢م.
١٥ـ موسوعة علم الاجتماع، جون سكوت، وجوردن مارشال، ترجمة: محمد جوهري وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ٢٠١١م.
١٦ـ النظرية الثقافية.. وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، تيم إدواردز، ترجمة: أحمد عبد الله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، العدد ٢٠٠٨، الطبعة الأُولى، ٢٠١٢م.
١٧ـ نظرية المنظمة، خليل محمد حسن الشماع، ود. خضير كاظم حمود، دار المسيرة، الأُردن، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٧م.
١٨ـ نقد الفكر الاجتماعي، معن خليل عمر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٨٢م.
١٩ـ وضع العلوم الاجتماعية في الجامعات العراقية، فريق أبحاث، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٧م.

نصّ زيارة الأربعين
دراسة في البعد التوثيقي والدلالي

د. الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي

دكتوراه في الاقتصاد الإسلامي، جامعة المصطفى ﷺ، من العراق

The Text of the Ziyara of Arbaeen
– A Study on the Authentic and Semantic Dimensions

Dr. Shaykh Habib Abd al-Wahid al-Saadi

PhD in Islamic Economics, al-Mustafa International University -

from Iraq

ملخّص البحث

يُعدّ نصّ زيارة الأربعين المأثورة من النصوص المهمّة، والمشتملة على معانٍ غزيرة؛ لما تشتمل عليه من فقرات ومقاطع ذات أبعاد مختلفة، وفيما يلي سؤالان يطرح كلّ منهما نفسه فيما يرتبط بهذه الزيارة: أوّلهما: ما هو مستوى وثاقة هذه الزيارة سندياً؟ وثانيهما: ما هي أهمّ الدلالات والمضامين التي تتضمّنها؟ يحاول هذا البحث الإجابة عن السؤالين آنفي الذكر اعتماداً على المنهج النقلي، والمنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال دراسة توثيقية لسند زيارة الأربعين ونصّها، ودراسة أهمّ مضامينها؛ ليثبت على المستوى التوثيقي أنّ زيارة الأربعين تتمتّع بسند معتبر وموثّق، وقد تمّ توثيق الرجال الواردين في سندها بواسطة مبنى تجميع القرائن، ومبنى التوثيق السندي والنصّي؛ لورود أكثر فقراتها ومقاطعها في زيارات أُخرى مروية بأسانيد أُخرى، وهذا ما يوجب الاطمئنان إلى صدورها عن المعصوم عليه السلام.

وقد استنتجنا ـ على المستوى الدلالي ـ أنّ زيارة الأربعين من الزيارات المستحبّة المؤقّتة، يُزار بها في يوم العشرين من صفر، وهو يوم الأربعين من شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وهي مشتملة على خصائصه عليه السلام والأئمّة من ولده عليهم السلام، وبيان سرّ نهضته المباركة، وصفات أعدائه، وبيان ضرورة البراءة منهم، والإشارة إلى عظم المصيبة التي جرت عليه عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، التوثيق السندي، التوثيق النصّي، العشرون من صفر، البعد الدلالي.

Abstract

The narrated text of the Ziyara of Arbaeen is considered one of the important texts, containing deep meanings, as it carries sections and passages of different dimensions. The following are two questions, each of which is raised concerning this Ziyara: firstly, what is the level of authenticity of this Ziyara on the level of the chain of transmission? Secondly, what are the most important meanings and contents contained in it?

This study attempts to answer these two questions mentioned above relying on the transmission approach and the descriptive-analytical approach by studying the authenticity of the chain of transmission of the Ziyara of Arbaeen and its text and a study of its most important contents. Through this, it is proven – on the level of authentication – that the Ziyara of Arbaeen has a valid and reliable chain of transmission. The narrators mentioned in its chain of transmission have been judged reliable through the principle of gathering indications and textual authentication since most of its sections and passages are also found in other Ziyaras narrated with different chains of transmission. This leads to the assurance that it comes from the Infallible (PBUH).

Furthermore, we have concluded – on the semantic level – that the Ziyara of Arbaeen is one of the recommended periodic Ziyaras. It is performed on the 20th day of Safar, which is the day of Arbaeen. Moreover, it includes the characteristics of Imam al-Husayn (PBUH) and the Imams (PBUT) from his descendants, explains the secret of his blessed uprising, reveals the attributes of his enemies, emphasizes the necessity of disassociation from them, and points out to the depth of the tragedy that befell him.

Keywords: Ziyara of Arbaeen, authentication of the chain of transmission, textual authentication, 20th day of Safar, semantic dimension.

المقدّمة

لا ريب أنّ لزيارة الأربعين أهمّية بالغة؛ لارتباطها بمسائل عقائدية وفقهية وسياسية واجتماعية واقتصادية كثيرة، فهي من الأبحاث الجديرة بالاهتمام والتحقيق، ولاسيّما اليوم، حيث أصبحت وسيلة عظيمة من وسائل التبليغ، ودعوة العالم بأسره إلى مبادئ المدرسة الحسينية وقيمها.

ومن المعلوم أنّ الحديث عن هذه الزيارة لا يسعه مقال أو كتاب، بل هي بحاجة إلى دراسات وبحوث معمّقة؛ ومن هنا لا يمكن أن أستوعب الحديث عنها في هذا المقال المختصر، ولذا سأتناول بُعدين من أبعادها، وهما دراسة نصّ زيارة الأربعين المأثورة دراسة علمية تخصّصية من الناحية التوثيقية أوّلاً، ومن الناحية الدلالية ثانياً.

أمّا على المستوى الأوّل، فسنقوم بتوثيق الزيارة من جهتين: الأُولى: التوثيق السندي، والثانية: التوثيق النصّي، أي: البحث عن ورود فقراتها ومقاطعها في زيارات أُخرى بأسانيد مختلفة.

وأمّا على المستوى الثاني ـ أيّ الدلالي ـ فسنقوم بدراسة نصّ زيارة الأربعين من الناحية الدلالية، وبما أنّ هذه الزيارة مشتملة على مضامين غزيرة بالمعاني، فسيتمّ التركيز على المضامين العامّة للزيارة دون الدخول في تفاصيلها.

وقد عزمنا ألّا نتعرّض في البحث السندي والتوثيقي لنقل المتأخّرين لهذه الزيارة؛ لأنّهم اعتمدوا في نقلها على الشيخ الطوسي، فلا يزيد نقلهم على ما نقله الشيخ الطوسي شيئاً، ولم نتعرّض في البحث الدلالي لما ذكروه في بيان المراد من الأربعين، هل هو العشرون من صفر لسنة (٦١هـ) أو لا؟ فقد اكتفينا بما ذكره الشيخ الطوسي والشيخ المفيد في هذا المجال؛ لما لفهمهما من أهمّية بالغة؛ لأنّهما الأقرب إلى

عـصر النصّ مـن المتأخّرين، وإذا نقلنا بعض آراء المتأخّرين فيـما يتعلّق بالزيارة، فهو من باب التأييد لا أكثر.

بناءً على ذلك؛ سنقسّم الكلام في نصّ زيارة الأربعين إلى محورين أساسيّين:

المحـور الأوّل: البُعـد التوثيقـي في نصّ زيـارة الأربعين. وفيما يرتبـط بهذا البعد يقع الكلام في جهتين: الجهة الأُولى: التوثيق السندي للزيارة، والجهة الثانية: التوثيق النصّي للزيارة.

المحـور الثـاني: البُعـد الـدلالي في زيارة الأربعـين. ويتمّ التركيز فيـه على النقاط المهمّة والمضامين العامّة لزيارة الأربعين.

المحور الأوّل: البعد التوثيقي في زيارة الأربعين

يتنـاول هـذا البعد دراسـة توثيقيـة لزيارة الأربعـين، وذلك مـن جهتين: الجهة الأُولى: التوثيـق السـندي، بمعنى أنّنا سـندرس سـند زيارة الأربعين نفسـه. والجهة الثانية: التوثيق النصّي، بمعنى أنّنا سـنلاحظ ورود فقرات الزيارة بأسانيد أُخرى في غير كتب الشيخ الطوسي من كتب الحديث والزيارات.

الجهة الأُولى: التوثيق السندي لزيارة الأربعين

روى الشـيخ الطوسي زيارة الأربعين في (التهذيب)، و(مصباح المتهجّد) بسـند واحـد: «**أخبرنا جماعة عن أبي محمّد هـارون بن موسى التلعكبري، قال: حدّثنا محمّد بن عـلي بـن معمّر، قال: حدّثني أبو الحسـن علي بن محمّد بن مسـعدة، والحسـن بن علي بن فضّال، عن سـعدان بن مسلم، عن صفوان بن مهران، قال: قال لي مولاي الصادق**عليه السلام: **في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار، وتقول: السـلام على ولي الله وحبيبه، السـلام على خليل الله ونجيبه...**»[1].

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٨٨. وفي كتابه تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٣. بنفس الطريق، ومن دون اختلاف.

وهذا السند بحاجة إلى دراسة توثيقية، وسنتّبع في دراستنا للسند مبنيين:

الأوّل: النصّ على التوثيق من قِبَل علماء الرجال المتقدّمين، كالنجاشي، والشيخ الطوسي، وغيرهما.

الثاني: مبنى تجميع القرائن فيمَن لم يرد فيه نصّ على التوثيق. وهذا المبنى من المباني المهمّة في علم الرجال، يتمّ من خلاله توثيق الرجال الذين لم يرد فيهم ذمّ أو مدح، وقد تمّ توثيق عدّة رجال اعتماداً على هذا المبنى، من أبرزهم والد الشيخ القمّي صاحب التفسير، وهو إبراهيم بن هاشم، وغيره؛ ولذا سنعتمد على هذا المبنى العقلائي الموجب للاطمئنان فيمَن لم يرد فيه قدح أو مدح، أمّا الذين ورد التوثيق فيهم فيثبت توثيقهم بلا حاجة إلى هذا المبنى.

وعلى هذا؛ سنقوم بدراسة السند وفقاً لهذين المبنيين، وذلك في نقطتين:

النقطة الأُولى: الرواة الذين تمّ التنصيص على توثيقهم في السند

الرواة الذين تمّ التنصيص على وثاقتهم في هذا السند ثلاثة: **أوّلهم**: هارون بن موسى. **والثاني**: الحسن بن علي بن فضّال. **والثالث**: صفوان بن مهران الجمّال. وهؤلاء الثلاثة لا نتوقّف عندهم كثيراً، بل سنكتفي بنقل توثيقهم من قبل علماء الرجال.

أوّلاً: هارون بن موسى بن أحمد التلَّعُكْبَرِي

وهو من تلامذة الشيخ الكليني، فقد «**روى عن محمّد بن يعقوب، الكافي: الجزء ٦، كتاب الصيد ٤، باب صيد الكلب والفهد ١، الحديث١**»[١]، توفّي سنة (٣٨٥ هـ)، ويُكنّى أبا محمّد[٢]، وقد أدركه الشيخ النجاشي وهو صغير له من العمر عشر سنين إلى السنة الثالثة عشرة؛ لأنّ النجاشي ولد سنة (٣٧٢ هـ)، قال النجاشي: «**كنت أحضر في داره مع ابنه أبي جعفر، والناس يقرؤون عليه**»[٣].

(١) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٢٠، ص٢٥٩.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، رجال الطوسي: ص٤٤٩.

(٣) النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٤٣٩.

وقال أيضاً: «**كان وجهاً في أصحابنا، ثقة، معتمداً، لا يُطعن عليه**»[1]. وقال الشيخ الطوسي: «**جليل القدر، عظيم المنزلة، واسع الرواية، عديم النظير، ثقة**»[2].

ثانياً: الحسن بن علي بن فضّال

مات الحسن سنة (٢٢٤هـ)، وقد وثّقه الشيخ الطوسي بقوله: «**مولى لتيم الرباب، كوفي، ثقة**»[3].

ثالثاً: صفوان بن مهران الجمّال

قال النجاشي: «**صفوان بن مهران بن المغيرة الأسدي، مولاهم، ثمّ مولى بني كاهل منهم، كوفي، ثقة**»[4]. ووثقه العلّامة الحلّي وابن داود.

وصفوان من الشخصيّات البارزة، وقد حظي بمدح الإمام عليه السلام له في الرواية التي بيّنت قصّة صفوان الجمّال مع هارون الرشيد، حيث قال له عليه السلام: «**يا صفوان، كلّ شيء منك حسن جميل، ما خلا شيئاً واحداً، قلت: جُعلت فداك، أيّ شيء؟ قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل، يعني هارون**»[5]. فباع صفوان جميع ما عنده من جمال.

وقد روى عنه الأجلّاء من الثقات، كصفوان بن يحيى بيّاع السابري، وأحمد بن أبي نصر البزنطي، ومحمّد بن أبي عمير، فلا غبار على السند من جهته.

النقطة الثانية: الرواة الذين لم يرد فيهم توثيق ولا قدح

قد ورد في السند عدّة رجال لم يرد فيهم نصّ في التوثيق، ولا نصّ في التضعيف، وهم الجماعة الذي روى عنهم الشيخ الطوسي في بداية السند، فلم نعرف مَن هم الجماعة

(١) المصدر السابق.
(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، رجال الطوسي: ص٤٤٩.
(٣) المصدر السابق: ص٣٥٤.
(٤) النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص١٩٨.
(٥) المجلسي، محمّد تقي، روضة المتّقين في شرح مَن لا يحضره الفقيه: ج٦، ص٤٩٤.

بالضبط. ومحمّد بن علي بن معمّر، وأبو الحسن علي بن محمّد بن مسعدة، وسعدان بن مسلم. وهؤلاء الرواة سنتعامل معهم بناء على المبنى الرجالي العقلائي القائم على تجميع القرائن وحساب الاحتمالات، لنرى هل توجد قرائن وشواهد على توثيقهم، أم لا؟

أوّلاً: عن جماعة من أصحابنا

ذكر الشيخ الطوسي في (الفهرست) المقصود من الجماعة الذين يروي عنهم[1]، لكنّه لم يذكر الجماعة الذين يروي عنهم بالنسبة إلى أبي محمّد هارون بن موسى التلعكبري[2]، غير أنّ اجتماع مشايخ الطوسي على الكذب أو الخطأ شيء بعيد، فإذا أخذنا بأقلّ الجمع في مشايخ الشيخ الطوسي، فاحتمال أن يكون ثلاثة من مشايخه غير موثّقين بعيد جدّاً، ولو فُرض كونهم كذلك، فإنّ اجتماعهم على الكذب شيء بعيد، فلا مشكلة في سند الرواية من هذه الناحية.

ثانياً: محمّد بن علي بن معمّر الكوفي

يكنّى أبا الحسين، كان صاحب حمدان بن المعافي أبي جعفر الصبيحي الذي توفّي سنة (٢٦٥هـ)[3]، سمع منه التلعكبري سنة (٣٢٩هـ)، وله منه إجازة[4]، وروى عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب المتوفّى سنة (٢٦٢هـ)[5]، وعن علي بن محمّد بن

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، الفهرست: ص١٢، الرقم٦، وص٥١، الرقم٦٣، وص٦١، الرقم٧٥، وص٦٧، الرقم٨٤، وص٤٤٤، الرقم ٧١٠، وص١٠٩، الرقم ١٤١، وص ١٠٩، الرقم١٤١، وص٣٢٦، الرقم٥٠٦، وص٥٤، الرقم٦٥.

(٢) ترابي شهرضايي، أكبر، پژوهشي در علم رجال (دراسة في علم الرجال): ص٤١٠.

(٣) أُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص١٣٨.

(٤) أُنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، رجال الطوسي: ص٤٤٢.

(٥) أُنظر: اللجنة العلمية في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، موسوعة طبقات الفقهاء: ج٤، ص٤٤١. وكان محمّد بن علي بن معمّر حيّاً حتى (٣٢٩ هـ)؛ لأنّ التلعكبري أخذ منه إجازة في هذه السنة، وهي أواخر عمره، وهذا يدلّ على أنّه كان معاصراً للشيخ الكليني، بل قد يكونان من حيث العمر متقاربين جدّاً.

مسعدة، وعن الحسن بن علي بن فضّال، وعدّه الطوسي فيمَن لم يروِ عنهم. وهو من مشايخ الكليني[١]، روى عنه الكليني خطبة أمير المؤمنين عليه السلام (الوسيلة)، وخطبته (الطالوتية) أيضاً[٢]، ذكر ذلك السيّد الخوئي[٣].

وعدّه ابن النديم[٤] في جملة فقهاء الشيعة ومحدّثيهم وعلمائهم، حيث قال: «**ابن معمّر، أبو الحسين بن معمّر الكوفي، وله من الكتب كتاب قرب الأسانيد**»[٥]. ونقل الشيخ الطوسي عبارة ابن النديم المتقدّمة في رجاله[٦].

ولم يرد فيه تعديل أو جرح، ويمكن توثيقه بعدّة قرائن:

القرينة الأُولى: أنّه من مشايخ الكليني، كما تقدّم عن السيّد الخوئي، فقد روى الكليني عنه روايتين، وهما خطبتا الوسيلة والطالوتية في الروضة، وهذا يُعدّ إحدى القرائن التي تزيد من درجة احتمال وثاقته؛ فإنّ الشيخ الكليني كان يتثبّت في نقل الحديث، وكان مشايخه ثقاتاً، وعلى الرغم من أنّ هذه الميزة لا تدلّ على وثاقة الرجل، لكنّها تشكّل قرينة تزيد من احتمال وثاقته، لا سيّما إذا ضممناها إلى القرائن الأُخرى الآتية.

القرينة الثانية: أنّه من مشايخ الإجازة كما تقدّم عن الشيخ الطوسي، حيث قال: «**سمع منه التلعكبري... وله منه إجازة**»[٧]، ويقصد بالتلعكبري هارون بن موسى بن أحمد التلعكبري الذي تقدّم توثيقه.

---

(١) وذكر النجاشي: أنّ الكليني توفّي سنة (٣٢٩ هـ). اُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٣٧٧.

(٢) اُنظر: الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٣١.

(٣) اُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١٨، ص٣٢.

(٤) توفّي سنة (٣٨٠ هـ) على ما ذكره الصفدي والذهبي والمقريزي.

(٥) ابن النديم، محمّد بن إسحاق، الفهرست: ص٢٧٨.

(٦) اُنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، الفهرست: ص٢٧٧.

(٧) الطوسي، محمّد بن الحسن، رجال الشيخ الطوسي: ص٤٤٢.

وقد يقال: إنّ أخذ الثقة الإجازة من أُستاذه الذي يُعدّ شيخ إجازة لا يوجب توثيق شيخ الإجازة.

والجواب: أنّ هذا الكلام على إطلاقه غير صحيح، كما أنّ الحكم بوثاقة شيخ الإجازة كقاعدة كلّية أيضاً غير صحيح، بل لا بدّ من ملاحظة القرائن والشواهد الأُخرى، فإذا انضم إلى شيخية الإجازة بعض القرائن والشواهد، يحصل الاطمئنان إلى وثاقته، ومن جملة تلك القرائن أنّ الذي يروي عنه ثقة، وممّن يدقّق في اختيار الأُستاذ، ولا سيّما إذا كان من مشايخ النجاشي، إضافة إلى وجود مدح لشيخ الإجازة، فإنّ اجتماع هذه القرائن يوجب الاطمئنان إلى وثاقته[1].

القرينة الثالثة: عدّه من قبل ابن النديم في جملة فقهاء الشيعة ومحدّثيهم وعلمائهم، حيث قال: «...**أبو الحسين بن معمّر الكوفي، وله من الكتب كتاب قرب الإسناد**»[2]. وقال الشيخ الطوسي: «**أبو الحسين الكوفي، ابن معمّر، له كتب، منها كتاب قرب الإسناد، ذكره ابن النديم**»[3]. وهذا وإن لم يكن بمفرده دليلاً على وثاقة معمّر، ولكنّه يشكّل قرينة وشاهداً إذا أضفناه إلى ما تقدّم من أنّه كان شيخ إجازة، وأنّه من مشايخ الكليني، وأنّ الذي يروي عنه ثقة، وأنّه من مشايخ النجاشي، فيحصل لدينا الاطمئنان إلى وثاقته.

والتحقيق ـ وفاقاً لأُستاذنا[4] ـ أنّه لا يمكن أن نحكم بتوثيق مشايخ الإجازة بشكل كلّي، بل يجب ملاحظة القرائن والشواهد في كلّ مورد بحسبه، فإذا كان شيخ الإجازة من المشهورين، ولم يذكر اسمه لمجرّد اتّصال السند، ولم يرد فيه قدح، بل ورد فيه مدح، وكان الراوي عنه ثقة يتثبّت في اختيار الأُستاذ كمشايخ النجاشي، يحكم بوثاقته.

---

(١) أُنظر: ترابي شهرضايي، أكبر، پژوهشي در علم رجال (دراسة في علم الرجال): ص٣٧٥.

(٢) ابن النديم، محمّد بن إسحاق، الفهرست: ص٢٧٨.

(٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، الفهرست: ص٢٧٧.

(٤) أُنظر: ترابي شهرضايي، أكبر، پژوهشي در علم رجال (دراسة في علم الرجال): ص٣٧٥.

ومن المعلوم أنّ ابن معمّر من هذا الصنف، أي يُعدّ شيخ إجازة، ومن المشهورين، ولم يذكر اسمه لمجرّد اتّصال السند، وقد ورد فيه ما يشعر بالمدح كما تقدّم عن ابن النديم، والراوي عنه ـ وهو هارون التلعكبري[1] ـ ثقة من مشايخ النجاشي الذي يتثبّت في اختيار الأُستاذ، إضافة إلى أنّه من مشايخ الكليني، وعليه فوجود هذه القرائن كلّها يوجب لدينا الاطمئنان إلى وثاقته.

ثالثاً: أبو الحسن علي بن محمّد بن مَسْعَدَة

قال السيّد الخوئي: «**روى عن سعدان بن مسلم، وروى عنه محمّد بن علي بن معمّر... باب زيارة الأربعين**»[2]، ووجود علي بن محمّد بن مسعدة الذي لم يرد فيه قدح ولا جرح لا يضرّ بسند الرواية؛ لأنّ ابن معمّر نقل عنه، وعن ابن فضّال الذي نُصّ على توثيقه كما تقدّم؛ وعليه فلا غبار على السند من هذه الناحية.

رابعاً: سعدان بن مسلم

قال النجاشي: «**سعدان بن مسلم، واسمه عبد الرحمن بن مسلم، أبو الحسن العامري، مولى أبي العلاء كرز بن جعيد [حفيد] العامري، من عامر ربيعة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام**»[3].

---

(١) قال غلام رضا عرفانيان الخراساني في مشايخ الثقات: ص٣٦ـ٣٧، بعد عدّ هارون من مشايخ النجاشي: «ومن المعلوم أنّ رواية النجاشي في هذه الأُمور والمطالب عن هارون بن موسى كانت بلحاظ أنّه كان مركز علوم الدين، ومحور الاعتماد في نقل الأخبار والآثار، ورواية جميع الأُصول والمصنّفات... وكان وجه الأصحاب، ومحضره في داره موضع مواجهة التلامذة معه، وكان النجاشي يحضر في داره مع ابنه أبي جعفر، والناس يقرؤون عليه... ولم يكن هذا الحضور الدائم إلّا لأجل الأخذ والنقل والرواية، وظاهرها المباشرة والمشافهة، لا الحكاية؛ لأنّها بلا قرينة، خصوصاً بملاحظة قابلية أخذ النجاشي من التلعكبري سنّاً ونبوغاً، فإنّه مات سنة ٣٨٥، والنجاشي مولده سنة ٣٧٢».

(٢) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٢٢، ص١٢٧.

(٣) النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص١٩٣.

وقال الشيخ في (الفهرست): «**سعدان بن مسلم العامري، واسمه عبد الرحمن، وسعدان لقبه، له أصل**»[1].

ومن الواضح أنّ الشيخ النجاشي والشيخ الطوسي لم يوثّقاه، وإنّما اكتفيا بذكره من دون تضعيف ولا توثيق، ويمكن الاطمئنان إلى وثاقته من خلال تجميع القرائن الآتية:

القرينة الأُولى: رواية الثقات عنه؛ فقد روى عنه أحمد بن عبد الله البرقي، وأحمد بن إسحاق الأشعري القمّي، وأحمد بن محمّد بن عيسى شيخ القمّيين ووجههم، وكان معروفاً بتشدّده، والحسن بن محبوب السراد، وهو من أصحاب الإجماع، والحسين بن سعيد الأهوازي، والحسين بن هاشم، والعبّاس بن معروف، وعلي بن أسباط، وفضالة بن أيّوب، وهو من أصحاب الإجماع أيضاً، ومحمّد بن إسماعيل بن بزيع، وجملة غفيرة من الأصحاب الثقات، كصفوان بن يحيى، وابن أبي عمير[2].

وقد يقال: إنّ رواية الثقات عن شخص ليست دليلاً على وثاقته[3].

والجواب: لو سلّمنا بذلك، وقلنا: إنّ ذلك ليس دليلاً على التوثيق، لكنّه يمثّل ـ على الأقلّ ـ قرينة تزيد من احتمال وثاقته، فإذا ضممنا إليها قرائن أُخرى يمكن أن يزداد الاحتمال أكثر.

القرينة الثانية: رواية الحسن بن علي بن فضّال الوارد في سند الرواية عنه، وهو لا يروي إلّا عن الثقات، فقد ورد في رواية أنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال حينما سُئل عن كتب بني فضّال: «**خذوا بما رووا، وذروا ما رأوا**»[4].

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، الفهرست: ص٢٢٦.

(٢) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٩، ص١٠٤ـ١٠٥. وقال المولى الوحيد: «في رواية هذه الأعاظم عنه شهادة على كونه ثقة، سيّما وفيهم صفوان، ويشهد عليه أيضاً رواية ابن أبي عمير عنه». الوحيد البهبهاني، محمّد باقر، تعليقة على منهج المقال: ص١٨٩.

(٣) أُنظر: السبحاني، جعفر، كلّيات في علم الرجال: ص٣٤٩.

(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة: ص٢٣٩. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٨، ص٧٢.

ويرد عليه: أنّ هذه الرواية فيها مشكلة من حيث السند والدلالة، أمّا السند؛ فإنّ فيه عبد الله الكوفي، وهو لم يوثّق لا بتوثيق خاصّ، ولا بتوثيق عامّ. وأمّا الدلالة؛ فإنّ المقصود منها أنّ فساد العقيدة لا يضرّ بالسند، ولا يعني ذلك أنّهم لا يروون إلّا عن ثقة[1]، والنتيجة أنّه لا يمكن توثيق سعدان بهذا الوجه.

والجواب: صحيح أنّه لا يمكن توثيقه بهذه الرواية، لكنّها ـ في الحقيقة ـ تزيد من احتمال وثاقته، ونحن لا نعدّ هذا دليلاً على وثاقته، بل نعدّه قرينة، وبضمّها إلى القرينة الأُولى يتكوّن لدينا احتمال أكبر فيما يرتبط بوثاقته.

القرينة الثالثة: أنّ سعدان هذا وقع في أسانيد ابن قولويه القمّي[2]، وقد وثّق ابن قولويه القمّي في مقدّمة كتابه (كامل الزيارات) جميع الرواة الذين روى عنهم في هذا الكتاب[3]؛ وعليه يحكم بوثاقة سعدان، وقد حكم الحرّ العاملي والسيّد الخوئي بوثاقة جميع مَن وقع في أسانيد (كامل الزيارات)[4].

وقد يقال: لا تثبت بشهادة مؤلّف (كامل الزيارات) وثاقة جميع الرواة الواقعين في السند، وإنّما تثبت بذلك وثاقة أساتذته الذين ينقل عنهم دون واسطة[5]، وسعدان ليس منهم.

والجواب: لو تنزّلنا وسلّمنا أنّ هذا صحيح، فإنّ وروده في أسانيد ابن قولويه

---

(١) أُنظر: السبحاني، جعفر، كلّيات في علم الرجال: ص٢٧٩. ترابي شهرضايي، أكبر، پژوهشي در علم رجال (دراسة في علم الرجال): ص٣٠٦.

(٢) أُنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: الباب ٧٩، في زيارات الحسين بن علي عليه السلام، الحديث ١٣: «سعدان بن مسلم قائد أبي بصير، روى عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، وروى عنه أحمد بن إسحاق بن سعد. روى عن أبي عبد الله عليه السلام».

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٧.

(٤) أُنظر: الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣٠، ص٣٧. الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١، ص٥٠.

(٥) أُنظر: السبحاني، جعفر، كلّيات في علم الرجال: ص٣٠١.

يزيد من نسبة احتمال وثاقته، وبضمّ ذلك إلى سائر القرائن تزداد نسبة هذا الاحتمال، ولسنا بصدد توثيقه بهذه القرينة فحسب، بل نحن بصدد توثيقه بمنهج تجميع القرائن الموجبة للاطمئنان.

القرينة الرابعة: أنّ سعدان هذا وقع في أسانيد (تفسير القمّي)[1]، وقد وثّق القمّي في تفسيره الرواة الذين يروي عنهم قائلاً: «**رواه مشايخنا وثقاتنا**»[2]، وهذا يثبت التوثيق لهم جميعاً، كما ذهب إلى ذلك الحرّ العاملي صاحب (الوسائل) حيث قال: «**وقد شهد علي بن إبراهيم بثبوت أحاديث تفسيره، وأنّها مرويّة عن الثقات عن الأئمّة، وكذلك جعفر بن محمّد بن قولويه، فإنّه صرّح بما هو أبلغ من ذلك في أوّل مزاره**»[3]، وكذا ذهب السيّد الخوئي إلى ذلك في (معجم رجال الحديث)[4].

ويمكن أن يقال: **أوّلاً**: الظاهر من عبارة (تفسير القمّي) أنّ المقصود بالوثاقة هم أساتذته بلا واسطة، لا جميع الرواة في السند، وسعدان ليس منهم. **وثانياً**: أنّ نسبة كتاب (تفسير القمّي) إلى علي بن إبراهيم محلّ إشكال، ومال إليه صاحب (الذريعة)[5]؛ وعليه فلا يمكن توثيق سعدان بهذا الطريق.

والجواب: نعم لا يمكن توثيقه عن هذا الطريق، ونحن لسنا بصدد توثيقه عن هذا الطريق، ولكن يُعدّ ذلك إحدى الأمارات والقرائن التي يمكن أن تزيد من احتمال توثيقه، فإذا ضممنا هذه القرينة إلى سائر القرائن المتقدّمة فسيزداد احتمال وثاقته بشكل أكبر.

---

(١) روى عنه إبراهيم بن هاشم. أُنظر: القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: سورة الفاتحة، تفسير قوله تعالى: ﴿ اَهۡدِنَاالصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص٤.

(٣) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣٠، ص٢٠٢.

(٤) أُنظر: الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج١، ص٤٩.

(٥) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٤، ص٣٠٢ـ٣٠٨.

القرينة الخامسة: أنّ سعدان وقع في طريق الشيخ الصدوق[1]، والشيخ الطوسي[2]، وطريقهما إليه صحيح، كما ذكر ذلك السيّد الخوئي[3]، وقد وقع أيضاً في طريق الشيخ النجاشي، ويمكن أن يقال: إنّ طريق النجاشي إليه صحيح أيضاً.

وقد يقال: إنّ كون الطريق صحيحاً إلى راوٍ من الرواة لا يكون دليلاً على توثيقه.

وجوابه كما تقدّم مراراً: لو سلّمنا أنّ ذلك ليس دليلاً على الوثاقة، فإنّه يعدّ قرينة تزيد من احتمال وثاقته، فإذا ضممناها إلى القرائن الأربع المتقدّمة يحصل لدينا الاطمئنان إلى وثاقته.

والخلاصة: أنّ القرائن الخمس المتقدّمة لو لم تكن كلّ واحدة منها تُثبت الوثاقة بمفردها، فلا أقلّ من أنّه إذا ضممنا بعضها إلى بعض يتحقّق لدينا الاطمئنان القريب من العلم إلى وثاقة سعدان. نعم، لو لاحظنا كلّ قرينة منفردة، فلقائل أن يقول: إنّها لا تدلّ على الوثاقة، ولكنّنا لا نعتقد بأنّ كلّ قرينة على حدة تثبت لنا الوثاقة، بل مجموعها يثبت لنا الاطمئنان إلى الوثاقة.

ولعلّه لذلك حكم بوثاقته جمع من علماء الرجال المتأخّرين، منهم ابن داود في القسم الأوّل من رجاله[4]، والسيّد الداماد قائلاً: «**أنّ سعدان بن مسلم شيخ كبير القدر،**

---

(١) طريق الصدوق إليه هو: «محمّد بن الحسن رضي الله عنه، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن العبّاس بن معروف وأحمد بن إسحاق بن سعد جميعاً، عن سعدان بن مسلم، واسمه عبد الرحمن».

(٢) الطريق الأوّل للشيخ الطوسي: «أخبرنا به جماعة، عن أبي المفضل، عن ابن بطّة، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن محمّد بن عذافر، عنه، وعن صفوان بن يحيى، عنه، أي سعدان». أمّا الطريق الثاني للشيخ فهو: «أخبرنا ابن أبي جيد، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن العبّاس بن معروف، وأبي طالب عبد الله بن الصلت القمّي، وأحمد بن إسحاق، كلّهم عنه».

(٣) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٩، ص١٠٥، قال: «والطريق [أي: طريق الشيخ الصدوق] كطريق الشيخ إليه صحيح».

(٤) اُنظر: ابن داود الحلّي، الحسن بن علي، الرجال: ص١٠٣، الرقم ٦٩٦.

جليل المنزلة، له أصل، رواه عنه جماعة من الثقات والأعيان، كصفوان بن يحيى، وغيره»[1].

والنمازي في رجاله قائلاً: «**من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام، اسمه عبد الرحمن بن سالم، شيخ جليل القدر، جليل المنزلة، له أصل رواه جماعة من الأجلّاء، كصفوان بن يحيى، وابن أبي عمير**»[2].

وقال الشبستري: «**من ثقات محدّثي الإمامية، كبير القدر، جليل المنزلة، وله كتاب، روى عن الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً**»[3].

وقال الوحيد البهبهاني: «**في رواية هذه الأعاظم عنه شهادة على كونه ثقة، سيّما وفيهم صفوان، ويشهد عليه أيضاً رواية ابن أبي عمير عنه**»[4].

وبهذا نكون قد أثبتنا اعتبار سند هذه الزيارة من خلال مبنى التنصيص على الوثاقة فيمَن ورد فيهم نصّ بالتوثيق، وهم هارون بن موسى، والحسن بن علي بن فضّال، وصفوان بن مهران الجمّال. ومن خلال مبنى تجميع القرائن فيمَن لم يرد فيهم نصّ بالتوثيق أو التضعيف، وهم: الجماعة التي روى عنها الشيخ الطوسي، ومحمّد بن علي بن معمّر، وأبو الحسن علي بن محمّد بن مسعدة، وسعدان بن مسلم، وقد حصل الاطمئنان إلى وثاقتهم من خلال تجميع القرائن والشواهد المتقدّمة، ومن هذه الناحية فزيارة الأربعين التي رواها الشيخ الطوسي في (التهذيب) و(مصباح المتهجّد) لا مشكلة فيها من حيث السند، اعتماداً على مبنى تجميع القرائن[5].

---

(١) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج٩، ص١٠٥.

(٢) النمازي الشاهرودي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج٤، ص٥١.

(٣) الشبستري، عبد الحسين، الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام: ج٢، ص٢٤.

(٤) الوحيد البهبهاني، محمّد باقر، تعليقة على منهج المقال: ص١٨٩.

(٥) وربمّا لهذا السبب عبّر المجلسي عن سند هذه الزيارة بالمعتبر، قائلاً: «روي بسند معتبر عن صفوان الجمّال». المجلسي، محمّد باقر، زاد المعاد: ص٥٣١، وإن كان قد حكم على السند في كتاب (ملاذ الأخيار) بأنّه مجهول، قائلاً: «الحديث السابع عشر: مجهول». المجلسي، محمّد باقر، ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: ج٩، ص٣٠٣.

الجهة الثانية: التوثيق النصّي لزيارة الأربعين

سنتناول في هذه الجهة التوثيق النصّي لزيارة الأربعين، بمعنى البحث عن فقرات زيارة الأربعين ضمن زيارات أُخرى في الكتب الحديثية المعتبرة القديمة والسابقة لكتب الشيخ الطوسي؛ لما لذلك من توثيق لنصّ الزيارة، وزيادة في الاطمئنان إلى صدورها عن المعصوم عليه السلام؛ لكونها مرويّة في عدّة كتب معتبرة، وبأسانيد مختلفة، فيها المعتبر.

قد يتصوّر بعض أنّ نصّ زيارة الأربعين لم يروه إلّا الشيخ الطوسي في موضع واحد من كتابيه (التهذيب) و(مصباح المتهجّد)، ويحاول أن يضعّف هذه الزيارة العظيمة؛ بسبب عدم التأمّل والتتبّع، وعدم التأنّي والدقّة في دراسة الزيارة، ولكنّي ـ بعد تتبّع طويل، وعناء كبير ـ استطعت أن أجد مضامين هذه الزيارة في كتب الحديث المعتبرة والسابقة لزمن الشيخ الطوسي، ككتاب (المزار) للشيخ المفيد، و(كامل الزيارات) لابن قولويه القمّي، و(الكافي) للشيخ الكليني، وفي مواضع أُخرى من كتاب (التهذيب) و(مصباح المتهجّد) غير الموضع الذي روى فيه الشيخ زيارة الأربعين بتمامها، فقد وجدت بعض مقاطعها تشترك مع بعض المقاطع من زيارات أُخرى مرويّة بأسانيد مختلفة.

وهذا الأمر يعضد سند زيارة الأربعين بشكل لا يدع للإنسان المنصف مجالاً للشكّ في صدورها عن الإمام المعصوم عليه السلام، وبهذا تكون زيارة الأربعين معتبرة سنداً ـ كما تقدّم ـ ومضموناً كما سنوضّح. وسأُشير هنا إلى تلك المقاطع التي تشترك فيها زيارة الأربعين مع زيارات أُخرى مرويّة في كتب الحديث الآنفة الذكر، مع الإشارة إلى مصادرها وأسانيدها، وهي كالتالي:

المقطع الأوّل: من قوله: «اللهمّ إنّي أشهد» إلى قوله: «عذاباً أليماً».

وتفصيل المقطع: «**اللهمّ إنّي أشهد أنّه وليّك وابن وليّك، وصفيّك وابن صفيّك،**

الفائز بكرامتك، أكرمته بالشـهادة، وحبوته بالسعادة، واجتبيته بطيب الولادة، وجعلته سيّداً من السادة، وقائداً من القادة، وذائداً من الذادة، وأعطيته مواريث الأنبياء، وجعلته حجّـة على خلقك مـن الأوصياء، فأعذر في الدعاء، ومنح النصـح، وبذل مهجته فيك؛ ليستنقذ عبادك من الجهالة، وحيرة الضلالة، وقد توازر عليه من غرّته الدنيا، وباع حظّه بالأرذل الأدنى، وشرى آخرته بالثمن الأوكس، وتغطرس وتردّى في هواه، وأسـخطك وأسـخط نبيّـك، وأطاع مـن عبادك أهل الشـقاق والنفاق، وحملة الأوزار، المسـتوجبين للنـار، فجاهدهـم فيك صابراً محتسـباً، حتى سـفك في طاعتك دمه، واسـتبيح حريمه، اللهمّ فالعنهم لعناً وبيلاً، وعذّبهم عذاباً أليماً»[1].

ورد هذا المقطع باختلاف يسـير في (كامل الزيارات) بسـند آخر[2]، يبدأ بقوله: **«اللهمّ إنّي أشـهد أنّ هذا قبر ابن حبيبـك، وصفوتك من خلقك، وأنّه الفائز بكرامتك»** إلى قوله: **«لعن الله قاتلي ولد رسولك، وضاعف عليهم العذاب الأليم»**[3].

وقريب منه ما ورد في (مزار) الشـيخ المفيد: **«اللهمّ إنّي أُشـهدك أنّ هذا القبر قبر حبيبك، وصفوتك من خلقك، الفائز بكرامتك... المسـتوجبين النار، اللهمّ العنهم لعناً وبيلاً، وعذّبهم عذاباً أليماً»**[4].

وورد باختلاف يسـير في (تهذيب الأحكام): **«اللهمّ إنّي أُشهدك أنّ هذا القبر قبر حبيبك، وصفوتك من خلقك، والفائز بكرامتك... المستوجبين النار، اللهمّ العنهم لعناً وبيلاً، وعذّبهم عذاباً أليماً»**[5].

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٨٩.

(٢) سنده: «حدّثني أبو عبد الرحمن محمّد بن أحمد بن الحسين العسكري ومحمّد بن الحسن جميعاً، عن الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه علي بن مهزيار، عن محمّد بن أبي عمير، عن محمّد بن مروان، عن أبي حمزة الثمالي». ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٢٣ـ٢٢٨.

(٣) المصدر السابق: ص٤٠٠ـ٤٠١.

(٤) المفيد، محمّد بن محمّد، المزار: ص١٠٧ـ١٠٨.

(٥) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٥٨ـ٥٩.

وهـذا يعنـي أنّ هذا المقطع من الزيارة مروي بسـند آخـر في (كامل الزيارات)، ونقل في (مزار) الشيخ المفيد، وفي موضع آخر من كتاب (التهذيب) للشيخ الطوسي غـير الموضـع الـذي روى فيـه زيـارة الأربعـين بتمامها، وهذا مـا يقوّي صـدور هذا المضمون عن المعصوم عليه السلام.

المقطع الثاني: من قوله: «السلام عليك» إلى قوله: «فرضيت به».

وتفصيـل المقطـع: «**السـلام عليك يا ابن رسـول الله، السـلام عليك يا ابن سـيّد الأوصياء، أشـهد أنّك أمين الله وابن أمينه، عشت سـعيداً، ومضيت حميداً، ومتّ فقيداً مظلوماً شهيداً، وأشهد أنّ الله منجز ما وعدك، ومهلك مَن خذلك، ومعذّب مَن قتلك، وأشهد أنّك وفيت بعهد الله، وجاهدت في سبيله حتى أتاك اليقين، فلعن الله مَن قتلك، ولعن الله مَن ظلمك، ولعن الله أُمّة سمعت بذلك فرضيت به**»[1].

وقـد ورد هـذا المقطع باختلاف يسـير في موضع آخر من (مصبـاح المتهجّد)[2] بسـند يختلف عن سـند زيارة الأربعين، يبدأ المقطع بقوله: «**السـلام عليـك يا أبا عبد الله، السـلام عليك يابن رسـول الله، السـلام عليك يابن أمير المؤمنين، أشهد موقناً أنّك أمين الله وابن أمينه، قُتلت مظلوماً، ومضيت شهيداً، وأشهد أنّ الله تعالى الطالب بثارك، ومنجـز مـا وعدك من النـصر والتأييد في هلاك عـدوّك، وإظهار دعوتك، وأشـهد أنّك وفيت بعهد الله، وجاهدت في سـبيل الله، وعبـدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين، لعن الله أُمّة قتلتك، ولعن الله أُمّة خذلتك...**»[3].

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٨٩.

(٢) قال: «أخبرنا جماعة من أصحابنا، عن أبي المفضّل الشيباني، قال: حدّثنا أبو محمّد عبد الله بن محمّد العابد بالدالية لفظاً، قال: سألت مولاي أبا محمّد الحسن بن علي عليهما السلام في منزله بسّر مَن رأى، سنة خمس وخمسين ومئتين أن يملي عليّ من الصلاة على النبي وأوصيائه عليهم السلام، وأحضرت معي قرطاساً كثيراً، فأملى عليّ لفظاً من غير كتاب». المصدر السابق: ص٣٩٩.

(٣) المصدر السابق: ج١، ص٤٠٢. باب الصلاة على الحسن والحسين عليهما السلام.

المقطع الثالث: من قوله: «بأبي أنت» إلى قوله: «الهادي المهدي».

وتفصيل المقطع: «بأبي أنت وأُمّي يا ابن رسول الله، أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام الطاهرة، لم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك المدلهمّات من ثيابها، وأشهد أنّك من دعائم الدين، وأركان المسلمين، ومعقل المؤمنين، وأشهد أنّك الإمام البرّ التقي، الرضي الزكي، الهادي المهدي»[1].

فقد ورد هذا المقطع في موضع آخر من (مصباح المتهجّد) باختلاف يسير، حيث قال: «يا مولاي يا أبا عبد الله، أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهّرة، لم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمّات ثيابها، وأشهد أنّك من دعائم الدين، وأركان المؤمنين، وأشهد أنّك الإمام البرّ التقي، الرضي الزكي، الهادي المهدي»[2].

المقطع الرابع: من قوله: «وأشهد أنّ الأئمّة» إلى قوله: «وخواتيم عملي».

والمقطع مفصّلاً هو: «وأشهد أنّ الأئمّة من ولدك كلمة التقوى، وأعلام الهدى، والعروة الوثقى، والحجّة على أهل الدنيا، وأُشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله أنّي بكم مؤمن، وبإيابكم موقن، بشرائع ديني، وخواتيم عملي»[3].

وقد ورد هذا المقطع مسنداً بغير سند زيارة الأربعين في (مصباح المتهجّد) حيث يقول: «أشهد أنّك والأئمّة من ولدك كلمة التقوى، وباب الهدى، والعروة الوثقى، والحجّة على أهل الدنيا، وأشهد أنّي بكم مؤمن، وبمنزلتكم موقن، ولكم تابع، بذات نفسي، وشرائع ديني، وخواتيم عملي، ومنقلبي في دنياي وآخرتي»[4].

---

(١) المصدر السابق: ج٢، ص٧٨٩.

(٢) المصدر السابق: ص٧٢٠.

(٣) المصدر السابق: ص٧٢١.

(٤) المصدر السابق: ج١، ص٤٠٢. وقد مرّ ذكر السند في الحديث عن المقطع الثاني.

وفي (كامل الزيارات) بسند غير سند زيارة الأربعين، مع اختلاف يسير، حيث يقول: «**أشهد أنّكم كلمة التقوى، وباب الهدى، والعروة الوثقى، والحجّة على مَن يبقى، ومَن تحت الثرى، أشهد أنّ ذلك لكم سابق فيما مضى، وذلك لكم فاتح فيما بقي، أشهد أنّ أرواحكم وطينتكم طينة طيبة، طابت وطهرت، هي بعضها من بعض، منّاً من الله ومن رحمته، فأُشهد الله وأُشهدكم أنّي بكم مؤمن، وبإيابكم موقن، ولكم تابع في ذات نفسي، وشرايع ديني، وخاتمة عملي، ومنقلبي ومثواي**»[1].

ومثله ـ باختلاف يسير ـ في (الكافي) بنفس سند (كامل الزيارات)، وهو غير سند زيارة الأربعين كما أسلفنا: «**أشهد أنّك كلمة التقوى، وباب الهدى، والعروة الوثقى، والحجّة على مَن يبقى، ومَن تحت الثرى، أشهد أنّ ذلك سابق فيما مضى، وذلك لكم فاتح فيما بقي، أشهد أنّ أرواحكم وطينتكم طيّبة، طابت وطهرت، هي بعضها من بعض، منّاً من الله ورحمة، وأُشهد الله وأُشهدكم أنّي بكم مؤمن، ولكم تابع، في ذات نفسي، وشرائع ديني، وخاتمة عملي، ومنقلبي ومثواي**»[2].

وكذلك في موضع آخر من (كامل الزيارات) بسند معتبر غير ما تقدّم عنه، وغير سند زيارة الأربعين: «**أشهد أنّكم كلمة التقوى، وباب الهدى، والحجّة على خلقه، أشهد أنّ ذلك لكم سابق فيما مضى، وفاتح فيما بقي، وأشهد أنّ أرواحكم وطينتكم طينة طيّبة، طابت وطهرت، بعضها من بعض، من الله ومن رحمته، وأُشهد الله تبارك وتعالى وكفى به شهيداً، وأُشهدكم، أنّي بكم مؤمن، ولكم تابع، في ذات نفسي، وشرايع ديني،**

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٠٢. وسند الرواية هو: «حدّثني أبي ومحمّد بن الحسن، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيّوب، عن نعيم بن الوليد، عن يوسف الكناسي، عن أبي عبد الله عليه السلام».

(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٧٣. رواه بنفس سند (كامل الزيارات): «عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيّوب، عن نعيم بن الوليد، عن يونس الكناسي، عن أبي عبد الله عليه السلام»، وفي سنده يونس بدلاً من يوسف، والظاهر أنّه من خطأ النسّاخ.

وخاتمة عملي، ومنقلبي ومثواي»[1].

وعليه؛ فهذا المقطع الوارد في زيارة الأربعين قد ورد في زيارات أُخرى رواها الأصحاب، وهم الشيخ الطوسي في موضعين من (المصباح) بسندين، وفي موضعين من (كامل الزيارات) و(الكافي)؛ وبناء على هذا يكون هذا المقطع مرويّاً في عدّة كتب معتبرة، وبثلاثة أسانيد، فيها المعتبر، وهذا يضيف قرينة إلى التوثيق السندي لزيارة الأربعين.

المقطع الخامس: من قوله: «قلبي لقلبكم» إلى قوله: «وباطنكم».

والمقطع تفصيلاً كما يلي: «**وقلبي لقلبكم سلم، وأمري لأمركم متّبع، ونصرتي لكم معدّة، حتى يأذن الله لكم، فمعكم معكم، لا مع عدوّكم، صلوات الله عليكم، وعلى أرواحكم، وأجسامكم، وشاهدكم، وغائبكم، وظاهركم، وباطنكم**»[2].

وقد ورد النصّ باختلاف يسير في موضع آخر من (مصباح المتهجّد) غير الموضع الذي رويت فيه زيارة الأربعين بتمامها، وذلك حيث يقول: «**وقلبي لقلبكم سلم، وأمري لأمركم متّبع، صلوات الله عليكم، وعلى أرواحكم، وعلى أجسادكم، وعلى أجسامكم، وعلى شاهدكم، وعلى غائبكم، وعلى ظاهركم، وعلى باطنكم**»[3].

والنتيجة: أنّ زيارة الأربعين ومقاطعها المتقدّمة تمتاز بأمرين:

الأوّل: أنّ فقراتها واردة في مصادر الحديث المعتبرة والسابقة للشيخ الطوسي، ككتاب (الكافي) للكليني، و(كامل الزيارات) لابن قولويه، و(المزار) للشيخ المفيد،

---

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٢٣٣. وسند الرواية هو: «حدّثني أبو عبد الرحمن، محمّد بن أحمد بن الحسين العسكري، ومحمّد بن الحسن جميعاً، عن الحسن بن علي بن مهزيار، عن أبيه علي بن مهزيار، عن محمّد بن أبي عمير، عن محمّد بن مروان، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال الصادق عليه السلام».

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٩٠.

(٣) المصدر السابق: ص٧٢٠. بعد قوله: ثم تأتي باب القبّة، وقف من حيث يلي الرأس.

إضافة إلى مواضع أُخرى من (التهذيب) و(المصباح) للشيخ الطوسي غير الموضع الذي روى فيه زيارة الأربعين بتمامها، وهذا يعني أنّها واردة في خمسة كتب روائية معتبرة.

الثاني: أنّ فقرات زيارة الأربعين ومقاطعها مروية بأسانيد وطرق مختلفة، فقد روى بعض مقاطعها الشيخ الكليني بسند، وروى ابن قولويه بعض مقاطها بثلاثة أسانيد مختلفة، ورواها الشيخ الطوسي بسندين أيضاً، حيث روى الزيارة كاملة بسند، وروى مقطعاً منها بسند آخر، فيكون مجموع الأسانيد التي رويت بها فقرات الزيارة خمسة أسانيد، ومن ضمنها سند زيارة الأربعين الذي تقدّم توثيقه من خلال تجميع القرائن، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على اعتبار زيارة الأربعين من حيث السند والمضمون، وورودها عن المعصوم عليه السلام.

المحور الثاني: البُعد الدلالي في زيارة الأربعين

يقع الكلام في هذا المحور في البُعد الدلالي لنصّ زيارة الأربعين، وبما أنّ نصّ زيارة الأربعين يشتمل على معانٍ غزيرة وعميقة بحاجة إلى بسط الكلام، الأمر الذي لا يتناسب مع حجم هذا المقال، فقد حاولنا التركيز على الخطوط العامّة الواردة في الزيارة، من دون الدخول في تفاصيلها، وسيقع البحث في البُعد الدلالي ضمن نقاط:

النقطة الأُولى: ما يدلّ على اختصاصها بيوم العشرين من صفر

نتناول في هذه النقطة الإجابة عن السؤال التالي: هل هذه الزيارة من الزيارات الخاصّة بيوم الأربعين المصادف للعشرين من صفر، أو هي زيارة مطلقة لا علاقة لها بيوم الأربعين؟ فهل هناك تحديد زمني في نصّ الزيارة يدلّ على أنّها يزار بها في خصوص العشرين من صفر؟

يمكن إثبات اختصاصها بهذا اليوم من خلال الأُمور التالية:

الأمر الأوّل: أنّ الشيخ الطوسي في (التهذيب) قبل أن يروي الزيارة عنونها بقوله (زيارة الأربعين)، من دون أيّ شرح أو تعليق، ثمّ بعد العنوان وردت عبارة (زيارة الأربعين) في نصّ الزيارة، حيث قال صفوان: «**قال لي مولاي الصادق**عليه السلام: **في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار، وتقول...**»[1]، وبعد التعبير بقوله: (في زيارة الأربعين) لم يرد أيضاً أيّ شرح أو توضيح أو تعليق، فلم يقل في العشرين من صفر مثلاً، ومن الواضح إذا تأمّلنا تركيب (زيارة الأربعين) فسنجد أنّ لفظ الزيارة مضاف إلى الأربعين، والإضافة تفيد التخصيص. لكن ماذا تعني كلمة الأربعين؟ هل هي يوم خاصّ، أو شيء آخر؟ هذا ما سيتّضح في الأمر التالي.

الأمر الثاني: أنّ الشيخ الطوسي في (التهذيب)[2] أورد رواية مرسلة[3] عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ورد فيها التعبير بزيارة الأربعين من دون أيّ شرح أو تعليق، والمقصود من زيارة الأربعين في هذا الحديث هو زيارة الحسين عليه السلام، وليس زيارة أربعين مؤمناً كما قد يتوهّم، ويدلّ على ذلك إيراد الشيخ لها في باب زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وإلّا لزم أن يكون الشيخ قد أورد الرواية في غير بابها، وهو معيب جدّاً على متفقّه، فكيف بمثل الشيخ الطوسي؟! فالمراد بزيارة الأربعين هو زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم موصوف بالأربعين، والمقصود هو يوم معيّن وخاصّ؛ بقرينة أنّ الشيخ أوردها بعد مجموعة من الروايات الدالّة على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في أيّام مخصوصة، كعيد الفطر وعرفة، بل أوردها مباشرة بعد زيارة عاشوراء، وهذا يدلّ

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٣.

(٢) المصدر السابق: ج٦، ص٥٢، باب ١٦، ح٣٧. وأوردها الشيخ الطوسي أيضاً في مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٨٨. ثمّ أورد بعد رواية علامات المؤمن الرواية التي تتضمّن نصّ زيارة الأربعين عن صفوان الجمّال.

(٣) لا يضرّ إرسالها بعد إثبات سند زيارة الأربعين المتقدّم؛ لأنّ هذه العبارة واردة في الزيارة المعتبرة التي نحن بصدد الحديث عنها.

على أنّ المراد من الأربعين في قوله (زيارة الأربعين) هو يوم من الأيّام، وهو معنى واحد في كلا الروايتين، ولكن أيّ يوم هو في ذاته؟ هذا ما سيأتي بيانه.

الأمر الثالث: أنّ الشيخ المفيد أورد في (المزار)[1] نفس رواية علامات المؤمن المرسلة عن العسكري عليه السلام، وقد ورد فيها ذكر (زيارة الأربعين) ضمن علامات المؤمن، وبما أنّ الشيخ المفيد أوردها في باب زيارات الإمام الحسين عليه السلام، يدلّ ذلك على أنّ المراد بها زيارة الإمام الحسين عليه السلام الموصوفة بالأربعين، وإلّا يكون الشيخ قد أوردها في غير بابها، وهو بعيد جدّاً عن مثل الشيخ المفيد، بل أوردها المفيد بعد الزيارات التي تنصّ على زيارة الحسين عليه السلام في أيّام مخصوصة، وتحديداً بعد زيارة الحسين عليه السلام في اليوم العاشر من المحرّم مباشرة، وفي ذلك قرينة واضحة على أنّ المراد هو تحديد هذه الزيارة بيوم خاصّ ومعيّن موصوف بالأربعين.

الأمر الرابع: صرّح الشيخ الطوسي في (مصباح المتهجّد) ـ بكلّ وضوح ـ بأنّ المراد من زيارة الأربعين هو زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر، حيث قال: «**وفي اليوم العشرين منه [أي: من شهر صفر] كان رجوع حرم سيّدنا أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي عنه من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام، فكان أوّل مَن زاره من الناس، ويستحبّ زيارته عليه السلام فيه، وهي زيارة الأربعين**»[2].

فالعبارة واضحة ـ بل صريحة ـ في أنّ المقصود من زيارة الأربعين هو زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم العشرين من صفر، وكلامه هذا شرح صريح لعبارة (زيارة الأربعين) الواردة في نصّ زيارة الأربعين التي رواها بسند معتبر بعد ذلك الشرح مباشرة.

---

(١) أُنظر: المفيد، محمّد بن محمّد، المزار: ص٥٣.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٨٧. ثمّ أورد بعد عبارته رواية علامات المؤمن عن الإمام العسكري عليه السلام، ورواية نصّ زيارة الأربعين عن صفوان، عن الإمام الصادق عليه السلام.

وهذا يعني أنّ المراد من (زيارة الأربعين) هو زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر في كلا الروايتين اللتين رواهما بعد شرحه مباشرة، وهذا في الحقيقة نصّ منه على أنّ المراد من زيارة الأربعين في رواية الإمام العسكري عليه السلام، وزيارة الأربعين المرويّة بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام، هو العشرين من صفر.

وبناء على هذا يثبت المطلوب، وهو أنّ المراد من زيارة الأربعين هو زيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر، وتحديداً عند ارتفاع النهار منه، وقد اتّضح أيضاً وجه تسميتها بالأربعين، ففي يوم العشرين من صفر يكون قد مضى على شهادة الإمام الحسين عليه السلام أربعون يوماً، وهذا اليوم يتكرّر في كلّ عام، كما يتكرّر يوم عاشوراء في كلّ عام.

النقطة الثانية: ما يدلّ على استحباب زيارة الأربعين في العشرين من صفر

قد تقدّم في المحور الأوّل أنّ سند زيارة الأربعين معتبر، وقد وثّقنا الزيارة من خلال تجميع القرائن التي توجب الاطمئنان إلى صدورها عن المعصوم عليه السلام، فالسند لا غبار عليه، وأمّا دلالة الزيارة على أنّها مستحبّة في العشرين من صفر، فذلك يتّضح من قول الراوي: «**قال لي مولاي الصادق (صلوات الله عليه): في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار، وتقول...**»[1].

فمن الواضح أنّ قوله: «**تزور عند ارتفاع النهار**» نصّ من الإمام عليه السلام على استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام في هذا اليوم، يُضاف إلى ذلك أنّها من علامات الإيمان، بناء على رواية الإمام الحسن العسكري عليه السلام في علامات المؤمن، أمّا ضعف سندها فتعضده رواية صفوان عن الإمام الصادق عليه السلام.

والحاصل: أنّه يثبت استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام برواية صفوان، من دون حاجة إلى قاعدة التسامح في أدلّة السنن، والثمرة في ذلك واضحة؛ فإنّ هذه

(١) المصدر السابق: ص٧٨٨.

الزيـارة ـ بعـد اعتبار سـندها، واتّضاح دلالتهـا ـ يؤتى بها بنية الاسـتحباب، لا بنية رجاء المطلوبية، وقد أفتى الشيخ الطوسي في كتابه (المصباح) باستحبابها أيضاً، حيث قال: «**ويستحبّ زيارته**عليه السلام **فيه [أي: في العشرين من صفر]، وهي زيارة الأربعين**»[1].

أمّا احتمال أنّ فتوى الشـيخ الطوسي باستحباب الزيارة هو من باب التسامح في أدلّة السنن، فهذا غير وارد؛ وذلك لوجوه:

أوّلاً: لو كانت فتوى الشيخ الطوسي من باب التسامح في أدلّة السنن لعبّر بتعبير يـدلّ عـلى ذلـك، كأن يقول مثـلاً: يبلغه ثواب ذلك، أو ما شـابه ذلك، ممّـا يدلّ على مطلق الثواب، لا الاستحباب بعينه.

ثانيـاً: أنّ الشـيخ صرّح بالاسـتحباب، فقال: يسـتحبّ، وهذا التعبـير يعني أنّ حكـم الزيارة من الناحية الفقهية هو الاسـتحباب في هذا اليـوم، وهو تنصيص على الاسـتحباب، فلـو أراد مطلـق الثواب لـكان عليه بيان ذلـك، وبما أنّـه لم يُبيّن؛ يُفهم المعنى الظاهر، وهو الاستحباب.

ثالثاً: سواء كان مقصود الشيخ مطلق الثواب أو الاستحباب لا تختلف النتيجة؛ فـما دامـت الرواية ثابتة بسـند معتـبر ـ كما بيّنا في المحـور الأوّل ـ ومـا دامت دلالتها على الاسـتحباب واضحة، يُحكم باسـتحباب زيارة الحسـين عليه السلام في هـذا اليوم، أي: العشرين من صفر.

وبعـد هذا؛ من المناسـب أن نتعـرّض لأهمّ مضامين الزيـارة، وقبل ذلك ينبغي التنويه بعدّة أُمور:

الأوّل: أنّ زيـارة الأربعـين إن أمكن الإتيان بها عن قـرب في يوم الأربعين ـ بأن يـأتي الزائـر في العشرين من صفر إلى قبر أبي عبد الله عليه السلام ـ فهو الأفضل، ويحصل على ثواب مطلق الزيارة، إضافة إلى ثواب الزيارة الخاصّة بهذا اليوم.

(١) المصدر السابق: ص٧٨٧.

الثاني: أنّ هذه الزيارة يمكن أن يُزار بها عن قرب، كما يمكن أن يُزار بها عن بعد، ويحصل الزائر على الأجر؛ وذلك لأنّه لم يرد فيها التقييد بالمكان، فلم يرد مثلاً: إذا أتيت إلى الحائر، أو إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام، وما شابه ذلك من التعبيرات الدالّة على الزيارة عن قرب، فهي مطلقة من حيث المكان، وإن كانت مقيّدة من حيث الزمان بيوم الأربعين، بل دلّت بعض الروايات على أنّ الزائر إذا كان بعيداً، أو لم يتمكّن من المجيء إلى قبر الحسين عليه السلام، يُمكنه أن يزور عن بعد، كأن يصعد على سطح بيته ويزور الحسين عليه السلام، كما ورد ذلك في زيارة عاشوراء أيضاً.

الثالث: يمكن أن يزار بهذه الزيارة في غير يوم الأربعين، وهذا الأمر يمكن تعميمه على جميع الزيارات المؤقتة بوقت؛ وذلك لأنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام مستحبّة مطلقاً، وفي أيّ وقت، غاية الأمر أنّ بعض الزيارات خُصّصت بأيّام معيّنة، وتخصيصها بيوم معيّن لا ينفي استحبابها في غيره من الأيّام. نعم، يتأكّد الاستحباب في اليوم الخاصّ.

النقطة الثالثة: التركيز على خصائص الإمام الحسين والأئمّة من ولده عليهم السلام

قد ركّزت زيارة الأربعين على خصائص الإمام الحسين والأئمّة من ولده عليهم السلام، بحيث كرّست ما يقرب من ثلثي النصّ لهذا الغرض، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أهمّية معرفة الأئمّة عليهم السلام، وتعرّف الزائر على خصائص مَن يزوره، وهذا هو السرّ في تأكيد الروايات ضرورة كون الزائر عارفاً بخصائص الإمام عليه السلام الذي يزوره وصفاته، حيث ورد فيها التعبير بـ: «**عارفاً بحقّه**».

وسنوضّح خصائص الإمام الحسين والأئمّة من ولده عليهم السلام في ضوء نصّ زيارة الأربعين، وهذا ما يستدعي البحث في أمرين:

الأمر الأوّل: خصائص الإمام الحسين عليه السلام

قد وصفت زيارة الأربعين الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام بصفات كثيرة، سنتعرّض لها،

وإذا تأمّلنا فقرات الزيارة التي وصفت الحسين عليه السلام نجد أنّها وصفته في عدّة مراحل: مرحلة ما قبل الولادة، ومرحلة الولادة، ومرحلة حياته، ومرحلة إمامته، ومرحلة شهادته، وقد أكرمه الله تعالى في جميع تلك المراحل، فهو «**الفائز بكرامتك**»[1].

وسنبيّن هذه المراحل في ضوء فقرات زيارة الأربعين:

المرحلة الأُولى: إكرام الله له قبل الولادة: تُشير الزيارة إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهّرة، لم تنجّسه الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسه من مدلهمّات ثيابها. وهذا يعني أنّ الله تعالى قد أكرم الإمام الحسين عليه السلام بهذه الكرامة، أن جعله في صلب الأنبياء عليهم السلام، والأرحام المطهّرة، ينتقل من صلب إلى صلب، حتى انتهى إلى صلب عبد المطّلب، ثمّ خرج هذا النور من علي وفاطمة عليهما السلام، فقد فاز الإمام الحسين عليه السلام بهذه الكرامة، ولذا جاء في الزيارة: «**الفائز بكرامتك**».

المرحلة الثانية: إكرامه بطيب الولادة؛ فإنّ الله تعالى أكرمه حين اجتباه بطيب الولادة: «**واجتبيته بطيب الولادة**»[2]، والمقصود واضح؛ فإنّ الله تعالى قد جعل أباه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو سيّد الأوصياء، ووليّ الله، وأمين الله، وجعل أُمّه فاطمة الزهراء عليها السلام، سيّدة نساء العالمين، وبنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وما أعظمها من نعمة! حيث تربّى في حضن النبوّة والإمامة.

المرحلة الثالثة: أنّ الله تعالى أكرمه وحباه بالسعادة في حياته وأيّام عمره «**وحبوته بالسعادة**»، فعاش سعيداً كريماً معزّزاً، إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن عليهم السلام، فهذه هي السعادة بعينها، وما أعظمها من سعادة!

المرحلة الرابعة: أكرمه الله تعالى بالإمامة، وهي مرحلة الاصطفاء، ومرحلة الوصاية، وحمل الأمانة، حيث جاء في الزيارة: «**السلام على وليّ الله وحبيبه، السلام**

(١) المصدر السابق: ص٧٨٨.

(٢) المصدر السابق.

على خليل الله ونجيبه، السلام على صفيّ الله وابن صفيّه، السلام على الحسين المظلوم الشهيد، السلام على أسير الكربات، وقتيل العبرات، اللهمّ إنّي أشهد أنّه وليّك، وابن وليّك، وصفيّك، وابن صفيّك»[1].

فقد اصطفاه الله واختاره للإمامة، فهو وليّ الله وابن وليّه، وصفيّ الله وابن صفيّه، وقد جعله الله سيّداً من السادة، وقائداً من القادة، وذائداً من الذادة، وأعطاه مواريث الأنبياء، وجعله حجّة على الخلق، كما يُشير إليه قوله: «**وجعلته سيّداً من السادة، وقائداً من القادة، وذائداً من الذادة، وأعطيته مواريث الأنبياء، وجعلته حجّة على خلقك**»[2].

فهو أمين الله وابن أمينه، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنّه ورث الإمامة من أبيه عليه السلام، وجدّه صلى الله عليه وآله، والأنبياء جميعاً عليهم السلام، لذلك هو «**من دعائم الدين، وأركان المسلمين، ومعقل المؤمنين**»[3]، وهو «**الإمام البرّ التقي، الرضي الزكي، الهادي المهدي**»[4].

ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل على عاتق الإمام الحسين عليه السلام مسؤولية عظيمة، وهي هداية الأُمّة إلى سبيل الرشاد، وتبليغ رسالة الله، والحفاظ على دينه، وقد قام الإمام عليه السلام بهذه المسؤولية خير قيام، كما ورد في الزيارة: «**وأشهد أنّك وفيت بعهد الله، وجاهدت في سبيل الله، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين**»[5].

المرحلة الخامسة: الفوز بكرامة الشهادة: وقد أكرمه الله عزّ وجلّ بالشهادة، فبعد أنّ فاز عليه السلام بجميع الكرامات السابقة، وبعد قيامه بالمسؤولية خير قيام، أكرمه الله بالشهادة، فأصبح أسير الكربات، وقتيل العبرات، فمضى حميداً وشهيداً ومظلوماً.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق: ص٧٨٩.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق: ص٤٠٢.

المرحلة السادسة: مرحلة ما بعد الشهادة، إنّ الله ﷻ قد وعد المؤمنين بالفوز في الدنيا والآخرة، وهذا ما أنجزه الله تعالى للإمام الحسين عليه السلام، فله في الدنيا المقام الشامخ، وخلود اسمه، وجميل ذكره، أمّا في الآخرة، فهو سيّد شباب أهل الجنّة، وهذا ما يشير إليه النصّ: «**وأشهد أنّ الله منجز ما وعدك**»[1].

وفي المقابل سيهلك الله ﷻ من خذل الحسين عليه السلام، ويعذّب مَن قتله في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فقد أهلكهم الله وعذّبهم، وفي الآخرة ينتظرهم الهلاك والعذاب الأليم، وهذا ما أشارت إليه الزيارة في الفقرة التالية: «**ومهلك مَن خذلك، ومعذّب مَن قتلك**»[2].

وجميع هذه المزايا والصفات التي أكرم الله بها الإمام الحسين عليه السلام يشهد بها الزائر، وهو مؤمن وموقن بها، وهو يعلن ذلك أمام الله ﷻ، ويشهد بإمامته عليه السلام، وكلّ ما يتعلّق به من الأُمور المتقدّمة.

الأمر الثاني: صفات الأئمّة من ولده عليهم السلام وخصائصهم

ثمّ إنّ الزيارة تُشير في مقطع آخر إلى صفات الأئمّة من ولد الحسين عليه السلام، حتى الإمام المهدي الغائب عجل الله فرجه الشريف، فإنّ الله ﷻ قد عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذرّيته؛ ومن هنا يأتي المقطع الثاني ليؤكّد هذا المعنى، ويشهد الزائر بما يلي:

١ـ إمامتهم عليهم السلام، وأنّهم كلمة التقوى، وأعلام الهدى، والعروة والوثقى، والحجّة على أهل الدنيا.

٢ـ الإيمان بهم وبإيابهم، ويحتمل في المقصود من (إيابهم) وجوه:

الأوّل: نشرهم يوم القيامة.

الثاني: رجعتهم إلى الدنيا في آخر الزمان.

---

(١) المصدر السابق: ص٧٨٩.

(٢) المصدر السابق.

الثالث: ظهور قائمهم عجل الله فرجه.

والاحتمال الثالث هو الأقرب؛ بقرينة قوله فيما بعد: «**شاهدكم وغائبكم**»[1].

٣ـ الشهادة باليقين بشرائع الدين، وخواتيم الأعمال.

٤ـ التعهّد للأئمّة عليهم السلام بالولاء والاتّباع لهم، والاستعداد لنصرتهم إلى أن يأذن الله لهم، بمعنى أن يأذن الله لهم بالقيام بالأمر والحكم في حال الحضور أو الظهور بعد الغيبة، فيتعهّد الزائر بأنّه معهم على كلّ حال، في حال الحضور، أو الغيبة، أو الظهور بعد الغيبة، «**صلوات الله عليكم، وعلى أرواحكم وأجسامكم، وشاهدكم وغائبكم، وظاهركم وباطنكم، آمين ربّ العالمين**»[2].

النقطة الرابعة: بيان سرّ نهضته المباركة

بعد أن أعطى الله عز وجل الإمام الحسين عليه السلام مقاليد الإمامة والوصاية، وأمره بأن يقوم بإحياء دين النبي صلى الله عليه وآله، ويسير بسيرة جدّه صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، ويبلّغ رسالة السماء، وشرائع الأنبياء عليهم السلام، قام بهذه الوظيفة خير قيام، «**فأعذر في الدعاء، ومنح النصح**»[3]، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وهداهم إلى سبيل الرشاد.

فالهدف من هذه النهضة هو دعوة الأُمّة إلى الله، وهو هدف الأنبياء عليهم السلام، وكان الإمام عليه السلام يستشهد بآيات القرآن الكريم التي وردت على لسان الأنبياء عليهم السلام، منها: ﴿اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[4]، و﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[5]، فكانت نهضته عليه السلام نهضة توعوية، لإعادة

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ص٧٨٩ـ٧٩٠.

(٣) المصدر السابق: ص٧٨٨.

(٤) غافر: الآية ٣٨.

(٥) غافر: الآية ٢٧.

بناء صرح الإسلام، فقد أراد الإمام عليه السلام بنهضته أن يستنقذ الأُمّة من الجهالة، وحيرة الضلالة، والشكّ والارتياب والعمى، ولو كلّف ذلك مهجته، وسفك دمه، «**وبذل مهجته فيك؛ ليستنقذ عبادك من الجهالة، وحيرة الضلالة**»[1]، وما أعظمها من غاية!

النقطة الخامسة: الصفات الرذيلة لأعدائه عليه السلام والبراءة منهم

وفي مقطع آخر تُشير الزيارة إلى أمرين: **الأوّل**: صفات أعداء الحسين عليه السلام. **والثاني**: لعنهم والبراءة منهم، وهذا ما سنتحدث عنه فيما يلي:

الأمر الأوّل: صفات أعداء الإمام الحسين عليه السلام

تعرّضت الزيارة في بعض مقاطعها لصفات أعداء الإمام الحسين عليه السلام، وقد صنّفتهم إلى صنفين:

الصنف الأوّل: هم قادة الجيش وجنودهم، ومنهم عمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وغيرهما، أي: الذين أطاعوا أُمراءهم، وهؤلاء يتميّزون بالصفات التالية:

١ـ غرّتهم الدنيا: «**وقد توازر عليه من غرّته الدنيا**»[2]، وقد خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «**الحمد لله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور مَن غرّته، والشقي مَن فتنته، فلا تغرّنكم هذه الدنيا؛ فإنّها تقطع رجاء مَن ركن إليها، وتخيّب طمع من طمع فيها**»[3].

٢ـ صفقتهم خاسرة: فكلّ منهم «**باع حظّه بالأرذل الأدنى، وشرى آخرته بالثمن الأوكس**»[4]، فقد كان يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد يعدانهم بالمناصب والأموال، فباعوا حظّهم، وباعوا الآخرة بثمن زهيد.

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٨٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٦.
(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٨٨.

٣ـ التغطرس والتسبّب في سخط الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله: «**وتغطرس، وتردّى في هواه، وأسخطك، وأسخط نبيّك**»[١].

وقال لهم الإمام الحسين عليه السلام: «**وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الربّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم**»[٢].

الصنف الآخر: أهل الشقاق والنفاق، وحملة الأوزار، المستوجبين للنار.

وهم الأُمراء الذين أطاعهم الصنف الأوّل، كعبيد الله بن زياد، ويزيد بن معاوية، وقد وصفوا بـ«**أهل الشقاق والنفاق، وحملة الأوزار، المستوجبين للنار**»[٣]، أي: هم الذين حملوا أوزار هؤلاء، وهم مسؤولون أمام الله عزّ وجلّ، وقد أوجب الله عليهم نار جهنّم، وساءت مصيراً.

الأمر الثاني: البراءة من أعداء الحسين عليه السلام بجميع أصنافهم

قد دلّت الزيارة في عدّة مواضع على البراءة من أعداء الحسين عليه السلام، بصنفيهم المتقدّمين، والبراءة من صنف آخر أيضاً، وهم كلّ مَن سمع بذلك فرضي بفعلهم، حيث ورد في موضع منها: «**فلعن الله مَن قتلك، ولعن الله مَن ظلمك**»[٤]، فهذان هما الصنفان المتقدّمان، ممّن غرّتهم الدنيا من أهل الشقاق والنفاق، والصنف الثالث لُعن في هذا المقطع: «**ولعن الله أُمّة سمعت بذلك فرضيت به**»[٥].

ثمّ يشهد الزائر بالولاية للإمام الحسين عليه السلام، ولكلّ مَن والاه عليه السلام، والعداء لمَن

(١) المصدر السابق.
(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٦.
(٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٨٨ـ ٧٨٩.
(٤) المصدر السابق: ص٧٨٩.
(٥) المصدر السابق: ص٧٢١.

عـاداه عليه السلام: «...**أنّي ولي لمَـن والاه، وعـدوّ لمَن عـاداه**»[1]، ومَن عـاداه هم الأصناف الثلاثة المتقدّمة، ثمّ يفديه الزائر بأبيه وأُمّه، ويعلن استعداده للشهادة بين يديه.

النقطة السادسة: المصائب التي جرت عليه عليه السلام

قد تقدّمت في النقطة الخامسة صفات أعداء الإمام الحسين عليه السلام، والبراءة منهم، وهنا نأتي بمواضع من الزيارة تدلّ على جهاد الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، وصبره واحتسابه ومصائبه، حيث ورد فيها: «**فجاهدهم فيك صابراً محتسباً**»[2]، مع قلّة أصحابه، وتحمّله للمصائب والمحن، ومظلوميّته ووحدته وغربته، حيث بقي أسيراً بين الأعداء حتى قُتل، وسفك دمه صابراً محتسباً، واستبيح حريمه، وأُسر عياله، «**حتّى سُفك في طاعتك دمه، واستُبيح حريمه**»[3]، «**السلام على الحسين الشهيد، المظلوم، أسير الكربات، وقتيل العبرات**»[4].

(١) المصدر السابق: ص٧٨٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق: ٧٨٨.

الخاتمة

من خلال ما تقدّم نستنتج الأُمور التالية:

١ـ فيما يتعلق بتوثيق زيارة الأربعين المأثورة تمّ توثيقها من جهتين:

الجهة الأُولى: هي جهة دراسة السند، من خلال توثيق الرجال الذين لم يرد فيهم نصّ بالتوثيق ولا نصّ بالذمّ، وقد اعتمدنا في ذلك على مبنى تجميع القرائن، وتوصّلنا إلى توثيقهم من خلال هذا المبنى، وبناء على هذا يثبت أنّ سند الزيارة لا غبار عليه.

الجهة الثانية: هي جهة التوثيق النصّي، حيث قمنا بالبحث عن فقرات زيارة الأربعين ومقاطعها في زيارات أُخرى، فوجدنا أنّها قد وردت في زيارات متعدّدة، وبأسانيد مختلفة، وهذا ما يعضد السند، ويزيده قوّة، وبذلك انتهينا إلى الاطمئنان إلى صدور زيارة الأربعين عن المعصوم عليه السلام.

٢ـ وقد توصّلنا على المستوى الدلالي إلى أنّ زيارة الأربعين من الزيارات المؤقّتة بيوم معيّن، وهو يوم العشرين من صفر، وهو يوم الأربعين المعروف، وليست من الزيارات المطلقة، كما أنّها من الزيارات المستحبّة التي يزار بها في يوم الأربعين.

ولاحظنا أيضاً أنّ زيارة الأربعين قد ركّزت على خصائص الإمام الحسين والأئمّة من ولده عليهم السلام، وبيّنت أهمّ خصائصهم، وأكّدت على أنّ السرّ في نهضته وشهادته يتمثّل في استنقاذ الأُمّة من الجهالة وحيرة الضلالة، واشتملت على وصف حزين للمصائب التي جرت على أبي عبد الله وأهل بيته عليهم السلام.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١ـ پژوهشي در علم رجال، أكبر ترابي شهرضايي، انتشارات اسوه، الطبعة الأُولى، ١٣٨٧ش.

٢ـ تعليقة على منهج المقال، محمّد باقر الوحيد البهبهاني.

٣ـ تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق: حسن الموسوي، نشر الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٩٠هـ.

٤ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الآقا بزرك الطهراني، انتشارات اسماعيليان، قم المقدّسة، كتابخانه إسلاميه ـ طهران، ١٤٠٨هـ.

٥ـ رجال الطوسي، محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق: جواد القيّومي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، ١٤١٥ش.

٦ـ روضة المتّقين في شرح مَن لا يحضره الفقيه، محمّد تقي المجلسي، علّق عليه وأشرف على طبعه: السيّد حسين الموسوي الكرماني، والشيخ علي پناه الاشتهاردي، بنياد فرهنك إسلامي، الحاج محمّد حسين كوشانپور.

٧ـ زاد المعاد، محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.

٨ـ الطليعة من شعراء الشيعة، محمّد السماوي، تحقيق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار المؤرّخ العربي، الطبعة الأُولى، ٢٠٠١م.

٩ـ الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، عبد الحسين الشبستري، جماعة المدرّسين.

١٠ـ فهرست ابن النديم، ابن النديم البغدادي، تحقيق: رضا تجدد.

١١ـ فهرست أسماء مصنّفي الشيعة المشهور بـ(رجال النجاشي)، أحمد بن علي النجاشي، تحقيق: الحجّة السيّد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسّسة النشر

الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدّسة، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.
١٢ـ الفهرست، محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
١٣ـ الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ش.
١٤ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي، مكتبة الصدوق.
١٥ـ كتاب الرجال، تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلّي، منشورات الشريف الرضي.
١٦ـ كتاب الغيبة، محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق: عباد الله الطهراني، وعلي أحمد ناصح، دار المعارف الإسلامية، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ.
١٧ـ كتاب المزار (مناسك المزار)، محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد، قم المقدّسة، ١٩٨٨م.
١٨ـ كلّيات في علم الرجال، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.
١٩ـ مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، الناشر: ابن المؤلّف، طهران، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ.
٢٠ـ مشايخ الثقات، غلام رضا عرفانيان الخراساني، مؤسّسة النشر الإسلامي.
٢١ـ مصباح المتهجّد، محمّد بن الحسن الطوسي، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٢٢ـ معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيّد أبو القاسم الخوئي، مركز نشر الثقافة الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٢٣ـ ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، محمّد باقر المجلسي، المصحّح: مهدي رجائي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي.

٢٤ـ موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، الناشر: اللجنة العلمية في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام.
٢٥ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ.

الأبعاد الاجتماعية والتربوية لمسيرة زيارة الأربعين

الشيخ عبّاس علي الصائغ البحراني

باحث إسلامي، من البحرين

The Societal and Educational Dimensions of the Procession Walk of the Ziyara of Arbaeen

Shaykh Abbas Ali al-Saigh al-Bahrani

Islamic researcher, from Bahrain

ملخّص البحث

لكلّ ممارسة إنسانية أو دينية كبيرة، أو شعيرة إلهية، أبعادٌ اجتماعية مهمّة، كما في مسيرة الأربعين لزيارة الإمام الحسين عليه السلام التي تشارك فيها كلّ طبقات المجتمع؛ ومن هنا كان هذا البحث في الأبعاد الاجتماعية والتربوية لمسيرة الأربعين، وبيان دور الشعائر الدينية في تنمية الأبعاد الإنسانية؛ لما لها من تأثير اجتماعي وتربوي؛ ولذا تسعى هذه الدراسة إلى إثبات دور الزيارة الأربعينية في تنمية تلك الأبعاد.

الكلمات المفتاحية: الأبعاد الاجتماعية، الأبعاد التربوية، الشعائر، المسيرة الأربعينية.

Abstract

Every major human or religious practice and divine ritual must have important social dimensions. Events such as the Arbaeen procession walk of Imam al-Husayn (PBUH) and the great social interaction with it by all the social classes have a lot of societal and educational dimensions and effects that this article will address. It also explains the role of religious rituals in developing those human dimensions due to their impact and weight on society and education. Hence, this study seeks to prove the role of the Ziyara of Arbaeen in developing these dimensions and effects.

Keywords: societal dimensions, educational dimensions, rituals, the Arbaeen walk.

مقدّمة

يقـوم الشـيعة في كلّ عام بإقامة مراسـم العزاء والرثاء على مصـاب أبي عبد الله الحسـين عليه السلام، ولهم في ذلك ممارسـات متعدّدة؛ فهم يبكـون، ويلطمون، ويصرخون، ويلبسون السواد، ويجتمعون لإقامة المآتم، وغيرها من المراسم المباركة.

ومن تلك الممارسـات الشـعائرية ما نشـاهده كلّ عام من الزحف المليوني مشـياً على الأقدام لزيارة الإمام الحسـين عليه السلام في أربعينيّته، في مشهدٍ قلّ نظيره في أيّامنا هذه، وبشكلٍ غير معهود سابقاً، ولا شكّ أنّ هذه المسيرة الحاشدة لها العديد من البركات والآثـار عـلى جميـع الأصعدة، وهـذا ما يسـتدعينا للوقـوف على بعض تلـك الآثار والأبعاد المرتبطة بالجانب الاجتماعي والتربوي.

ومن هذا المنطلق سوف يقع البحث في محاور ثلاثة:

المحور الأوّل: مباحث تمهيدية

قبل الشروع في بيان الأبعاد الاجتماعية والتربوية لمسيرة زيارة الأربعين، لا بأس أن نُشير إلى مجموعة من المباحث التمهيدية:

المبحث الأوّل: المراد بالأبعاد الاجتماعية والتربوية

مـن المهمّ قبل الخوض في أصل المطلب أن نعرف المراد بعنوان البحث، فالكلام يقع في نقطتين:

النقطة الأُولى: معنى الأبعاد الاجتماعية

عُرّف المجتمع بتعريفات متعدّدة عند علماء الاجتماع، نذكر منها ثلاثة:

التعريف الأوّل: «هو نسق مكوّن من العرف المنوّع، والإجراءات المرسومة، ومن السلطة، والمعونة المتبادلة في كثير من المجتمعات والأقسام، وشتّى وجوه ضبط السلوك الإنساني والحرّيات»[1].

التعريف الثاني: «هو مجموعة من الأفراد يعيشون في منطقة متّصلة الأجزاء، أو يشتركون في تقاليد ونُظُم معيشة، وتكون لهم أهداف ومصالح مشتركة، تجعلهم يتلوّنون بألوان مختلفة من التفكير والسلوك الذي يغلب عليه الطابع التعاوني»[2].

التعريف الثالث: ما ذكره الشهيد الصدر قدس سره من أنّه: **«الوجود المجموعي للناس؛ باعتبار ما بينهم من علاقات وصلات قائمة على أساس مجموعة من الأفكار والمبادئ المُسنَدة بمجموعة من القوى والقابليّات، وهذا هو الذي يعبّر عنه القرآن الكريم بالأُمّة»**[3].

إذاً؛ المجتمع ـ بحسب هذه التعريفات وغيرها ـ يتقوّم بالعلاقات المختلفة بين الأفراد، فـ**«الخصيصة الأُولى من خصائص المجتمعات هي أنّها علائقية، فهي تتكوّن من علاقات دائمة بين الفاعلين بعضهم ببعض، وبينهم وبين الأشياء المادّية التي تدخل في تكوين بيئتهم الاجتماعية»**[4].

فإذا اتّضح ذلك يمكننا أن نعرّف الأبعاد الاجتماعية في الإسلام بأنّها: الأُمور

---

(١) الحكيم، منذر، النظرية الاجتماعية الإسلامية.. دراسة في فكر السيّد محمد باقر الصدر: ص٢٠. نقلاً عن: الجولاني، نادية عمر، مبادئ علم الاجتماع: ص٣٠٤.

(٢) المصدر السابق. نقلاً عن: أبو العينين، علي خليل، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم: ص٢٧٧.

(٣) المصدر السابق: ص٢١.

(٤) إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس: ص٤٠.

والمديات التي تُعزّز تلك العلاقات بين الأفراد في المجتمع الإسلامي، وتساهم في تقليص المسافات بينهم من ناحية الطبقة الاجتماعية، والحاجة، والعرق، واللون، والنسب، وغيرها من الأُمور.

النقطة الثانية: معنى الأبعاد التربوية

التربية: عبارة عن التنمية التدريجية للقابليّات الباطنية والفطرية الموجودة بالقوّة في الشيء، وإخراجها إلى الفعلية، فالتربية لا تكون إلّا فيما أُودع فيه قابلية التربية، مثل النبات والحيوان والإنسان، وإلّا فلا يقال: إنّ فلاناً ربّى الحجر مثلاً.

وبهذا يتّضح أنّ التربية لا بدّ أن تَتْبَعَ طبيعة الشيء وفطرته؛ من أجل إظهار استعداداته وقابليّاته الكامنة، وإلّا فلا تمكن التربية حينئذٍ، كما لو أردنا أن نُعلِّم الطير مسائل الحساب والهندسة؛ فإنّه ليس له القابلية لذلك، وهذا بخلاف الإنسان.

كما اتّضح أيضاً أنّ التربية ليست أمراً دفعياً وقهرياً، فهي ليست عبارة عن (كُنْ فيكون)، كما أنّها لا تحصل بالقوّة والقهر، بل لا بدّ من سلوك الطريق الطبيعي والتدريجي في التربية؛ لتنمية تلك القابليّات الكامنة وإظهارها[1].

إذا اتّضح ذلك يمكننا أن نُعرّف الأبعاد التربوية في الإسلام بأنّها: الأُمور والمديات التي تُساهم في إبراز القابليّات، وتنمية الاستعدادات الكامنة في الإنسان، والتي تستلهم من الإسلام مفاهيمها ومضامينها.

المبحث الثاني: الأبعاد الأصيلة في الإنسان

الإنسان له ثلاثة أبعاد أساسية أصيلة ومهمّة، وهي: البُعد العقلي، والبُعد الديني، والبُعد الأخلاقي[2].

ولا بأس أن نفصّل فيها بعض الشيء:

(١) أُنظر: مطهّري، مرتضى، التعليم والتربية في الإسلام: ص٤٧ـ٤٨.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٧ـ٥٨.

الأوّل: البعد العقلي

العقل نعمة عظيمة مَنّ بها الله تعالى على الإنسان، بل إنّه أوّل شيء خلقه الله تعالى؛ فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في وصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «... **يا علي، إنّ أوّل خلق خلقه الله عزّ وجلّ العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزّتي وجلالي، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك، بك آخذ، وبك أُعطي، وبك أُثيب، وبك أُعاقب**»[1].

وقد اهتمّ الإسلام بالعقل والعلم غاية الاهتمام؛ لما فيه من أهمّية كبيرة، وتكمن أهمّية العقل في عدّة أُمور، نذكر منها أمرين:

الأمر الأوّل: معرفة الله تعالى

أهمّ وظيفة للعقل هي أنّه به يمكن الوصول إلى المعرفة الحقيقية، وهي معرفة وجود الله تعالى، ووجوبه، وصفاته، وأفعاله، وهي أوّل الواجبات؛ فلذا صار العقل حجّة من الله تعالى علينا، كما ورد في الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**يا هشام، إنّ لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة. فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وأمّا الباطنة فالعقول. يا هشام، إنّ العاقل الذي لا يشغل الحلالُ شكرَه، ولا يغلب الحرامُ صبرَه**»[2].

الأمر الثاني: السيطرة على القوى النفسية

ليس المراد بالعقل في الروايات هو القطعة الصنوبرية العضوية كما هو واضح، وإنّما المراد به تلك القوّة العاقلة التي يستطيع من خلالها الإنسان أن يدرك ويُسيطر على سائر قواه النفسية. وتوضيح ذلك: أنّ الإنسان يمتلك مجموعة من القوى النفسية، وأهمّها ثلاث:

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٣٦٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٦.

القوّة الأُولى: القوّة الغضبية، وهي القوّة التي يستعين بها الإنسان من أجل دفع المخاطر عن نفسه.

القوّة الثانية: القوّة الشهوية، وهي القوّة التي يستعين بها الإنسان من أجل جلب المنافع إلى نفسه.

القوّة الثالثة: القوّة العقلية، وهي القوّة التي يمكن الإنسان من خلالها أن يُدرك الكلّيات، ويميّز الخير من الشرّ، والحقّ من الباطل. ويمكنه من خلالها أن يسيطر على سائر القوى؛ إذ المطلوب أن تكون قوى الإنسان النفسية في حدّ الاعتدال، بلا إفراط ولا تفريط؛ لأنّه إذا كانت القوّة الغضبية هي الغالبة والبارزة، اندفع الإنسان نحو البطش والظلم، وإذا كانت القوّة الشهوية هي المسيطرة، اندفع الإنسان نحو تحصيل الدنيا وملذّاتها من دون ضوابط، فالقوّة التي تستطيع أن تُخضع سائر القوى، وتجعلها في حدّ الاعتدال هي القوّة العاقلة؛ فمن هنا ينبغي الاهتمام بتنمية هذا البعد العقلي في أنفسنا.

وممّا يُشير إلى هذا المعنى ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، ففي رواية: «**عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمَن غلب عقلُه شهوته، فهو خير من الملائكة، ومَن غلبت شهوتُه عقله، فهو شرّ من البهائم**»[1].

فالإنسان من خلال عقله يستطيع أن يسيطر على شهوته وغضبه، ومن ثَمّ يمكنه أن يُصبح أفضل من الملائكة.

إذاً؛ هذا البُعد الأوّل ـ وهو البعد العقلي ـ بُعدٌ أصيل ومهمّ، وبه يطلب الإنسان الحقيقة عن طريق الملكات العلمية.

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج١، ص٤ـ٥.

البعد الثاني: البعد الديني

المراد بالبعد الديني: هو أنّ الإنسان لديه ميل فطري نحو الدين والتديّن، فهو يميل نحو عبادة إلهٍ وحقيقةٍ منزّهةٍ عن كلّ شوب، عالمةٍ وحكيمةٍ وقادرة، وتتحلّى بغير ذلك من الصفات، بحيث يقف الإنسان قبالها خاضعاً خاشعاً، يقدّسها ويناجيها ويدعوها.

وهذا من الأبعاد الفطرية الأصيلة في الإنسان؛ إذ تجده على امتداد التاريخ يميل نحو العبادة، ولا تكاد تجد مجتمعاً من المجتمعات يخلو من صورة من صور العبادة، وهذا شاهد على فطريّة هذا الأمر، والإسلام يهتمّ كثيراً بهذا البُعد، ويسعى لتعزيزه وترسيخه من خلال الأدعية والمناجاة والأذكار والاستغفار، وفتح باب التوبة، وغيرها من الأُمور التي تشدّ الإنسان إلى العبادة.

البعد الثالث: البعد الأخلاقي

والمقصود من هذا البُعد هو ما يسمّى بـ(الوجدان الأخلاقي)، فالله سبحانه أودع في وجدان الإنسان وفطرته ميلاً نحو الخيرات، ونفرةً من السيّئات، فهو يحبّ الخير، ويسعى له، مثال ذلك: أنّه يحبّ مساعدة الآخرين، ويحبّ الصدق، والأمانة، والوفاء، وما شابه ذلك، ليس ذلك إلّا لأنّ هذا الأمر مركوز في فطرته.

نعم، للمجتمع والتربية والعادات تأثير بالغ في هذا الميل الفطري سلباً أو إيجاباً؛ ولذا لم يكتفِ الإسلام بوجود هذا الميل الفطري، بل جاء بالتعاليم الأخلاقية؛ لكيلا تنحرف فطرة الإنسان الأخلاقية؛ فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق**»[1].

المبحث الثالث: تأثير الشعائر الدينية في تنمية الأبعاد الإنسانية

الدين عبارة عن: «**مجموعة العقائد والأخلاق والقوانين التي جاءت لإدارة شؤون**

(١) النوري، حسين، مستدرك الوسائل: ج١١، ص١٨٧.

المجتمع البشري، وتربية الإنسان، فإذا كانت حقّةً سُمّي الدين بالدين الحقّ؛ وعليه فإنّ الدين الحقّ هو دين نزلت عقائده وقوانينه من الله ﷻ، والدين الباطل هو الذي جاء ووُضع ونُظّم من عند غير الله»[1].

إذاً؛ الدين يتضمّن ثلاثة أُمور أساسية:

الأوّل: الاعتقادات، وهي التي تبحث عن أُصول الدين، من التوحيد، وما يرتبط بعالم الوجود، والعدل، والنبوّة، والإمامة، والمعاد.

الأمر الثاني: القوانين، وهي التي تبحث عن فروع الدين، من العبادات والمعاملات التي جاءت لإدارة شؤون المجتمع البشري.

الأمر الثالث: الأخلاق، وهي التي تبحث عن الفضائل والرذائل من الصفات النفسانية، والتي ترشد الإنسان إلى ما فيه سعادته أو شقاوته.

إذاً؛ هدف الدين هو إيصال الإنسان إلى السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة من خلال هذه الأُمور الثلاثة المترابطة، ولا يمكن التفكيك بينها؛ إذ كلّ واحد منها له تأثير في الآخر، فالاعتقادات تؤثّر في الالتزام بالقوانين والأحكام الشرعية، وهما يؤثّران في سلوك الإنسان وأخلاقيّاته.

ولكن لمّا كان الإنسان كثيراً ما يقع في الغفلة، وكثيراً ما تتغلّب عليه قواه الأُخرى (الغضبية أو الشهوية)، كان في معرض الابتعاد عن الله تعالى، ومن ثَمّ يحتاج دائماً إلى ما يذكّره بالله تعالى، ويرجعه إلى جادّة الصواب.

فمن هذا المنطلق جاءت فلسفة الشعائر الدينية، فشعائر الله هي علاماته[2]، فكلُّ علامة جُعلت لطاعة الله تعالى، أو أمر بها الله تعالى، فهي شعيرة[3]؛ ولذا هي تذكّرنا

(١) خسروبناه، عبد الحسين، الكلام الإسلامي المعاصر: ج١، ص٣٣٥، نقلاً عن: جواد آملي، عبد الله، الشريعة في مرآة المعرفة: ص٩٣ـ ٩٥، النسخة الفارسية.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج١، ص٢٥١.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج٢، ص٦٩٨.

بطاعة الله تعالى، وترفع عنّا الغفلة، وتعود بنا إلى الصراط المستقيم، ويمكن من خلالها تنمية أبعادنا الأساسية، وتركيزها في النفس، ومن ها هنا وجب تعظيمها، كما هو نصّ القرآن الكريم: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾[2]، أي: لا تتعدّوا عليها، ولا تستهينوا بها.

ومن أهمّ تلك الشعائر التي تقوم بهذا الدور الأساسي هي شعيرة مسيرة زيارة الأربعين، فهذه المسيرة المباركة لها العديد من الآثار الاجتماعية والتربوية وغيرها، ممّا يمكن من خلاله الوصول إلى السعادة الحقيقية التي ينشدها لنا الإسلام العزيز.

وقد رتّب الإسلام الأجر الجزيل على المشي والسير نحو زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ فقد ورد «**عن الحسين بن ثُوَير بن أبي فاختة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا حسين، مَن خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليهما السلام، إن كان ماشياً، كتب الله له بكلّ خطوة حسنة، ومحا عنه سيئة، حتّى إذا صار في الحائر، كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتّى إذا قضى مناسكه، كتبه الله من الفائزين، حتّى إذا أراد الانصراف، أتاه ملك، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام، ويقول لك: استأنف العمل؛ فقد غُفِرَ لك ما مضى**»[3].

المحور الثاني: الأبعاد والآثار الاجتماعية لمسيرة الأربعين

مسيرة زيارة الأربعين مسيرة معطاءة، لها العديد من الأبعاد والآثار الاجتماعية، ومرادنا بالآثار الاجتماعية: الآثار التي تنعكس إيجاباً على المجتمع الإسلامي ككلّ، بحيث تؤثّر في هويّته، وثقافته، وسلوكه، ويمكننا أن نذكر مجموعة من الآثار الاجتماعية المترتّبة على مسيرة زيارة الأربعين في ضمن أبعاد ثلاثة:

---

(١) الحجّ: الآية ٣٢.

(٢) المائدة: الآية ٢.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٣٢.

البعد الأوّل: البعد البنائي والإعدادي

لكلّ مجتمع هويّة تميّزه من غيره، وهذه الهويّة تشكّل عامل قوّة بالنسبة إليه، ولكنّ بعض المجتمعات قد تضعف وتخفى معالم هويّتها بسبب ذوبانها في هويّات المجتمعات الأُخرى، فتفقد بريقها ولمعانها، وتضعف قبالها؛ فلذا لا بدّ أن ندعم كلّ ما يساهم في قوّة مجتمعاتنا الإسلامية، ونسعى لتعزيزها وتقويتها، فصحيح أنّ الهويّة مسألة وجودية، إلّا أنّ إيجادها وبناءها وتوسيعها يرتبط بمدى فاعلية المجتمع إلى حدٍّ كبير، فتكوينُ الهويّة المجتمعية وبلورتها عبارةٌ عن عملية تدريجية تتمّ من خلال الحضور في مختلف ميادين الحياة الشخصية والاجتماعية[1].

ومسيرة زيارة الأربعين تُعتبر من أبرز عوامل قوّة المجتمع الإسلامي، ولها آثار عظيمة مرتبطة ببناء المجتمع، وإعداده الإعداد القوي، ويمكن الإشارة إلى بعض منها:

الأثر الأوّل: وحدة الصفّ الشيعي وقوّته

الإنسان في هذا العالم لا يعيش وحده، بل يعيش في ضمن مجموعة من الموجودات التي تحكمها شبكة معقّدة من العلاقات، والإنسان يمكن أن يسير نحو التكامل عن طريق تحديد علاقاته بتلك الموجودات، وهكذا المجتمع؛ فلكي يترقّى في سلّم الكمال لا بدّ أن توجد فيه علاقات سليمة بين مكوّناته، وهي لا تحصل إلّا في ظلّ تعزيز الأواصر وتقويتها بين كلّ فرد من أفراد المجتمع[2].

وإذا لاحظنا مسيرة زيارة الأربعين المباركة، نجد أنّها تقتضي وحدة الصفّ الشيعي، فإن سار المؤمنون بأجمعهم نحو كربلاء تحت راية واحدة، وهي راية الإمام الحسين عليه السلام، فهذا يضفي قوّةً وهيبةً على المذهب الشيعي الجعفري، ويكون مصداقاً

(١) أُنظر: علم الهدى، جميلة، النظرية الإسلامية في التربية والتعليم: ج٢، ص٧٣.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص١٢٦.

لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1]، فنحن مأمورون بالإعداد المادّي والروحي لتقوية الصفّ الشيعي، وهذه المسيرة مصداق لذلك الإعداد.

وأمّا التمزّق والتشتّت والتنازع، فهو من أهمّ عوامل الهوان والفشل، كما يقول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، وهذا ما يسعى إليه أعداء الأُمّة الإسلامية من أجل إضعاف المسلمين، ولكن هذه المسيرة المباركة تدحر مخطّطاتهم في كلّ عام، وستبقى هكذا إن شاء الله تعالى.

الأثر الثاني: إذابة الفوارق الطبقية وتقوية الأواصر الأخوية

كانت الجاهلية قبل الإسلام تعيش حالة من الطبقية والعنصرية، فالعرب يرون أنفسهم أفضل الناس، وينظرون إلى غيرهم نظرة دونية، وهكذا القوميّات الأُخرى يحقّر بعضهم بعضاً، بل لم يكونوا يُزوّجون مَن هو ليس من قبيلتهم، أو ليس من عرقهم.

وهكذا كان التفاوت في نفس القبائل العربية، فبعض القبائل بسبب عددها وعدّتها ترى نفسها أعلى من القبائل الأُخرى، إلى أن جاء نور الإسلام، وأزاح ظلام الفوارق الطبقية والمجتمعية، وجعل المعيار في التفاضل هو التقوى، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾[3]، وكما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «**أيّها النّاس، إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدم من تراب، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم،**

(١) الأنفال: الآية ٦٠.
(٢) الأنفال: الآية ٤٦.
(٣) الحجرات: الآية ١٣.

وليس لعربي على عجمي فضل إلّا بالتقوى»[1].

ثمّ قام النبي صلى الله عليه وآله بخطوة عظيمة في هذا المجال، حيث آخى بين المسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]، فصارت روح الأُخوّة والمودّة تسود المسلمين، فتشكّل المجتمع الإسلامي السليم، وصار على الطريق الصحيح الموصل إلى السعادة.

إذاً؛ المجتمع السليم والسعيد هو المجتمع الذي يسير إلى الله تعالى، مع التسليم الكامل له، والرضا التامّ به، وليس المجتمع القائم على أساس العلاقات العنصرية، أو المصالح الشخصية، أو الاستغلال البشع من قبل الطبقات الثرية[3].

ومسيرة الأربعين تُعَدُّ من أهمّ العوامل لإذابة الفوارق الطبقية بين أفراد المجتمع، ففي هذه المسيرة المباركة يتعنوَن كلّ شخص: إمّا بعنوان الزائر، وإمّا بعنوان الخادم، لا فرق بينهم في اللّون، ولا العرق، ولا الجنسية، ولا الطبقة الاجتماعية، بل لا فرق بينهم في المذهب والدين، ولا غير ذلك.

كما أنّها تُساهم بشكل كبير في تقوية أواصر الأُخوّة الإيمانية والمحبّة بين المسلمين، فترى المسلم أخاً للمسلم، والمجتمع كالجسد الواحد، فقد ورد عن أبي بصير أنّه قال: «**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإنّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالًا بروح الله من اتّصال شعاع الشمس بها**»[4]. وهي قريبة ممّا ورد مشهوراً عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنّما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بمنزلة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو واحد، تداعى له سائر الجسد بالحمّى والسهر**»[5].

---

(١) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٣٤.

(٢) الحجرات: الآية١٠.

(٣) اُنظر: علم الهدى، جميلة، النظرية الإسلامية في التربية والتعليم: ج٢، ص١١٨.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٦٦.

(٥) القمّي، الشيخ عبّاس، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: ج١، ص٥٦.

البعد الثاني: البعد الثقافي والمعرفي

من الأبعاد المهمّة التي تضفيها مسيرة زيارة الأربعين على المجتمع هو البعد الثقافي والمعرفي، ويمكن أن نشير إلى بعض الآثار في هذا الجانب:

الأثر الأوّل: التعارف وامتزاج الثقافات

إنّ زيارة الأربعين مناسبة عظيمة تجتمع فيها الأُمم، وتمتزج فيها الثقافات، وتتلاقى فيها الطاقات، وتتقارب فيها المذاهب، فهي فرصة كبيرة للتعارف، والاستفادة من تجارب الآخرين، والاطّلاع على ثقافات الشعوب الأُخرى، وهذا أمر مهمّ جدّاً، حتّى قال عنه الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[1]، فلا بدّ من استثمار هذه الفرصة بشكل أكبر، والاستفادة منها غاية الاستفادة؛ لما لها من أثر كبير في تقوية مجتمعاتنا الإسلامية.

الأثر الثاني: نشر المذهب والوعي الديني

لا شك أنّ من أركان الشعيرة أن يكون فيها جنبة إعلان وإبراز للإسلام وللمذهب، وهذا الركن متوفّر في مسيرة زيارة الأربعين، وهو بحدّ ذاته كفيل بنشر مذهب أهل البيت عليهم السلام، وإيصاله إلى كلّ العالم؛ فإنّ نشر المذهب قد يكون من خلال الدعوة المباشرة، والخطاب الشفهي المباشر، وقد يكون من خلال العمل، فإذا كان عملنا خالصاً لله تعالى، ومشتملاً على الصفات والضوابط التي أرشدنا إليها أهل البيت عليهم السلام، فإنّ هذا العمل بنفسه كفيل بنشر المذهب الحقّ؛ ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «**كونوا دعاةً للناس بغير ألسنتكم؛ ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير؛ فإنّ ذلك داعية**»[2].

ولكن علينا الالتفات إلى أنّ أهل البيت عليهم السلام أرادوا لأتباعهم أن يتعايشوا مع

(١) الحجرات: الآية ١٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٧٨.

الناس، لا أن يذوبوا في أوضاعهم، أرادوا لهم أن يؤثّروا في هؤلاء الناس، ويكونوا الأُسوة والقدوة الصالحة لهم، لا أن يتأثّروا بهم[1].

ومسيرة زيارة الأربعين لها أثر كبير في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام؛ لاشتمالها على أخلاق أهل البيت عليهم السلام، كما أنّها فرصة كبيرة لزيادة الوعي الديني والثقافي لدى عموم الناس؛ حيث تكثر مراكز الإرشاد الديني، والمنابر الحسينية الهادفة التي تُبيّن الأحكام الشرعية، وتحلّل التاريخ الإسلامي، وتدفع الشبهات، وغير ذلك من الأُمور المهمّة.

البعد الثالث: البعد السلوكي والأخلاقي

من الأبعاد المهمّة التي لها انعكاس كبير على المجتمع الإسلامي هو البعد السلوكي والأخلاقي، فكلّ الأُمم تبحث عن الأخلاق، وتسعى لأن ترتقي أخلاقياً وسلوكياً؛ لأنّ الأخلاق لها أثر كبير في استقرار المجتمعات وسعادتها؛ ومن هنا يمكن أن نذكر مجموعة من الآثار السلوكية والأخلاقية المرتبطة بهذا البعد:

الأثر الأوّل: الحثّ على البذل والعطاء

لقد حثّنا الإسلام كثيراً على الإنفاق والبذل والعطاء، ورتّب على ذلك الأجر الجزيل إذا توفّرت فيه صفةُ الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وقد خلّد الله تعالى في كتابه الكريم تلك الحادثة التي حصلت في بيت أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾[3]؛ إذ توفّرت في هذه الحادثة صفةُ الإخلاص والإيثار

(١) أُنظر: الحكيم، محمد باقر، الشعائر الحسينية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام: ص٥.
(٢) البقرة: آية ٢٦١.
(٣) الإنسان: آية ٨ ـ ٩.

والإنفاق في سبيل الله تعالى.

ولكن لكي يبقى أثر هذا الإنفاق لا بدّ ألّا يُتبع بالمنّ والأذى، وألّا يكون رياءً، ولا من أجل كسب رضا الناس، أو الوجاهة، أو ما شابه ذلك؛ فإنّ هذه الأُمور تُفسد العمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

وإنّ مسيرة الأربعين لهي من أبرز ما يحفّز الإنسان إلى هذه الصفات الحميدة؛ حيث نجد روح البذل والعطاء تتجلّى في خدمة أبي عبد الله الحسين عليه السلام طوال الطريق، لا ينتظر أحد من أحد جزاءً ولا شُكوراً، همّهم الأوّل والأخير رضا الله تعالى من خلال خدمة زوّار الحسين عليه السلام.

الأثر الثاني: التشجيع على مبدأ التعاون والتكافل

لقد أمر الله تعالى بأن نتعاون على البرّ والتقوى، ونهانا عن التعاون على الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[2]؛ فإنّ التعاون على البرّ والتقوى يعطي المسلمين قوّة وهيبة، ويجعلهم على الطريق الصحيح الذي أراده الله تعالى لهم، وهو طريق الوصول إلى الباري سبحانه، حيث قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[3]، فهذه الآية تشترط على مَن يرجو لقاءه سبحانه أن يعمل عملاً صالحاً خالصاً لوجهه

(١) البقرة: الآيات ٢٦٢ـ ٢٦٤.

(٢) المائدة: الآية ٢.

(٣) الكهف: الآية ١١٠.

الكريم؛ فإنّ خير معين على الأعمال الصالحة هو التعاون عليها، والتواصي بها بين المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[2].

وهذا ما يظهر بشكل جلي في مسيرة الأربعين؛ فإنّها تشجّع أفراد المجتمع على مبدأ التعاون على البرّ والتقوى، وكذلك على إحياء الشعائر الحسينية بأتمّ وجه، وفي شتّى المجالات التي يحتاج إليها هذا الإحياء الحسيني المبارك، كما أنّها تخلق في نفوس المسلمين روح التضامن والتكافل، ومساعدة بعضهم بعضاً، ممّا يجعل المجتمع أكثر تعاوناً وتضامناً.

الأثر الثالث: السعي في قضاء حوائج الناس وخدمتهم

من الخصال الحميدة التي اتّصفت بها مسيرة زيارة الأربعين هي خدمة الزائرين، وقضاء حوائج الإخوان، وقد جعل الشارع المقدّس لمَن يقوم بذلك الأمانَ من كلّ مكروه في يوم القيامة، وأن يُدخل في قلبه الفرح والسرور في ذلك اليوم الذي يخيّم عليه الهمّ والغمّ؛ فقد ورد عن مُعَمّر بن خلّاد أنّه قال: «**سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إنّ لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس، هم الآمنون يوم القيامة، ومَن أدخل على مؤمن سروراً، فرّح الله قلبه يوم القيامة**»[3].

وتُعدّ مسيرة الأربعين دورةً تدريبية مهمّة لتربية النفس على خدمة المؤمنين بلا كلل ولا ملل، ليكون الفرد مصداقاً لقول الإمام الصادق عليه السلام: «**حقّ المسلم على المسلم ألّا يشبع ويجوع أخوه، ولا يروى ويعطش أخوه، ولا يكتسي ويعرى أخوه، فما**

(١) البلد: الآية١٧.
(٢) العصر: الآيات١ـ٣.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٩٧.

أعظم حقّ المسلم على أخيه المسلم. وقال: أحبّ لأخيك المسلم ما تحبّ لنفسك، وإذا احتجت فسله، وإن سألك فأعطه»[1].

ولهذا الأمر انعكاس اجتماعي كبير على سائر أيّام السنة؛ فقد غدت هذه المسيرةُ المباركة كالشعلة في نفوس المؤمنين، تبقى متوقّدة طوال العام في سبيل الخدمة الحسينية، والتفاني في إحياء مناسبات أهل البيت عليهم السلام في شتّى أصقاع العالم، حتّى صار عنوان (شرف الخدمة الحسينية) رائجاً في كلّ العالم.

ومن هنا؛ أوجدت المسيرة المباركة في المجتمع روحَ الاهتمام بالآخرين، ولبّت حاجاتهم، ورعت مشاعرهم. هذا فيما يرتبط بالآثار والأبعاد الاجتماعية لمسيرة زيارة الأربعين المباركة.

المحور الثالث: الأبعاد والآثار التربوية لمسيرة الأربعين

تتبوّأ التربية أعلى المراتب في الأنظمة الاجتماعية، بل تشكّل محور الانضباط الاجتماعي، وهي التي تضمن بقاء المجتمع، وتحافظ على سلامته، علماً بأنّ المحافظة على المجتمع بمنزلة المقدّمة لتحقيق الهداية[2]؛ وهنا يمكننا أيضاً أن نذكر مجموعة من الآثار التربوية لمسيرة زيارة الأربعين في ضمن أبعاد ثلاثة:

البعد الأوّل: البعد العقائدي

من الواضح الذي لا شكّ فيه أنّ المسائل العقائدية لها تأثير في الشخصية والتفكير والسلوك العملي، فالبعد العقائدي من أهمّ الأُمور التي ينبغي تركيزها وتأكيدها في نفس الإنسان، ومسيرة زيارة الأربعين لها مجموعة من الآثار التي تركّز الحالة العقائدية في نفس المؤمن، نذكر منها:

(١) المصدر السابق: ص١٧٠.

(٢) أُنظر: علم الهدى، جميلة، النظرية الإسلامية في التربية والتعليم: ج١، ص١٨٢.

الأثر الأوّل: تقوية الصلة بالله تعالى

يعتقد المؤمن بأنّ الله سبحانه وتعالى دائم الفيض على عبيده، فلو أنّ هذا الفيض الإلهي ينقطع عنّا في لحظة من اللحظات لهلكنا جميعاً، ولكن يبقى الدور على الإنسان، فكلّما ارتبط بخالقه ومدبّر أُموره، وقوّى صلته بربّ العزّة والجلالة، كان مهيّئاً لتلقّي تلك الفيوضات الرحمانية، وكان أكثر سعادة وطمأنينة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، فالحياة الطيّبة مرهونة بالإيمان والعمل الصالح، أي: مرهونة بمقدار ما يتّصل به الإنسان بربّه، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[2]، وكلّما ابتعد الإنسان عن الله تعالى، ونسي ذكره، وانشغل بالدنيا وملذّاتها، كان مآله إلى الشقاء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[3].

فنحن بحاجة دائمة إلى الأُمور التي تُقوّي صلتنا بالله تعالى، وتذكّرنا بخالقنا؛ ففي هذه الصلة تكمن سعادتنا، وأنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تُضفي علينا هذا المعنى، خصوصاً مع الالتفات إلى ما ورد في الروايات من أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام كزيارة الله سبحانه وتعالى، فقد ورد عن زيد الشحّام أنّه قال: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمَن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمَن زار الله في عرشه. قال: قلت: ما لمَن زار أحداً منكم؟ قال: كمَن زار رسول الله صلى الله عليه وآله**»[4].

وكذلك ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «**مَن زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ الفرات كان كمَن زار الله فوق عرشه**»[5].

---

(١) النحل: الآية٩٧.

(٢) الكهف: الآية١١٠.

(٣) سورة طه: الآية١٢٤.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٤٧.

(٥) المصدر السابق.

إذاً؛ زيارة الإمام الحسين عليه السلام تذكّرنا بالله تعالى، وتقوّي صلتنا به سبحانه، ولكن ينبغي لنا في أثناء زيارتنا وفي المسير إلى كربلاء أن نستشعر هذا المعنى؛ حتّى نستفيد منه في تربية أنفسنا، وهو في الحقيقة أثر تربوي عظيم جدّاً.

الأثر الثاني: تقوية الصلة بإمام الزمان عجل الله فرجه

المنتظرون الحقيقيّون هم الذين يكونون على استعداد تامّ لنصرة الإمام المهدي عليه السلام، وهذا الاستعداد لا بدّ أن يتجلّى في كلّ المستويات: النفسية، والعلمية، والعملية، وغير ذلك، فيحتاج كلٌّ منّا أن يُعاهد نفسه على نصرة الإمام المهدي عليه السلام، والطلب منه بثأر الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ يعكس ذلك على سلوكه من ناحية عملية.

مسيرة زيارة الأربعين هي انعكاس عملي لمعاهدة الإمام المهدي عليه السلام بالنصرة، والصبر على الأذى في سبيله، وهي ميدان عملي مهمّ لتأكيد تلك المعاهدة في النفس، لا أن نكون مثل أُولئك المتخاذلين الذين عاهدوا الإمام الحسين عليه السلام على النصرة ثمّ خذلوه وتركوه، أو مثل الذين عاشوا الازدواجية في الشخصية عندما كانت قلوبهم مع الإمام الحسين عليه السلام وسيوفهم عليه، بل ينبغي أن نوطّن النفس على نصرة الإمام المهدي عليه السلام في كلّ الظروف والأحوال، وهذا المعنى قد أُشير إليه في بعض الزيارات، كما ورد في زيارة عاشوراء: «**فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني أن يرزقني طلب ثارك مع إمام منصور من أهل بيت محمّد** صلى الله عليه وآله»[1].

البعد الثاني: البعد المعرفي والفكري

من الأبعاد التربوية المهمّة الموجودة في مسيرة زيارة الأربعين هو البعد المعرفي، المرتبط بالجانب الفكري والثقافي والعلمي عند الإنسان، ويمكن في هذا الجانب أن نشير إلى بعض الآثار المترتّبة على هذه المسيرة:

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٧٤.

الأثر الأوّل: التزوّد من الثقافة الدينية

نحن ـ المسلمين ـ نحتاج دائماً إلى عوامل القوّة في مجتمعاتنا، القوّة العلمية، والاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، والدينية، وغيرها؛ إذ إننا مأمورون بتهيئة عوامل القوّة على جميع الأصعدة، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1]، فمن دون هذا الإعداد للقوّة سوف تكون الأُمّة الإسلامية لُقمة سائغة لقوى الاستكبار العالمي، وسوف تكون مسلوبة الإرادة والسيادة.

ومن أهمّ عوامل القوّة هو عامل العلم؛ فالعلم سلاح عظيم، نحتاج إليه لمواجهة الأعداء في كلّ الجبهات: الاقتصادية، والسياسة، والصناعية، وهكذا سائر الجبهات، وهذه كلّها تحتاج إلى علوم الدنيا، ونحن مأمورون بتحصيلها؛ لنبني أوطاننا وأُمّتنا.

كما أنّنا مأمورون أيضاً بتحصيل العلوم الدينية، من العقائد، وأحكام العبادات والمعاملات، وغيرها؛ فإنّ الإنسان كلّما قوي إيمانه ازداد اهتماماً بتقوية أُمّته الإسلامية على جميع الأصعدة، فعامل الإيمان والتقوى والعمل الصالح عامل أساسي في عزّة الأُمّة ورفعتها، وهذا كلّه يحتاج إلى إلمام بالعلوم الدينية. كما أنّ روايات أهل البيت عليهم السلام تشدّد كثيراً على هذه المسألة، فقد ورد عن أبي حمزة الثمالي أنّه قال: «**قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اغدُ عالماً أو متعلّماً، أو أحبّ أهل العلم، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم**»[2].

وكذلك ورد عنه عليه السلام: «**لوددت أنّ أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط؛ حتّى يتفقّهوا**»[3].

فكم نحن بحاجة إلى أن نتزوّد من الثقافة الإسلامية الأصيلة، ومواجهة البدع

---

(١) الأنفال: الآية ٦٠.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٤.

(٣) المصدر السابق: ص٣١.

والضلالات، أو الشبهات التي تُثار حول الإسلام وحول مذهب أهل البيت عليهم السلام[1]، ومسيرة زيارة الأربعين فرصة كبيرة لتثقيف النفس بالمعارف الدينية، فهي في الواقع مدرسة سيّارة ومتحرّكة؛ حيث تكثر فيها مجالس الوعظ والإرشاد، ومراكز التعليم والتفقّه في الدين، ولا أقلّ أنّها تعطي الإنسانَ دافعاً وحافزاً نحو تعلّم العلوم الدينية.

الأثر الثاني: تأكيد مبدأ الولاء والبراء

هناك خطّان متوازيان في المنظومة الفكرية الإسلامية: خطّ الولاء لأولياء الله، وخطّ البراءة من أعداء الله، لا يمكن التفكيك بينهما، وإلّا كشف ذلك عن وجود خلل فكريّ واضح، فلا يمكن أن أوالي أولياء الله، وفي الوقت نفسه أوالي أعداءهم، ولا يمكن أن يجتمع حبّهم مع حبّ أعدائهم، وهذا ما أكّدته الروايات العديدة.

منها: ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾[2]، قال: «**قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لا يجتمع حبّنا وحبّ عدوّنا في جوف إنسان؛ إنّ الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه، فيحبّ هذا، ويبغض هذا. فأمّا محبّنا فيخلص الحبّ لنا، كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه، فمَن أراد أن يعلم حبّنا، فليمتحن قلبه، فإن شاركه في حبّنا حبُّ عدوّنا، فليس منّا، ولسنا منه، والله عدوّهم وجبرئيل وميكائيل، والله عدوّ للكافرين**»[3].

ومن هنا؛ نجد أنّ نصوص الزيارات تؤكّد مسألة الولاء لأهل البيت عليهم السلام، والبراءة من أعداء الله تعالى، كما في زيارة عاشوراء وغيرها، ففيها يتعلّق بجانب الولاء، فقد ورد في زيارة عاشوراء: «**يا أبا عبد الله، إنّي أتقرّب إلى الله، وإلى رسوله، وإلى أمير المؤمنين، وإلى فاطمة، وإلى الحسن، وإليك بموالاتك**»[4].

(١) أُنظر: الحكيم، محمد باقر، الشعائر الحسينية في مدرسة أهل البيت عليه السلام: ص٧.
(٢) الأحزاب: الآية ٤.
(٣) القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ج٢، ص١٧١ـ ١٧٢.
(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ج٢، ص٧٧٤.

وفيما يتعلّق بجانب البراءة، فقد ورد في الزيارة نفسها أيضاً: «**برئت إلى الله وإليكم منهم، ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم، يا أبا عبد الله، إنّي سلم لمَن سالمكم، وحربٌ لمَن حاربكم إلى يوم القيامة**»[1].

فينبغي أن نزرع هذا الأمر في أنفسنا، ونؤكّده، ونربّي أولادنا عليه، وأنّ خير مُعين على ذلك لهو تلك المسيرة العظيمة لزيارة الأربعين؛ حيث تتجسّد وتتجلّى معاني الولاء والبراء؛ لأنّها تتضمّن تجديد العهد والبيعة للإمام الحسين عليه السلام، والبراءة من أعدائه، واللعنة عليهم.

الأثر الثالث: الاعتزاز بالهوية الدينية والمذهبية

في زماننا الحاضر نحتاج كثيراً إلى مسألة الاعتزاز بهويّتنا الدينية والمذهبية؛ وذلك أنّ الأعداء والخصوم يسعون إلى تشويه صورة الإسلام والمذهب في كلّ مكان، وممّا يؤسف له أنّ بعضاً منّا يخجل من أن يعرّف نفسه قبال الآخرين بأنّه مسلم أو شيعي، خصوصاً في المجتمعات الغربية أو البعيدة عن الأجواء الإيمانية الولائية، وهذا أمر خطير جدّاً؛ لأنّه قد ينتهي بالشخص إلى الابتعاد عن الإسلام أو المذهب الحقّ.

من هنا؛ تبرز أهمّية الاعتزاز بالهويّة الدينية والمذهبية، فينبغي لنا أن نسعى لأن نربّي أنفسنا وأولادنا على هذا المعنى، وأن نفتخر ونعتزّ بهويّتنا إزاء الآخرين، ولا نخجل من ذلك؛ فإنّ عقيدتنا قويّة جدّاً، قائمة على البراهين العقلية والنقلية.

ومن هذا المنطلق؛ أمرنا الله تعالى بتعظيم الشعائر الإسلامية، كما في قوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[2]؛ فإنّ الشعائر هي علامات الدين والمذهب، التي ينبغي أن تُبرَز ويُفتخَر بها، فإنّ لها دوراً مهمّاً في تشخيص هويّة الجماعة، وتركيز انتمائها إلى الإسلام، وتميّزها من الجماعات الأُخرى[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الحجّ: آية ٣٢.

(٣) أُنظر: الحكيم، محمد باقر، الشعائر الحسينية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام: ص٣.

وزيـارة الأربعين هي خير مُعين على إبراز هويّتنـا الدينية والمذهبية، وخير مُعين على الاعتزاز بهذا المذهب الحقّ، بل زيارات الأئمّة عليهم السلام بشكل عامّ تُعَدُّ اعتزازاً بالهويّة الدينية والمذهبية؛ ولذا صارت زيارة قبور الأئمّة عليهم السلام من تمام الوفاء بالعهد، كما ورد عن الحسـن بن علي الوشـاء أنّه قال: «**سـمعت الرضا عليه السلام يقول: إنّ لكلّ إمام عهداً في عنـق أوليائـه وشـيعته، وإنّ من تمام الوفـاء بالعهد وحسـن الأداء زيـارةَ قبورهم، فمَن زارهم رغبة في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمّتُهم شفعاءهم يوم القيامة**»[1].

البعد الثالث: البعد السلوكي والأخلاقي

لا تخفـى أهمّيـة البعد الأخلاقي لدى الإنسـان، ومدى حاجته إلى تهذيب نفسـه وتزكيتهـا، والتخلّي عن الصفات الرذيلة، والتحلّي بالصفات الحميدة؛ فإنّ الأخلاق المجتمعيـة تبـدأ من أخـلاق الفرد، فإذا تحـلّى كلّ فرد مـن أفراد المجتمـع بالأخلاق الفاضلة انعكس ذلك على المجتمع، وصار فاضلاً وسعيداً، ومسيرة الأربعين لها آثار عديدة تساهم في إثراء هذا البعد في نفس الإنسان، نذكر منها:

الأثر الأوّل: السير على وفق الهدي والخُلُق الحسيني

بعض الناس يُبتلى بمسألة الازدواجية في التعامل مع أهل البيت عليهم السلام، فتراه يدّعي أنّـه محـبٌّ لأهل البيت عليهم السلام، ومـوالٍ لهم، ولكنّه مـن ناحية عملية يُخالـف تعاليمهم، ولا يتخلّـق بأخلاقهـم، وهذا النحـو من التعامل مبغوض عنـد أهل البيت عليهم السلام، كما ورد في الروايات العديدة، منها ما عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ليس من شـيعتنا مَن قال بلسـانه، وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكنّ شـيعتنا مَن وافقنا بلسـانه وقلبه، واتّبع آثارنا، وعمـل بأعمالنا، أُولئك شـيعتنا**»[2]. فنحن مأمورون باتّباع أهـل البيت عليهم السلام، والعمل بتعاليمهـم، والتخلّـق بأخلاقهم، كـما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «**إنّما شـيعة**

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٦٧.
(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٥، ص٢٤٧.

جعفر من عفّ بطنه وفرجه، واشتدّ جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أُولئك، فأُولئك شيعة جعفر»[1].

إنّ مسيرة الأربعين ـ في الحقيقة ـ هي ميدان عملي لتربية الإنسان على هذا النهج، وفرصة عظيمة لكسب الصفات الحميدة، والتخلّق بأخلاق أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّها تحتاج إلى الصبر، والبذل، والتضحية، والتعاون، وحسن المعاشرة، وغيرها من الأخلاق الحميدة.

الأثر الثاني: التربية على إكرام الضيف

للضيف قدسية خاصّة في الإسلام؛ فقد أمرتنا الشريعة الإسلامية باحترامه، وإكرامه، وإقرائه، وإطعامه، وعدم استخدامه، والتواضع له، وغيرها من الأُمور التي وردت في الروايات الكثيرة، فقد ورد: «**ممّا علّم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام أن قال لها: يا فاطمة، مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه**»[2].

وقد ضمن الله سبحانه وتعالى رزقَ الضيف، وجعله غفراناً لذنوب أهل بيت المضيف؛ فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**قال رسول صلى الله عليه وآله: إنّ الضيف إذا جاء، فنزل بالقوم، جاء برزقه معه من السماء، فإذا أكل غفر الله لهم بنزوله عليهم**»[3]، بل شُبّه الضيفُ في رواية أُخرى بالهدية، كما عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا أراد الله بقوم خيراً، أهدى لهم هدية، فقالوا: وما تلك الهدية؟ قال: الضيف ينزل برزقه، ويرتحل بذنوب أهل البيت**»[4].

وقد جَسّد أهلُ العراق في مسيرة الأربعين هذه المعاني على أرض الواقع؛ فإنّ الزائر لا يشعر بالغربة في تلك الزيارة، بل كأنّه يعيش بين أهله وأحبّائه، كما ورد عن

(١) المصدر السابق: ص٢٥١.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٢٨٥.
(٣) المصدر السابق: ص٢٨٤.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٢، ص٤٦١.

الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا دخل رجل بلدة، فهو ضيف على مَن بها من إخوانه وأهل دينه، حتّى يرحل عنهم**»(١).

فمن يُرد أن يربّي نفسه على هذا الخُلُق العظيم، فعليه أن يقصد أرض العراق الطيّبة، ويشترك في مسيرة الأربعين؛ فإنّها خير مُعين على ذلك، ولها انعكاس إيجابي على شخصية الإنسان، وعلى المجتمع الإسلامي برمّته.

هذا ما وسعنا ذكره من الآثار والأبعاد لمسيرة زيارة الأربعين المباركة، وهو في الحقيقة شيء يسير جدّاً من بركات تلك المسيرة الغنية بالعطاءات.

الخاتمة

في ختام هذا البحث لا بأس أن نذكر أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها:

١ـ الأبعاد الاجتماعية هي الأُمور والمديات التي تعزّز العلاقات بين الأفراد في المجتمع الإسلامي، وتساهم في تقليص المسافات بينهم من ناحية الطبقات الاجتماعية، والحاجة، والعرق، واللون، والنسب، وغيرها من الأُمور.

٢ـ الأبعاد التربوية هي الأُمور والمديات التي تساهم في تنمية القابليات، وإبراز الاستعدادات الكامنة في الإنسان، والتي تستلهم من الإسلام مفاهيمها ومضامينها.

٣ـ هناك أبعاد أصيلة مودعة في الإنسان، منها: البعد العقلي، والبعد الديني، والبعد الأخلاقي.

٤ـ الشعيرة هي: كلُّ علامة جُعلت لطاعة الله تعالى، أو أمر بها الله تعالى.

٥ـ من فلسفة تشريع الشعائر أنّها تذكّرنا بالله تعالى، وترفع عنّا الغفلة، وتنمّي فينا الأبعاد الإنسانية، ومن تلك الشعائر مسيرةُ الأربعين.

٦ـ هناك أبعاد وآثار اجتماعية عديدة لمسيرة الأربعين، منها: الوحدة، وقوّة

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٢٨٢.

المذهب، وإذابة الفوارق الطبقية، وتقوية أواصر الأخوّة، والتعارف وامتزاج الثقافات، ونشر المذهب، وبثّ الوعي في المجتمع، والحثّ على روح البذل والعطاء، والسعي في قضاء حوائج الناس.

٧ـ هناك أبعاد وآثار تربوية عديدة لمسيرة الأربعين، منها: تقوية الصلة بالله تعالى، والارتباط بصاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، والتزوّد من الثقافة الدينية، وتأكيد مبدأ الولاء والبراء، والاعتزاز بالهويّة الدينية، والسير على وفق الهدي والخلق الحسيني، والتربية على إكرام الضيف.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمّة الأطهار، العلّامة محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢ـ تحف العقول، الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٣ـ التعليم والتربية في الإسلام، الشيخ مرتضى المطهّري، ترجمة: أحمد القبانجي، قلم مكنون، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٣٨٥ش.

٤ـ تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي، دار الكتاب، قم المقدّسة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٥ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، الشيخ عبّاس القمّي، الأُسوة، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.

٦ـ الشعائر الحسينية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، السيّد محمد باقر الحكيم.

٧ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٨ـ علل الشرائع، محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق، ١٩٦٦م.

٩ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، نشر الهجرة، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

١٠ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

١١ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي، دار المرتضوية، النجف الأشرف ـ العراق، الطبعة الأُولى، ١٣٥٦هـ.

١٢ـ الكلام الإسلامي المعاصر، عبد الحسين خسروپناه، ترجمة: محمد حسين الواسطي، العتبة العبّاسية المقدّسة، المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.
١٣ـ مستدرك الوسائل، الميرزا حسين بن محمد تقي النوري، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
١٤ـ مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، الناشر: مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ.
١٥ـ مَن لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
١٦ـ النظرية الاجتماعية الإسلامية.. دراسة في فكر السيّد محمد باقر الصدر، السيّد منذر الحكيم، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٨م.
١٧ـ النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، إيان كريب، ترجمة: د. حسين محمد غلوم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٩م.
١٨ـ النظرية الإسلامية في التربية والتعليم، د. جميلة علم الهدى، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ٢٠١١م.
١٩ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ.

زيارة الأربعين وسُنّة الهداية الإلهية
دراسة في الأهداف والدلالات

أ.م.د ناهد الشماسي

دكتوراه تفسير مقارن/ جامعة المصطفى العالمية

دكتوراه علم الكلام الإسلامي/ جامعة قم المقدّسة

أُستاذ في جامعة آل البيت العالمية/ من السعودية

The Ziyara of Arbaeen and the Tradition of Divine Guidance
A Study on Objectives and Significances

Asst. Prof. Dr. Nahed al-Shammasi

PhD in Comparative Tafsir, from al-Mustafa International University

PhD in Islamic Theology from the University of Qom

Lecturer at Aal al-Bayt International University

From Saudi Arabia

ملخّص البحث

إنّ هذه الدراسة التي تحمل عنوان: (زيارة الأربعين وسُنّة الهداية الإلهية.. دراسة في الأهداف والدلالات) تهدف إلى التعرّف إلى زيارة الأربعين، ومدى ارتباطها بسُنّة الهداية الإلهية.

ولقد وجدتُ أنّ زيارة الأربعين هي سُنن من السُنن الإلهية، وبالتحديد هي من سُنّة الهداية الإلهية؛ فهي من عند الله، ولا تتغيّر، وهي متكرّرة الوقوع، ومتتابعة ومطّردة، تشتدّ وتزداد وضوحاً عاماً بعد عام، ولها أهداف إلهية عظيمة، أهمّها هداية الإنسان فرداً وجماعةً نحو الكمال والقرب الإلهي. وهي سُنّة مقيّدة تساعد المؤمنين على الازدياد في الهداية، وتساعدهم على الثبات في طريق الإيمان.

وقد تميّزت هذه السُنّة بالشخصية الإخلاصية للإمام الحسين عليه السلام، ونهضته الإصلاحية، المتمثّلة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتحقيق العدالة؛ إذ استطاع عليه السلام إحداث تغيير وانقلاب في المجتمع الإسلامي بصورة خاصّة، وفي المجتمع الإنساني بصورة عامّة، وهي سُنّة إلهية جارية في خلقه ما دامت السماوات والأرض.

لقد أصبحت زيارة الأربعين اليوم أعظم مؤتمر عالمي بشري، يجمع ألواناً وأجناساً مختلفة من البشر، يتكرّر في كلّ عام بصورة أشدّ وأكثر وضوحاً، فلا يمكن أن يكون هذا التجمّع الإنساني والبشري إلّا من سُنن الهداية الإلهية، وهذا من قاعدة اللطف الإلهي.

الكلمات المفتاحية: زيارة الأربعين، السنن الإلهية، سُنّة الهداية الإلهية، الإمام الحسين عليه السلام، أهداف ودلالات.

Abstract

This study titled "The Ziyara of Arbaeen and the Tradition of Divine Guidance - A Study in Objectives and Significances" aims to explore the Ziyara of Arbaeen and the extent of its connection to the tradition of divine guidance.

I found that the Ziyara of Arbaeen is one of the divine traditions, and more precisely it is part of the tradition of divine guidance. Indeed, it is from Allah, unchangeable, recurring repeatedly, continuous, and steady, becoming clearer year after year. It has major divine objectives, the most important of which: guiding humans individually and collectively toward perfection and divine closeness. This conditioned tradition helps believers increase in guidance and remain steadfast on the path of faith. Moreover, this tradition is characterized by the sincere personality of Imam al-Husayn (PBUH), his reformist uprising represented by enjoining good and forbidding wrong, and establishing justice; such that he was able to create a change and transformation in Islamic society in particular, and in human society in general. It is thus an ongoing divine tradition in His creation as long as the heavens and the earth exist.

Today, the Ziyara of Arbaeen has become the greatest global human conference, gathering people of all colors and layers. An event repeated every year more intensely and clearly. This human gathering cannot be part of anything but the traditions of divine guidance, and this is due to the principle of divine grace.

Keywords: Ziyara of Arbaeen, divine traditions, divine guidance tradition, Imam al-Husayn (PBUH), objectives and significances.

المقدّمة

زيـارة الأربعـين هو عنوان يُطلق على تظاهرة شـيعية، ينطلق خلالها الملايين من المسـلمين الشـيعة باتّجاه كربلاء المقدّسـة لزيـارة مرقد الإمام الحسـين بن علي عليه السلام في العشرين من شهر صفر من كلّ عام، بعد أربعين يوماً من واقعة كربلاء التي استُشهد فيهـا الإمام الحسـين عليه السلام وإخوته وأبناؤه وأصحابه، وذلك في شـهر محـرّم عام ٦١ هـ (٦٨٠ م)، ودُفن في كربلاء (مكان الواقعة الأليمة).

وتُعدّ زيارة الأربعين أكبر تجمّع بشري سنوي، وأضخم مسيرة راجلة في العالم، وسُـمّي يوم الأربعين بهذا الاسـم؛ لوقوع أحداثه بعد أربعين يوماً من واقعة كربلاء الأليمة، وعودة السـيّدة زينب بنت الإمام علي وأُخت الإمام الحسـين عليه السلام إلى كربلاء لزيارة قبور الشهداء عليهم السلام.

وقد كانت الشيعة تمارس هذه الشعيرة الإسلامية منذ عصر الأئمّة عليهم السلام، وبتشجيع منهـم عليهم السلام[1]؛ فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «**من أحـبّ الأعمال إلى الله تعالى زيارة قبر الحسين** عليه السلام»[2]، حتى صارت زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام فريضة إسلامية، كما في قول الإمام الصادق عليه السلام: «... **فإنّ زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء**»[3]، وذلك على الرغم من محاولة الحكومات التي تتابعت على الأُمّة الإسلامية لمحو تلك الشعيرة الإسلامية.

وقد ذكر الشيخ المفيد في كتابه (مسار الشيعة) أنّ رجوع حرم الإمام الحسين عليه السلام

(١) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١٠١، ص٤.
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٧٧.
(٣) المصدر السابق: ص٢٣٧.

مـن الشـام إلى المدينة كان في يوم العشرين من شـهر صفر، وهـو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاري ـ صاحب رسـول الله ﷺ ـ من المدينة إلى كربلاء، لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، فكان أوّل مَن زاره من الناس[1].

ولكـن عندما تتأمّل زيـارة الأربعين المليونية اليوم، تجدها مصداقاً لسُـنّة الهداية الإلهية؛ فقد أصبحت في وقتنا الحاضر رمزاً للدين والقيم والمبادئ الإنسـانية، فضلاً عن الإسـلامية، وصارت رمزاً للتعايش السـلمي، ونبذ العنصرية والتفرقة بين جميع البـشر بمختلـف الطوائـف والقوميّات، بل باتـت فريضة اجتماعية مُلقـاة على عاتق الأُمّة الإسلامية، وعامل حفظ وتعاون وإعانة للمجتمع الإنساني والإسلامي[2].

وتهدف هذه الدراسـة إلى إثبات أنّ زيارة الأربعين مصداق لسـنّة الهداية الإلهية وتجسيد لها.

ولقـد تناولت عدّة دراسـات (زيارة الأربعين) من خلال عـدّة جهات؛ فبعض درسـها من الناحية الدينية بصفتها من شـعائر الشـيعة، وبعض آخر درسها من جهة أنّهـا تجمّـع عالمـي، وأنّهـا مظهر من مظاهـر التعايش السـلمي، وغير ذلـك من تلك الدراسات، إلّا أنّي لم أجد أحداً قد تناول (زيارة الأربعين) على أنّها عنوان ومصداق لسُـنن الله في خلقه، وهذا ما سـوف أُركّز عليه في هذه الدراسـة، راجية من الله تعالى أن يوفّقني فيها.

تتناول هذه الدراسة محورين رئيسين، هما:

الأوّل: التعريف بزيارة الأربعين، وسُنّة الهداية الإلهية.

الثاني: التعرّف إلى العلاقة بين زيارة الأربعين وسُنّة الهداية الإلهية.

(١) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، مسار الشيعة: ص٤٦.

(٢) أُنظر: المطهّري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج٣، ص٦١.

المحور الأوّل: تعريف زيارة الأربعين، وسُنّة الهداية الإلهية

المطلب الأوّل: تعريف زيارة الأربعين

لقد ذهب كثير من علماء الشيعة ومراجعهم العظام قديماً وحديثاً إلى التأكيد على زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام، وتشجيع الناس عليها؛ لما لها من أهداف وآثار ودلالات على الساحة الإسلامية، كما ذهب كثير منهم إلى القول بأنّ زيارة الأربعين تُمثّل فرصة لإظهار قوّة انعكاسات القضية الحسينية في مواجهة الظالمين، وقدرتها على إحداث التحوّلات[1].

كما عدّ بعضهم زيارة الأربعين فرصة لتكريس ثقافة التكافل الاجتماعي، والتعايش السلمي، والقضاء على التمييز العنصري، وفرصة لنشر ثقافة المساواة والتواضع، والتذكير بالأخوّة الإنسانية عامّة، والإسلامية خاصّة[2].

إنّ زيارة الأربعين تعني تجديد الحزن على الإمام الحسين عليه السلام، كما تعني تجديد العهد معه؛ فقد قال الإمام الرضا عليه السلام: «**إنّ لكلّ إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم**»[3]. وترجع قيمة تلك الزيارة وأهمّيتها إلى عظمة فريضة زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وليس لقيمة ذاتية تتعلّق بيوم الأربعين وإن كانت مراسم تجديد الحزن تقام فيه.

ولقد بشّر رسول الله صلى الله عليه وآله زائري الإمام الحسين عليه السلام بأجمل البشارات والهدايا والمكافآت، حتى قال صلى الله عليه وآله: «... **ألا ومَن زاره فكأنّما قد زارني، ومَن زارني فكأنّما قد زار الله، وحقّ الزائر على الله ألّا يعذبه بالنار، وإنّ الإجابة تحت قبّته، والشفاء في تربته،**

(١) أُنظر: الموسوي، مهند، خطبة الجمعة في مسجد الكوفة، الوكالة الوطنية العراقية للأنباء.

(٢) أُنظر: خاك رند، حسن، الأُطر السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في زيارة الأربعينية الحسينية، موقع المعارف الحكمية: https: / /maarefhekmiya.org

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٧، ص١١٦.

والأئمّة من ولده»[1].

وعدّ الأئمّة عليهم السلام زيارته عليه السلام فرضاً من الفرائض، كما في قول الإمام الصادق عليه السلام: «**مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإنّ إتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ**»[2].

وقد ذهب عدد من الباحثين إلى وصف زيارة الأربعين بعدّة مواصفات عصرية، منها:

١ـ زيارة الأربعين هي مهرجان ومؤتمر عالمي

قال العلّامة الشيخ محمد السند: «**الزيارة الأربعينية: هي عبارة عن مهرجان إلهي تعبوي، يتمّ فيه نوع من دخول البشر في النور، وبالتالي يُدرّبون على التضحية في سبيل القيم والمبادئ، ومن ثمّ على رفعة معدن الذات والطينة الإنسانية، فبدل أن تكون خسيئة، دنيئة، دنية، أسيرة للشهوات أو الغرائز، أو للدنيا، أو لحبّ البقاء، وبدل أن تكون ذليلة ورهينة السفاسف، سوف تتصاعد وتحلّق إلى المعالي، وتبني شخصية الإنسان في هذا المعسكر، وتتشبّع فيها القيم والمبادئ والفضائل والعزّة**»[3].

ويرى صاحب هذا التعريف أنّ زيارة الأربعين هي أكبر معهد ومعسكر لتدريب النفس البشرية بشكل عظيم؛ إذ تتدرّب في هذا المعهد على التضحية والعطاء والفداء.

٢ـ زيارة الأربعين هي ثورة سياسية

يصف الدكتور حسن خالد رند الزيارة الأربعينية بأنّها: ثورة سياسية ضدّ قوى الشرّ والفساد والاستبداد، وأنّها امتداد للحرّية الحسينية ضدّ الطغاة على مرّ التاريخ،

(١) المصدر السابق: ج٣٦، ص ٢٨٦.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٣٦.

(٣) السند، محمد، أسرار زيارة الأربعين: ص١٢.

وقد حمل الأبرار هذه المسؤولية على مرّ العصور، كما أنّها امتداد للدوحة المحمدية النبوية؛ فالإسلام المحمدي يرفض بشكل مطلق كلّ أشكال الاستبداد، ولا يمكن الإنسان أن يعيش تحت حكم الاستبداد وولايته، وإنّ الحسين عليه السلام أراد أن يحارب منظومة الفساد الذي استشرى في المجتمع، ويحرّره من تلك المنظومة الاستبدادية التي بسببها انهار المجتمع سلوكياً وأخلاقياً[1].

٣. زيارة الأربعين ظاهرة جديدة وحدث عالمي

يرى الدكتور حسين الزيادة: أنّ زيارة الأربعين قد أصبحت ظاهرة جديدة، وحدثاً عالمياً ذا أبعاد متعدّدة في كافّة جوانبه، فهي محطّة تعبوية تنهل من معينها الأجيال عبراً ودروساً بما تحمله من مبادئ إنسانية، وقيم تخدم المسيرة البشرية، التي تنشد السلام والأُخوّة والتعايش السلمي.

كما يعتقد: أنّ زيارة الأربعين تُعدّ من أهمّ الشعائر الحسينية من حيث آثارها، وحجمها، وتفاصيلها، ومصادر زوّارها؛ فهي مناسبة إنسانية يشترك فيها الناس باختلاف دياناتهم وطوائفهم، متّخذين من الحسين عليه السلام رمزاً ثورياً ونبراساً للتحرّر من الطغيان، وأنّ لهذه الزيارة بُعدًا فلسفياً عميقاً؛ فهي تمثّل اليوم صورة حية لتوق الإنسانية إلى الحرّية ورفض الظلم.

ويرى أيضاً: أنّ لزيارة الأربعين آثاراً وفوائد روحية ومادّية لا يمكن الإحاطة بها؛ فهي مناسبة للتلاقي الفكري والتواصل المعرفي بين المسلمين، وهي تمثّل نقطة تلاقٍ بين المسلمين أنفسهم، ومن شتّى بقاع العالم، في تظاهرة دينية تتجلّى فيها مشاعر الإخاء، والمحبّة، والوئام، والتعايش، والإيثار، والتضحية في سبيل الآخر. ويؤكّد على: أنّ زيارة الأربعين أصبحت مؤتمراً إنسانياً عالمياً لا يختصّ بطائفة من المسلمين

(١) أُنظر: خاك رند، حسن، مقال (الأُطر السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في زيارة الأربعينية الحسينية)، موقع المعارف الحكمية: https: / /maarefhekmiya.org

دون غيرها، بل لا يختصّ بالمسلمين أنفسهم دون غيرهم من بقية الديانات، سواء كانت سماوية أم أرضية[1].

إنّ هذه الكلمات المتقدّمة لا تتعدّى حدود ما لاحظه أصحابها من آثار ودلالات لزيارة الأربعين في المجتمع الإسلامي والإنساني، فذهبوا إلى وصف زيارة الأربعين بأنّها مؤتمر، أو ثورة سياسية، أو حدث عالمي، أو ظاهرة حسّية أو شعورية، أو معسكر تربوي، في حين أنّ ملاحظة أهداف هذه الزيارة ودلالاتها الإلهية تقودنا إلى أنّها تمثّل شيئاً آخر، وترمز إلى بُعد آخر، ألا وهو المشروع الإلهي الذي تتحقّق فيه الهداية الإلهية، وبه يتمّ التمييز بين الحقّ والباطل بشكل واضح لا التباس فيه.

إنّ زيارة الأربعين تمثّل سُنّة من سنن الله تعالى، وبالتحديد هي مصداق لسُنّة الهداية الإلهية؛ وعليه فالتوصيف الأدقّ لزيارة الأربعين من خلال النظر إلى أهدافها وآثارها ودلالاتها هو أنّها تدبير من الله تعالى وحده ـ وسائر التدابير الأُخرى هي في طول تدبيره ووسائل عليه ـ في أن تكون زيارة الأربعين تجسيداً لسُنّة الهداية الإلهية، ومظهراً من مظاهرها.

ولإثبات ذلك نتعرّض أوّلاً إلى تعريف سُنّة الهداية الإلهية في المطلب الثاني من هذا المحور، ثم نتعرّض إلى بيان العلاقة بين زيارة الأربعين وسُنّة الهداية الإلهية في المحور الثاني، من أجل الوصول إلى أنّ زيارة الأربعين ما هي إلّا تجسيد ومصداق واضح لسُنّة الهداية الإلهية، وأنّها دليل قطعي على جريان سُنّة الله في خلقه؛ لأجل هدايتهم إلى كمالهم وقربهم الإلهي.

المطلب الثاني: سُنّة الهداية الإلهية

إنّ نزعة طلب الكمال المودعة في باطن الإنسان هي التي تجعله مضطرباً

(١) أُنظر: الزيادة، حسين، مقال (زيارة الأربعين دلالاتها وقيمها)، موقع الزمان، ٢٠٢٢م:
https: / /www.azzaman.com

ومغموماً، وهي التي تدعوه دوماً إلى التقرّب إلى الذات الأحدية، وهذه النزعة تجعل من الإنسان مسافراً إلى الله تعالى، يشعر بالحاجة إلى الهداية وإرشاد الهداة؛ ولذلك فإنّ السنن الإلهية ـ وفي مقدّمتها سُنّة الهداية ـ أجراها الله تعالى من أجل حماية الإنسان من الداخل والخارج، ومن أجل أن تعينه لكيلا يكون الاضطراب والشعور بهموم الغربة سبباً لاضطراب خطواته، بل هناك اضطراب يُشوّقه إلى كماله اللائق في ظلّ أفعاله الإرادية والاختيارية، ويجعله مطمئنّاً في حضن القرب الإلهي[1].

أوّلاً: السنّة الإلهية

١ـ تعريف السنّة الإلهية لغةً واصطلاحاً

السنّة لغةً: من مادّة (سنَّ)، وتعني: الطريقة والسيرة والطبيعة والقانون؛ قال ابن فارس: «**السين والنون أصل واحد مطّرد، وهو: جريان الشيء واطّراده في سهولة**»[2]. وإذا نُسبت إلى الله تعالى فإنّها تعني: طريقة الله وسيرته في خلقه؛ قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾[3]، «**أي: طريقتهم التي سنّها الله في إهلاكهم حين كذّبوا رسله، وهو وعيد**»[4].

والسنّة الإلهية اصطلاحاً: هي ما يجريه الله تعالى ويحكم به ممّا يكون جريانه مُطّرداً لا يتخلّف عند وجود سببه، أو هي طريقته وعادته السالفة المطّردة المستمرّة في خلقه[5]، أو هي الطريقة الثابتة المطّردة التي يحكم الله تعالى بها على الكون[6].

---

(١) أُنظر: مراد خاني، أحمد، السنن الإلهية الاجتماعية في القرآن الكريم: ص١٥٤.

(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص٦٠.

(٣) الحجر: الآية ١٣.

(٤) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٣، ص٤٨٤.

(٥) أُنظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج١٦، ص٣٢٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير ابن كثير: ج٧، ص٣٤١.

(٦) أُنظر: رشيد رضا، محمد، مجلّة المنار: ج١، ص١٦.

ويمكـن تعريف السـنّة الإلهية أيضاً بأنّها: القانون الإلهـي العامّ الذي يكون على الأسـباب والمسـبّبات، وربط النتائج بالمقدّمات على نحوٍ هو في غاية الدقّة والصرامة والاطّراد[1]. أو هي القانون العامّ الحاكم على المجتمعات[2].

وعليه؛ يمكن القول بأنّ السـنّة الإلهية هي: الطريقة التي يدبّر الله تعالى بها أُمور العالم والناس، ولذلك عبّر عنها القرآن الكريم بـ(سُنّة الله)[3].

٢ـ أنواع السنن الإلهية

السنن الإلهية لا تخرج عن نوعين:

النـوع الأوّل: السُـنن الدينيـة الشرعية المتعلّقـة بدين الله، وأمـره ونهيه، ووعده ووعيده، كسُنّته في نصر رسله وأنبيائه وأوليائه على أعدائهم.

وأهـمّ ما يميّز هذا النوع من سُـننه أنّهـا لا تتغيّر ولا تتبدّل؛ قـال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[4]، فهذه سُـنّة الله تعالى في نصر عباده المؤمنين، وانتقامه من الكافرين ـ الذين أقام عليهم الحجّة بواسـطة رسله ـ بعذاب من عنده، أو بأيدي المؤمنين، هي سنّة الله، فلا يبدّل بالعذاب غيرهم، ولا يُحوّل إلى غير مستحقّيه[5].

النوع الثاني: السُنن القدرية الكونية الطبيعية، وهي المتعلّقة بالطبيعة، وما يحدث في الكون، كجريان الشمس والقمر والكواكب ونحوها، وكإحراق النار. وهذا النوع من السُنن هو الذي ينتقض أو يتخلّف أحياناً؛ لحكمة الله تعالى ومشيئته في خلقه[6].

---

(١) أُنظر: زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأُمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية: ص٢٣.

(٢) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٨، ص٥٨١.

(٣) أُنظر: مراد خاني، أحمد، السنن الإلهية الاجتماعية في القرآن الكريم: ص٨٤.

(٤) فاطر: الآية ٤٣.

(٥) أُنظر: السيوطي، عبد الرحمن، تفسير الجلالين: ص٥٧٨.

(٦) أُنظر: السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن (العدل والإمامة): ج١٠، ص٦٠.

وقد ورد لفظ (سُـنّة الله) في خمسـة مواضع من كتاب الله تعالى، منها قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[1].

٣ـ أقسام السُنن الإلهية

لقـد قُسّـمت السـنن الإلهية بمـلاكات مختلفـة إلى عدّة أقسـام، منها: تقسـيمها إلى السـنن الفردية والسـنن الاجتماعيـة؛ إذ إنّ القوانين الإلهية الحاكمـة ترتبط أحياناً بالسلوك الفردي، وأحياناً بالجماعات والمجتمعات.

ومنها: تقسـيمها إلى السـنن المطلقـة والمقيّدة؛ فالسـنن المطلقة هي السـنن التي يجريهـا الله بهـدف هدايـة النـاس إلى الكـمالات والقرب الإلهـي من غـير التفات إلى سلوكهم وأعمالهم، بينما السنن المقيّدة هي ردّ الفعل الحاصل من الله تعالى المقيّد بعمل الناس[2].

٤ـ خصائص السنن الإلهية

من أهمّ خصائص السـنن الإلهية أنّها من عند الله، وهي «**لا تقبل الاستبدال، ولا التعويض الكامل، ولا التغيير النسبي من حيث الشدّة والضعف، أو القلّة والزيادة**»[3]، وأنّهـا نافـذة، ولا مردّ لها، وأنّها متكّـررة الوقوع، ومطّردة ومتتابعـة، وأنّها تهدف إلى هدايـة الإنسـان فرداً وجماعة نحـو الكمال والقـرب الإلهي؛ فلذا تتّصـف بأنّها دائمة خالـدة، وثابتة غير متغيّرة، ومسـتمرّة غير متحوّلة، تشـمل الأوّلين والآخرين، وأنّ لها آثاراً أُخروية[4].

---

(١) الأحزاب: الآية ٣٨.

(٢) أُنظر: مراد خاني، أحمد، السنن الإلهية الاجتماعية في القرآن الكريم: ص٨٥ـ ٨٦.

(٣) أُنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٤، ص١١٦.

(٤) أُنظر: الزحيلي، وهبة، التفسير الوسيط: ج٢، ص٩٥٠.

ثانياً: سُنّة الهداية الإلهية

إنّ سُـنة الهداية الإلهية وقابلية الإنسـان للهداية هي من السنن الإلهية التي تجري بتعليم الله بعد خلق الإنسان وقبل جعله خليفة، وهي لطف إلهي للإنسان من ناحية، وهي كذلك من باب إتمام الحجّة عليه من ناحية أُخرى[١].

١ـ تعريف الهداية الإلهية لغةً واصطلاحاً

الهداية لغةً: من مادّة (هدى)، والهدى تعني: الرشاد والدلالة والبيان[٢].

أمّـا اصطلاحـاً: فتـدلّ عـلى التثبيت عـلى دين الحـقّ؛ لأنّ الله تعـالى هدى جميع المخلوقات، إلّا أنّ المفاسد والأهواء تسبّب الضلال، ولهذا صار الطلب من الله تعالى للتثبيت على الدين[٣].

٢ـ أقسام سُنّة الهداية الإلهية

توجد عدّة تقسـيمات لسُـنّة الهداية تبعاً لملاكات ومعايير مختلفة، إلّا أنّنا نُقسّمها إلى قسمين، هما:

أ) سُـنّة الهدايـة المطلقـة والعامّة: وهي سُـنّة تشـمل في مرحلة مـن المراحل جميع المخلوقات، وفي مرحلة أُخرى جميع الناس من أهل الإيمان والحقّ، أو من أهل الكفر والباطل.

ب) سُـنّة الهدايـة المقيّدة: وهي التـي تجري منذ بداية خلـق الموجودات والناس، وهي تختصّ بالمؤمنين، الذين اسـتفادوا من سُنّة الهداية المطلقة؛ فالإنسان بما لديه من هداية فطرية، وكذلك هداية حسّـية وعقلية يمكن أن يتهيّأ لقبول الحقّ، ويسـتجيب لنداء الأنبياء والأوصياء والأئمّة عليهم السلام، وعن طريق الهداية الدينية يسـتطيع أن يُصلح

(١) أُنظر: مراد خاني، أحمد، السنن الإلهية الاجتماعية في القرآن الكريم: ص١٥٤.
(٢) أُنظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٣، ص٢٨٧.
(٣) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج١، ص٦٥ـ٦٦.

فكـره وعملـه، والله يختصّ مثل هذا الإنسـان بهدايتـه الخاصّة[1]. وهـذه الهداية على ثلاثة أقسام:

القسـم الأوّل: الزيادة في الهداية؛ لقوله تعالى بشأن المؤمنين المهتدين: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[2]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾[3].

القسـم الثـاني: التأييـد والتصديـق؛ إذ إنّ الله تعالى يؤيّد المؤمنـين ويصدّقهم، ممّا يؤدّي إلى زوال الشكّ والشبهة عندهم، ويُشجّعهم على مواصلة الطريق والاستمرار في أعمالهـم، وفي النهايـة تثبيت أقدامهم في طريق الإيـمان. ويدلّ على هذا الأمر آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[4].

القسم الثالث: الإيصال إلى المطلوب؛ وهذا القسم هو من جملة ألطاف الله تعالى بالمؤمنـين، وهـو هدايتهـم في الآخـرة، أي رفع نقائصهـم وإيصالهـم إلى الجنّة، وهو الهـدف النهائي[5]، وقد صرّحت الآيات بذلك، كـما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[6]. قـال العلّامـة الطباطبائـي: «**هـذا بيـان لعاقبة أمـر المؤمنين ومـا يثيبهم الله على اسـتجابتهم لدعوته وطاعتهم لأمره**»[7].

٣ـ أنواع الهداية الإلهية

وللهداية الإلهية أنواع، منها:

---

(١) انظر: مراد خاني، أحمد، السنن الإلهية الاجتماعية في القرآن الكريم: ص١٦٠.
(٢) الكهف: الآية ١٣.
(٣) مريم: الآية ٧٦.
(٤) الأعراف: الآية ١٧٨.
(٥) أُنظر: مراد خاني، أحمد، السنن الإلهية الاجتماعية في القرآن الكريم: ص١٦٠ـ ١٦٢.
(٦) الحديد: الآية ١٢.
(٧) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٠، ص١٦.

أ) **هداية عقلية**: فالإنسان تحصل له هداية عقلية من خلال تصحيح أخطائه ومداركه الحسّية، بمعنى أنّ الإنسان في ظلّ العقل يصحّح المحسوسات، ويدرك أسباب الاشتباه.

ب) **هداية دينية**: مع أنّ للعقل دوراً مهمّاً في حصول المعارف الإنسانية؛ فإنّه لم يكن ولن يكون مصوناً من الخطأ والاشتباه، ولذلك هو بحاجة إلى هداية أُخرى لأجل التخلّص من ظلمات اللذّات وهوى النفس، وكذلك من أجل تعيين حدود رغباته، وحصوله على العلم والعرفان بحقيقة الوجود، ومثل هذه الهداية ليست سوى هداية الدين والشريعة، تلك الهداية التي يمنحها الله في زمان ومكان خاصّين بنسبة معيّنة بواسطة الأنبياء والأوصياء والأئمّة عليهم السلام، والتي بدونها لا يكون للسعادة ولا للكمال الإنساني معنى ومفهوم[1].

٤ـ وسائل سُنّة الهداية الإلهية وأدواتها

إنّ لله وسائل وأدوات لجريان سُنّة الهداية الإلهية في الناس، منها:

أ) **مضمون كلام الأنبياء والأوصياء والأئمّة عليهم السلام**: وهو من أهمّ وسائل الهداية الإلهية التي استفادت منها المجتمعات البشرية، وعلى رأسها الدعوة إلى توحيد الله وطاعته؛ لأنّها تقع في مواجهة العقائد والمذاهب الباطلة، الأمر الذي يؤدّي إلى إزعاج أتباع الباطل، ولهذا يتصدّون لمواجهة الحقّ، فيقومون بقتل الأنبياء والأئمّة عليهم السلام[2]؛ ولذلك قال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[3].

(١) أُنظر: مراد خاني، أحمد، السنن الإلهية الاجتماعية في القرآن الكريم: ص١٧٠ـ ١٧١. رشيد رضا، محمد، تفسير المنار: ج١، ص٦٢ـ ٦٤.

(٢) أُنظر: مراد خاني، أحمد، السنن الإلهية الاجتماعية في القرآن الكريم: ص٢١٣ـ ٢١٤.

(٣) المائدة: الآية ٧٠.

ب) **الشخصية الأخلاصية للأنبياء والأوصياء والأئمّة عليهم السلام**: فالشخصية الأخلاصية التي يتميّز بها الأنبياء والأوصياء والأئمّة عليهم السلام، وسلوكهم في العبادة والطاعة، وسيرتهم الطاهرة، من أهمّ وسائل الهداية؛ فمن خلال ذلك أثبتوا أنّ حقائق الدين يمكن تطبيقها من قِبل الإنسان، وأنّ الإنسان يمكنه أن يجعل أحكام الدين ملاكاً لعمله، وأنّ سيرتهم الإلهية نابعة من شخصيّتهم الأخلاقية ومن عصمتهم[1]، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

جـ) **الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتحقيق العدالة**: وهي من أهمّ ما اختصّ به الأنبياء والأوصياء والأئمّة عليهم السلام، فكانوا راعين للحقّ، والمصالح العامّة، وداعين إلى تطبيق العدالة من خلال امتثال أحكام الدين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[3]، وبحسب هذه الآية؛ فإنّ الهدف الأصلي من إرسال الرسل، وإنزال الكتب مصحوبة بالميزان والحقّ، هو إيجاد مجتمع إنساني تسوده العدالة، وليس المراد من العدالة الجانب الاقتصادي فقط، بل إيجاد التعادل والعدالة الاجتماعية في جميع شؤون المجتمعات البشرية[4].

إنّ الدعوة إلى الحقّ، وإجراء الأحكام من أجل تحقيق المجتمع الإنساني والإلهي ليست كافية، وإنّما يجب دعم ذلك عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر الذي طُرح في القرآن باعتباره أحد الوظائف المهمّة للأنبياء والأئمّة عليهم السلام، والذي يحظى بأهمّية خاصّة؛ لأنّه يحافظ على نقاء المجتمعات الإنسانية والبشرية. وهذه الوظيفة ليست واجبة على الأنبياء فقط، بل هي أمرٌ ضروري لجميع المجتمعات الإنسانية،

(١) أُنظر: مراد خاني، أحمد، السنن الإلهية الاجتماعية في القرآن الكريم: ص٢١٦.
(٢) الأحزاب: الآية ٢١.
(٣) الحديد: الآية ٢٥.
(٤) أُنظر: مراد خاني، أحمد، السنن الإلهية الاجتماعية في القرآن الكريم: ص٢١٧.

ولذلك قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[2].

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتبارهما عاملين مؤثّرين في تحقيق سُنّة الهداية الإلهية، يحظيان بأهمّية كبيرة؛ لأنّه بالأمر بالمعروف ـ الذي يعني: الأمر والبعث نحو الفعل المطلوب عقلاً أو شرعاً أو كلاهما ـ تُمتثل جميع الواجبات الإلهية في المجتمع، وبالنهي عن المنكر ـ الذي يعني: المنع عمّا لا يُحسن عقلاً وشرعاً ـ تُمنع جميع المفاسد؛ فإنّ هذين العملين يدعوان إلى الدين، كما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام: «**إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام**»[3]. ولذلك قامت نهضة الإمام الحسين عليه السلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتالي فإنّ هذه النهضة الحسينية المباركة هي من سُنن الله في خلقه لهدايتهم نحو كمالهم، وتصحيح ما بهم من انحراف[4]، ولذلك قال السيّد الخامنئي: «... **هذه فلسفة نهضة الحسين بن علي عليه السلام، والتي أُعتبرت المصداق الحقيقي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[5].

وعليه؛ فإنّ هذه الوسائل والأدوات هي من السنن الإلهية التي تقود إلى الله تعالى المطلق اللامتناهي، والتي بها يحدث تغيير كمّي وكيفي في المجتمعات الإنسانية[6].

---

(١) آل عمران: الآية ١١٠.

(٢) آل عمران: الآية ١١٤.

(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص١٣٠.

(٤) أُنظر: مراد خاني، أحمد، السنن الإلهية الاجتماعية في القرآن الكريم: ص٢١٦ـ ٢٢٠. مطهّري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج٣، ص١٦٧. الخامنئي، علي، الثورة الحسينية.. خصائص ومرتكزات: ص٨٩.

(٥) الخامنئي، علي، الثورة الحسينية.. خصائص ومرتكزات: ص٨٩.

(٦) أُنظر: الصدر، محمّد باقر، السُنن التاريخية في القرآن: ص١٣٤.

المحور الثاني: العلاقة بين زيارة الأربعين وسُنّة الهداية الإلهية

ذكرنا في المحور الأوّل من هذا المقال أنّ زيارة الأربعين ما هي إلّا تجسيد ومصداق واضح لسُنّة الهداية الإلهية، وهي دليل قطعي على جريان سُنّة الله في خلقه لأجل هدايتهم إلى كمالهم وقربهم الإلهي، ويعود سبب ذلك إلى ارتباط الزيارة بشخصية الإمام الحسين عليه السلام من جهة، وبمشروعه الإصلاحي من جهة أُخرى، ولذلك سنتعرّف في الأسطر الآتية على الشخصية الأخلاصية للإمام الحسين عليه السلام، وكذلك نتعرّف على التكليف الإلهي له عليه السلام بمشروع الإصلاح؛ فمن خلال هذين الأمرين أصبحت زيارة الأربعين أحد مصاديق تجلّيات سُنّة الهداية الإلهية.

المطلب الأوّل: الشخصية الأخلاصية للإمام الحسين عليه السلام

الإمام الحسين عليه السلام هو الإمام الثالث المنصوص عليه من قِبل الله على لسان النبي صلى الله عليه وآله[1]، والإمامة هي إمرة إلهية، واستمرار لوظائف النبي صلى الله عليه وآله كلّها سوى تحمّل الوحي، ومن أهمّ وظائفه صلى الله عليه وآله صيانة الدين من التحريف والدس، ومراقبة ما أخذه عنه المسلمون من أُصول وفروع، حتى لا تزلّ أقدامهم[2]، وذلك من قاعدة اللطف الإلهي؛ إذ يجب على الله فعل ما يقرّب العباد إلى الطاعة، ويبعدهم عن المعصية، وذلك من دلائل حكمة الله ورحمته ولطفه بعباده[3].

وقد امتاز الإمام الحسين عليه السلام بمقام العصمة، فقد كان معصوماً عصمة مطلقة من جميع المعاصي والفواحش، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، ومعصوماً من الخطأ والسهو والنسيان والتردّد؛ لأنّ الإمام حافظ للشريعة، وقائم عليها[4].

---

(١) أُنظر: الصدوق، محمّد بن علي، الاعتقادات: ص٢٨٨ـ٢٩٠.

(٢) أُنظر: السبحاني، جعفر، الإلهيات: ج٤، ص ٢٦.

(٣) أُنظر: الطوسي، نصير الدين، تجريد الاعتقاد: ص١٣٥. العلاّمة الحليّ، الحسن بن يوسف، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: ص٣١.

(٤) أُنظر: المظفّر، محمّد رضا، عقائد الإمامية: ص٥٦.

وعليه؛ فإنّ الإمام الحسين عليه السلام شخصية إلهية ربّانية، أوجدها الله لتكون معياراً وميزاناً، يهتدي به الناس، وهكذا استمرّ تأثير هذه الشخصية في الناس عبر الأزمان، قال السيّد الخامنئي في وصفه لشخصية الإمام الحسين عليه السلام: «**لقد خلق الباري تعالى إمامنا العظيم بشكل لم تكن تلك الشخصية تشعر بالتعب والهزيمة، ولم يكن للفشل أثر على روحه أبداً، بل كان يحاول التقدّم حتّى في أصعب الظروف**»[1].

وقال أيضاً: «**وشخص كالإمام الحسين عليه السلام ـ حيث شكّل تجسيداً لكلّ القيم الإلهية والإنسانية ـ ينهض بالثورة، حتّى يقف بوجه استشراء الانحطاط الذي أخذ يتفشّى في أوصال المجتمع، وأوشك أن يأتي على كلّ شيء فيه**»[2].

فالإمام الحسين عليه السلام هو وسيلة الله ليُجري به سُنّة الهداية الإلهية، ولولا هذه السنّة التي أجراها الله في زمن غابت فيه حاكمية أولياء الله، وقويت فيه حاكمية الشيطان، لما استطاع الناس التمييز بين الحقّ والباطل، وخاصّة أنّ الشيطان صار يلبس لباس الدين والحقّ، ويتدخّل في الشرع في تلك الحقبة الزمنية.

فعندما يتأمّل الإنسان في تاريخ المجتمع الإسلامي، ذلك المجتمع الذي أسّسه شخص غير عادي كرسول الله صلى الله عليه وآله، والذي كان يتمتّع بقدرات تفوق إدراك البشر، والمرتبط بالوحي الأزلي والحكمة الفريدة اللامتناهية[3]، يجده مجتمعاً إسلامياً نموذجياً، امتاز عن باقي المجتمعات بأنّه قام على عدّة ركائز أسّسها النبي صلى الله عليه وآله، منها: المعرفة اليقينية بالله تعالى الخالية من الغموض والشبهات، ودستوره القرآن الكريم، والعدالة المطلقة والعدل التامّ بين الناس، والعبودية الخالصة لله تعالى الخالية من أي شرك، والمحبة والترابط العاطفي بين أبناء المجتمع الإسلامي[4]. وقد بذل النبي صلى الله عليه وآله

(١) الخامنئي، علي، الثورة الحسينية.. خصائص ومرتكزات: ص٩.
(٢) المصدر السابق: ص٢١.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص١٠.
(٤) أُنظر: المصدر السابق.

قصارى جهده ـ على امتداد رسالته ـ لترسيخ هذه الأُسس في حكومته الإسلامية.

وهو نفسه المجتمع الذي حكمه علي بن أبي طالب عليه السلام بعد ذلك، حين أصبحت المدينة والكوفة مركزي هذه الحكومة العظيمة، إلّا أنّه ابتُلي بجرثومة خطيرة أدّت إلى كارثة موجعة، ألا وهي انتشار الفساد والانحراف بمختلف صوره، وفي جميع الأبعاد، وصار المجتمع الإسلامي يعيش حالة من التخدير[1]، يقول محمود قانصو: «**إنّ هذه الأُمّة ـ من حين قتل الحسين عليه السلام ـ قد غرقت في ظلمات الظلم والبدع**»[2]، وصارت الحاكمية للشيطان، وغابت حاكمية أولياء الله المنصوص عليهم؛ بسبب تخلّي الناس عنهم وانقيادهم إلى أولياء الشيطان[3].

لقد جاء الإمام الحسين عليه السلام في ذلك الزمن الذي تغيّر فيه المسار المعنوي الأصيل للإسلام، وكثُرت الثغرات في جهاز الخلافة الظاهرية، واتّخذ كثير من الناس الإسلام وسيلة لدنياهم، وساقوا الناس إلى الطريق المنحرف من أجل نيل الثروات والأموال والمناصب، فكان لا بُدّ من نهضة إسلامية خالصة، يقوم بها سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام لتصحيح الأوضاع، وقلب الموازين لمصلحة الإسلام وتحقيق العدالة. فالحسين عليه السلام أنقذ المسلمين بشكل خاصّ، والبشرية بشكل عامّ، بملحمته التي خاضها في مواجهة تلك الحكومة الطاغية، فأصبحت أهمّ وأكبر ملحمة إنسانية، ومنعطف إسلامي استمرّ إلى يومنا هذا، فنهضة الإمام الحسين عليه السلام أبرزت دعوة الأنبياء عليهم السلام بشكل تضحيات عملية في سبيل الإيمان والعدالة، والمواجهة الميدانية للشرك والضلال والظلم والفساد.

والأهمّ من ذلك أنّ هذه المعاني السامية لم تحصل بالكلام والخطب والمواعظ فحسب، بل بالدماء الطاهرة، وبأرقى النماذج الإنسانية والإسلامية، التي لا مثيل

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٦ـ ٧.

(٢) قانصو، محمود، ما بعد كربلاء: ص٢٦١.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٥٩.

لها على وجه الأرض، وبتحمّل جميع أنواع المصاعب والتحدّيات والشدائد، ليثبت للعالم أجمع أنّ الرسالة لا تنفصل عن الشهادة[1]؛ وهنا يتّضح لنا معنى الحديث القدسي: «**إنّ الحسين... مصباح هدى وسفينة نجاة**»[2].

فالإمام الحسين عليه السلام أخذ بأيدي الناس إلى ذروة المعالي والحرّية عن طريق الفداء والتضحية، وأنقذهم من مستنقع الأسر والذلّة؛ فالإمام الحسين عليه السلام ونهضته العظيمة من أعظم سُنن الله في خلقه، ومصداق واضح لسُنّة الهداية الإلهية؛ فقد أخرج عليه السلام الناس من ظلمات الظلم والجهل والقهر والجور إلى نور العدالة والمعرفة، وحرّرهم من حاكمية الشيطان وأغلاله، وذكّرهم بوجوب اتّباع أولياء الله، وحذّرهم من أولياء الشيطان.

وهكذا استمرّ وجود الإمام الحسين عليه السلام كسُنّة إلهية في المجتمع البشري حتى بعد استشهاده، وصار قوّة مُحرِّكة في تاريخ المجتمع البشري، توحّد تلك المجتمعات، وتلغي كلّ الاختلافات.

ومن هنا؛ صارت قدسية زيارة الأربعين تابعة لقدسية الإمام الحسين عليه السلام، التي أُفيضت عليه من الله تعالى، حتى أصبحت زيارته عليه السلام بمنزلة زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله، بل زيارة الله تعالى؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يأتي قوم في آخر الزمان يزورون قبر ابني الحسين، فمَن زاره فكأنّما زارني، ومَن زارني فكأنّما زار الله سبحانه وتعالى**»[3].

المطلب الثاني: التكليف الإلهي للإمام الحسين عليه السلام

إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام هي نهضة إلهية بأمر من الله تعالى وتكليف إلهي، من أجل القيام بحركة تغييرية[4] على مستوى جميع الأبعاد الدينية والسياسية والاجتماعية

(١) أُنظر: الفرحي الحسيني، علي، النهضة الحسينية: ص٢٩٩ـ ٣٠٠.
(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٦٢.
(٣) العلوي الشجري، محمد بن علي، فضل زيارة الحسين عليه السلام: ص٣٩.
(٤) أُنظر: الصدر، محمد باقر، السنن التاريخية: ص١٤٠.

والاقتصاديـة، فمتـى ما حدثت في المجتمع الإسـلامي مؤامـرات معقّدة، تهدف إلى محو حقيقة الإسـلام، وتضليـل الناس، والقضاء على الحكومة الإسـلامية، ولم تفلح الطـرق السـلمية والمتعارفة في محو تلـك المؤامرات، فلا يبقى طريق سـوى النهوض الاستشهادي من أجل الحفاظ على النظام الإسلامي، وهذا ما حصل في نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

فببركـة هـذه النهضـة العظيمـة اسـتطاع الأئمّة عليهم السلام من بعـده أن يبيّنـوا حقائق الإسـلام في أرجـاء العالم الإسـلامي، وأن يربّوا جيلاً أخذ على عاتقـه تبليغ المعارف الإسـلامية وترويجهـا، وأهمّهـا القيـام بمهمّة الأمـر بالمعـروف والنهي عـن المنكر؛ يقـول الشـيخ مصباح اليـزدي: «... **ومثل هـذه الحركة، التي انتهت باستشـهاد الإمام الحسـين عليه السلام، تُعتبر المصـداق الأتمّ للأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر... حركة ضخمة وعميقـة بحيـث أدّت إلى تحوّل تاريخي عظيم، ومادام المجتمع الإنسـاني باقياً فإنّ آثارها سوف تبقى**»[1].

لقـد كان أهـمّ تكليـف إلهـي للإمام الحسـين عليه السلام ـ باعتبـاره الإمـام المعصوم، وخليفـة النبي صلى الله عليه وآله للقيام بوظائف النبي صلى الله عليه وآله ـ هو الإصلاح في المجتمع الإسـلامي، ولو لم يكن الإمام الحسـين عليه السلام مكتسـباً لمقام العصمة والأخلاق الإلهية، فإنّ الناس ـ حينئـذٍ ـ لـن يلتفّوا حوله، وبالتالي ينتقض الغرض مـن وجوده عليه السلام بينهم، وقيامه بمهمّـة الإصـلاح[2].

وعـلى الرغـم مـن أنّ الحكومـة الأُموية بقيـت متسـلّطة بعد واقعـة كربلاء، بل ازدادت جرأة وظلماً وتنكيلاً بأتباع الإمام الحسين عليه السلام، وبقيت أيضاً الحكومات التي تلتها هكذا على نفس الخطّ الظالم للناس، فإنّ الناس ازدادوا يقظة واستعداداً لمواجهة

(١) مصباح اليزدي، محمّد تقي، بارقة في سماء كربلاء: ص٢٨١.

(٢) أُنظر: الشماسي، ناهد، الإمامة ما بين الكلام الشيعي الإمامي والمعتزلي: ص٨٧ ـ ٨٨.

الظالمين؛ فقامت عدّة حركات إسلامية تناضل وتقاوم تلك الحكومات الفاسدة على مرّ التاريخ الإسلامي، وأصبح الإمام الحسين عليه السلام ونهضته سراجاً منيراً ورمزاً سامياً لهداية الأجيال البشرية؛ فقد أوضح الإمام الحسين عليه السلام بشكل عملي أنّه يجب الوقوف بوجه الظالمين المحاربين للدين والإنسانية إلى حدّ الموت، وتقديم كلّ شيء في سبيل ذلك، وبذلك استطاع الإمام الحسين عليه السلام من خلال خطاباته وتضحياته تعبئة المسلمين ضدّ الحكومات الظالمة على مرّ التاريخ الإسلامي[1].

إنّ تضحية أعظم إنسان بأعظم تضحية كانت سبباً في تحريك عناصر الإنسانية والدوافع الإلهية لدى الناس، وهم يشاهدون الإمام الحسين عليه السلام يواجه بأعزّ ما عنده الأخطار المختلفة من أجل الحفاظ على النظام الإسلامي الذي أسّسه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أجل حفظ القيم الإسلامية والإنسانية، فمن الطبيعي أنّ هذه المشاهد المثيرة للتضحية والفداء سوف تبعث في الناس كوامن الهداية الفكرية، وتعلّمهم روح الحرّية والشجاعة والمقاومة أمام تلك الحكومات الظالمة، وتهديهم إلى أنّ القوّة الحقيقية والحاكمة على العالم هي قوّة الحقّ تعالى[2]، كلّ هذا بتسديد من الله تعالى، ولذلك قال الشهيد الصدر: «**لا بُدّ من طاقة روحية مستمدّة من هذا المثل الأعلى** [أي: الله تعالى]، **لكي تكون هذه الطاقة رصيداً ووقوداً مستمرّاً للإرادة البشرية على مرّ التاريخ**»[3].

ويرى بعضهم أنّ من أهمّ أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام إيقاظ ضمير الأُمّة بعد أن أُصيب بالسبات بسبب التربية الأُموية، فقام عليه السلام بالتضحية بنفسه الطاهرة، وبأهل بيته وأصحابه؛ لكي يوقظ ضمير الأُمّة، ويبعث فيها الشجاعة وروح الإرادة

(١) أُنظر: الفرحي الحسيني، علي، النهضة الحسينية: ص٢٩٧. قانصو، محمود، ما بعد كربلاء: ص٢٥٧.
(٢) أُنظر: الفرحي الحسيني، علي، النهضة الحسينية: ص٢٩٨.
(٣) الصدر، محمّد باقر، السنن التاريخية: ص١٣٧.

لمقاومة الطغاة والظالمين، وأنّه عليه السلام كان يعلم بمصيره وما يحدث له في كربلاء، وهذا يظهر في كثير من كلماته عليه السلام، منها قوله لأُمّ سلمة: «**يا أُماه، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعُدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين مظلومين، مأسورين مقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً**»[1].

ومع كلّ ذلك صمّم عليه السلام على الخروج لأهداف لا ترتبط ببقائه حيّاً، وإنّما تترتّب على شهادته، وعلى حصول تلك المأساة في كربلاء؛ وعليه فإنّ الهدف من نهضة الإمام الحسين عليه السلام ـ كما ذهب بعضهم ـ هو إيقاظ ضمير الأُمّة، وتحريك إرادتها من أجل الإطاحة بالسلطة الظالمة، وبالتالي القضاء على الفساد الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، الذي كانت تمارسه تلك السلطة الظالمة، والقضاء على المدرسة الفكرية المنحرفة آنذاك[2].

ولكن عندما نتأمّل خطابات الإمام الحسين عليه السلام، وفي أكثر من مناسبة، نجده يركّز على التكليف الإلهي الذي يقوم به، وهو الإصلاح في جميع أبعاده الدينية، والأخلاقية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وعلى مستوى الفرد والمجتمع، فهو عليه السلام بذلك ينطلق من الرؤية القرآنية التي ترى أنّ الإصلاح هو الهدف الأساسي من إرسال الأنبياء وإنزال الكتب، ولذلك كانت دعوتهم عليهم السلام تشدّد على عملية الإصلاح، وعلى النهي عن الفساد، والسعي للقضاء عليه بكافّة أشكاله وصوره[3].

ومن هنا؛ كانت العملية الإصلاحية التي قام بها الرسول صلى الله عليه وآله، المرتبطة بالرؤية الكونية الإلهية للوجود والحياة، وبفلسفة الدين للوجود الإنساني، أعظم عملية إصلاحية مرّت على التاريخ الإنساني؛ فقد استطاع صلى الله عليه وآله تطبيق مفردات الإصلاح

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣١ـ٣٣٢.
(٢) أُنظر: شقير، محمّد، الإصلاح الديني في ثورة الحسين عليه السلام: ص٥٧ـ٥٨.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٨ـ٢٩.

الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي في مجتمعه[1].

كما أرادﷺ تكريس هذا الإصلاح وتفعيله أكثر بعد حياته المباركة، فكان مشروع الإمامة المعصومة، التي هي امتداد للنبوّة على هذا المستوى الوظيفي، فصارت الإمامة حصناً منيعاً للإصلاح، وللمحافظة على الدين، ولبيان حقائقه، ولمقاومة الفساد والانحراف المعرفي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي، الذي يطرأ بين حين وآخر[2].

وهكذا كانت نهضة سيّد الشهداءعليه السلام الإصلاحية امتداداً لما قام به جدّه المصطفىﷺ من عملية إصلاحية، ولذلك قالعليه السلام: «... **وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الاصلاح في أُمّة جدّيﷺ، أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي**»[3].

وأهمّ عملية للإصلاح هي إعادة المسيرة الدينية من انحرافها؛ لأنّ الدين هو المصدر المعرفي الوحيد الذي يُعتمد عليه من أجل تكوين وعي إسلامي عامّ، ولذلك فهو مُقدّم على الإصلاح الثقافي والسياسي والاجتماعي، وهذا ما تجده في أكثر خطابات الإمام الحسينعليه السلام، من أنّه خرج لطلب الإصلاح في أُمّة جدّه، وأنّ الإسلام قد أُميت، وأنّ البدعة قد أُحييت، كما في كتاب الإمام الحسينعليه السلام الذي أرسله إلى أهل البصرة، فقد جاء فيه: «**وأنا أدعوكم إلى كتاب الله، وسُنّة نبيّهﷺ؛ فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت**»[4].

قال السيّد الخمينيقدس سره: «**وبعد رحلة النبي الخاتمﷺ... أوشك الإسلام أن ينمحي ويتلاشى بسبب انحرافات بني أُمية، وكاد يُسحق تحت أقدام الظالمين، ويُبتلع من قِبل**

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٢.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٣٤.

(٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

(٤) الطبري، محمّد جرير، تاريخ الطبري: ج٣، ص ٢٨٠.

الجابرة، فهبّ سيّد الشهداء عليه السلام لتفجير نهضة عاشوراء العظيمة»[1].

وقال السيّد الخامنئي: «...فتارة ينحرف الناس، وهذا ما يقع كثيراً، لكن تبقى أحكام الإسلام سليمة، وتارة ينحرف الناس ويفسد الحكّام والعلماء ومبلّغو الدين، فيحرّفوا القرآن والحقائق، وتبدّل الحسنات سيّئات، والسيّئات حسنات، ويصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، ويحرف الإسلام ١٨٠ درجة، فلو ابتُلي النظام والمجتمع الإسلامي بمثل هذا الأمر، فما هو التكليف حينئذٍ؟

لقد بيّن النبي صلى الله عليه وآله، وحدّد القرآن التكليف: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[2]... هذا الحكم يُطبّق في عصر ينحرف فيه المجتمع الإسلامي، ويبلغ حدّاً يُخاف فيه من ضياع أصل الإسلام»[3].

لقد استغل النظام الحاكم في زمن الإمام الحسين عليه السلام العامل الديني، فقام بتحريف المفاهيم الإسلامية، وتزوير الأحاديث، وإحياء مفاهيم سائدة في أيّام الجاهلية عمل الإسلام على إبادتها، كالتمييز العنصري، والعبودية للطواغيت، والعصبية العرقية وغيرها[4].

إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام وما ترتّب عليها كان له تأثير في مجريات الأُمور؛ فقام بإعادة إحياء للإسلام، لتكون تعاليمه هي الحاكمة على المجتمع الإسلامي[5].

إنّ الإمام الحسين عليه السلام بنهضته وحركته وخطاباته وكذلك بشهادته، استطاع أن ينفخ روحاً جديدة في الإسلام، وأن يُحدث صدمة في جسد المجتمع الإسلامي

(١) الخميني، روح الله، نهضة عاشوراء: ص٣٧.
(٢) المائدة: الآية ٥٤.
(٣) الخامنئي، علي، الثورة الحسينية: ص٧٣ـ ٧٤.
(٤) أُنظر: المطهّري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج٣، ص١٢.
(٥) أُنظر: شقير، محمد، الإصلاح الديني في ثورة الحسين عليه السلام: ص٧١.

آنـذاك، الـذي صـار يعاني مـن حالة الكسـل والخمـول، فأخرجـه إلى عالم النشـاط والفعّالية والحركة، ليتولّد عند الناس الإحسـاس بأهمّية الدين الإسلامي، ويشعروا بخطر ما حصل في المجتمع الإسـلامي، وهذا من سُنّة الهداية الإلهية، وهي أن يبعث الله الإمام الحسـين عليه السلام في مجتمعه، ليُحيي به الإسـلام مرّة أُخرى، فيهتدي به الناس، ويعود الوعي الإنساني لهم.

ولذلك عندما تولّى معاوية بن يزيد بن معاوية الحكم بعد أبيه، قام خطيباً فقال: «... **ألا وأنّ جدّي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر مَن كان أولى به منه في القرابة برسول الله، وأحقّ في الإسلام، سابق المسلمين، وأوّل المؤمنين، وابن عمّ رسول ربّ العالمين...**». ويقـول عن أبيه: «**إنّ أعظم الأُمور علينا علمنا بسـوء مصرعـه، وقبح منقلبه، وقد قتل عـترة الرسـول، وأبـاح الحرمة، وحـرق الكعبة، ومـا أنا المتقلّـد أُموركـم، ولا المتحمّل تبعاتكم، فشـأنكم أمركم**»[1]. فهذه الخطبة تكشف عن حجم الوعي الذي حصل في المجتمع الإسـلامي بعد استشـهاد الإمام الحسين عليه السلام، والذي شمل معاوية بن يزيد، وما ترتّبت عليه من آثار.

إنّ حركـة الإمام الحسـين عليه السلام أخـذت في جميـع مراحلها طابع الأمـر بالمعروف والنهـي عن المنكر[2]، من خلال الإنكار القلبي لجميع مظاهر الانحراف المجتمعي، وإظهار الرفض باللسـان من خلال احتجاجـه على تلك المظاهر، ثمّ الجهاد الدفاعي المتمثّـل في جهـاد أهل البغـي، الذين يثـيرون الاضطرابات في المجتمع الإسـلامي، ويقتلون الناس عشوائياً، وأخيراً الحركة الاستشهادية، بعد أن فقد المجتمع الإسلامي قدرتـه على القيـام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر[3]، بل فقد القدرة على التمييز بين الحقّ والباطل.

(١) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٥٤.
(٢) أُنظر: المطهّري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج٣، ص١٦٨.
(٣) أُنظر: المصباح اليزدي، محمد تقي، بارقة من سماء كربلاء: ص٢٧٨ـ ٢٨١.

إنّ هـذا السـلوك الإصلاحـي بقيـادة الإمـام عليه السلام أصبـح نموذجاً رائعـاً تقتدي بـه الأجيال الإسـلامية اللاحقـة، وصار عاملاً ومحرّكاً في سـبيل الدفـاع عن الدين، وإصلاح المجتمعات، ومقاومة الظالمين، وهذا من سُنن الهداية الإلهية التي يُجريها الله ما دامت السـماوات والأرض. ومن هنا؛ كان دور الإمامة في قيادة معركة الإصلاح مندمجـاً مـع دور النبوّة، لا ينتهي بانتهاء النبي صلى الله عليه وآله، بل يسـتمرّ بعـده ما دامت المعركة قائمة[1].

وممّا يثبت هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[2]، فالإمـام الحسـين عليه السلام مـن مصاديق هذه الآيـة المباركة، فقد مكّنـه الله تعالى من القيـام بعملية الإصـلاح في مجتمعه من خلال نهضته واستشـهاده، وما زالت هـذه النهضة المباركة تفيض بالهداية على الناس، وترشدهم إلى ما فيه كمالهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

وعليـه؛ يمكن القـول بأنّ زيـارة الأربعين تمثّل إحيـاءً لتلك النهضـة العظيمة، وذلك التكليف الإلهي للإمام الحسين عليه السلام، حتى صارت من سُنن الهداية الإلهية التي تجـري في المجتمـع البشري والإنسـاني ما دامت السـماوات والأرض؛ فالله سـبحانه وتعالى عندما تقبّل هذا القربان العظيم من الإمام الحسين عليه السلام، أفاض عليه، وعلى كلّ ما يتعلّق به من قدسـيته؛ فجعل استجابة الدعاء تحت قبّته، والشفاء في تربته، وجعل زيارته تعادل ألف حجّة وعمرة[3].

ومن تلك الإفاضات الإلهية زيارة الأربعين؛ إذ أصبحت من أقدس المقدّسات، ومـن أوضح سُـنن الهداية الإلهية التي أجراها الله تعالى عـلى خلقه، وجعلها ترمز إلى

(١) أُنظر: الصدر، محمد باقر، السنن التاريخية: ص١٣٩.
(٢) الحجّ: الآية٤١.
(٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٢٢. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٣٧.

مضامين عالية في الدعوة إلى التوحيد والعدالة، وتحرير الإنسان من قيود العبودية لغير الله تعالى، لا سيّما في زماننا الذي اختلطت فيه القيم والمبادئ الدينية الراقية بانحرافات الشيطان، الذي تلبّس بلباس الدين والخير والحقّ؛ لتحقيق أهدافه وغاياته، ممّا يجعلنا غير قادرين على التمييز بين الخير والشرّ، ولا بين الحقّ والباطل، لولا لطف الله وحكمته ورحمته بعباده، فقد جعل لنا زيارة الأربعين في عصرنا الحاضر أكثر شدّة ووضوحاً من بين كلّ الأزمان السابقة، لتجسّد سُنّة الهداية الإلهية في خلقه.

إذاً؛ فزيارة الأربعين تعدّ تجسيداً لسُنّة الهداية الإلهية، وواحدة من أهمّ مصاديقها، فلا يمكن أن يتّفق هذا الجمع العظيم من الناس، وأن يتحقّق هذا الانجذاب، من دون التدبير والتدخّل الإلهي، فقد أجمع العالم اليوم بأنّ زيارة الأربعين هي أكبر تجمّع عالمي إنساني، يتكرّر ويزداد وضوحاً عاماً بعد عام، وتُسجّل فيه أروع قصص الإيثار والتضحيات، والتعايش السلمي، والتعاون الإخوي، والبرّ والكرم. كما أنّه أعظم تجمّع بشري على حُبّ الإمام الحسين عليه السلام الذي ضحّى بالغالي والنفيس من أجل الحفاظ على الإسلام، ليبقى حيّاً نابضاً إلى يومنا هذا، جميع ذلك يثبت لنا أنّ زيارة الأربعين ليست حدثاً عادياً، وإنّما هي حدث وتدبير إلهي، من أجل تحقيق سُبل الهداية الإنسانية.

والحاصل: أنّ زيارة الأربعين هي نموذج لسُنّة الهداية الإلهية التي ترتبط بالفرد تارة، وبالجماعة تارة أُخرى، وهي من السنن المُقيّدة بعمل الناس لهذه الزيارة المقدّسة، التي تعمل على زيادة الهداية والتأييد، بل الإيصال إلى المطلوب، وقد تحقّقت هذه السنّة الإلهية في زيارة الأربعين بفضل الشخصية الإخلاصية للإمام الحسين عليه السلام والنهضة الإصلاحية التي قام بها، امتثالاً للتكليف الإلهي، وخدمة للدين الإسلامي والمجتمع البشري، خدمة امتازت بالاستمرارية في الهداية الإلهية.

الخاتمة

١ـ إنّ زيارة الأربعين هي سُنّة من سُنن الهداية الإلهية التي لا تتغيّر، وهي متكرّرة الوقوع، ومتتابعة ومطّردة، وتزداد وضوحاً عاماً بعد عام، ولها أهداف إلهية، أهمّها: هداية الإنسان فرداً وجماعة إلى الكمال والقرب الإلهي، ومساعدة المؤمنين على التزوّد من الهداية، والثبات على طريق الأيمان. وقد تميّزت هذه السنّة بالشخصية الأخلاصية للإمام الحسين عليه السلام، ونهضته الإصلاحية المتمثّلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحقيق العدالة، تلك النهضة التي أدّت إلى إحداث تغيير وانقلاب في المجتمع الإسلامي بصورة خاصّة، والمجتمع الإنساني بصورة عامّة، كما أنّها تمثّل سُنّة إلهية جارية ما دامت السماوات والأرض.

٢ـ أصبحت زيارة الأربعين اليوم أعظم مؤتمر عالمي بشري، يجمع ألواناً وأجناساً مختلفة من البشر، يتكرّر في كلّ عام بصورة أشدّ وأكثر وضوحاً، فلا يمكن أن يكون هذا التجمّع الإنساني والبشري إلّا من سُنن الهداية الإلهية، وهذا من قاعدة اللطف الإلهي.

٣ـ إنّ الإمام الحسين عليه السلام ونهضته مصداق لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1].

٤ـ إنّ زيارة الأربعين استمدّت قدسيّتها من قدسية الإمام الحسين عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام استمدّ قدسيّته من الله تعالى، حتى صارت زيارته كمَن زار الله في عرشه.

٥ـ إنّ زيارة الأربعين تمثّل إحياءً وإعادة إظهارٍ لتلك النهضة العظيمة، ولذلك التكليف الإلهي للإمام الحسين عليه السلام، حتى صارت من سُنن الهداية الإلهية، التي تجري في المجتمع البشري والإنساني على مرّ العصور والأزمان.

---

(١) الحجّ: الآية ٤١.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١ـ نهج البلاغة

٢ـ أسرار زيارة الأربعين، الشيخ محمد السند، بقلم: إبراهيم حسين البغدادي، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٣٣هـ.

٣ـ الإصلاح الديني في ثورة الحسين عليه السلام، محمد شقير، دار المعارف الحكمية، لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣٧هـ.

٤ـ الاعتقادات، محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق، تحقيق: مؤسّسة الإمام الهادي عليه السلام، نشر: بيام إمام هادي، قم المقدّسة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٥هـ.

٥ـ الإلهيّات على هدى الكتاب والسنّة والعقل، جعفر السبحاني، بقلم: حسن محمد مكّي العاملي، مؤسّسة الصادق عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة السابعة، ١٤٣٢هـ.

٦ـ الإمامة ما بين الكلام الشيعي الإمامي والمعتزلي، ناهد الشماسي، دار الحكيم للنشر والتوزيع، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٤٤هـ.

٧ـ بارقة في سماء كربلاء، محمد تقي المصباح اليزدي، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥هـ.

٨ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدّسة.

٩ـ بينات من فقه القرآن (سورة الشعراء)، السيّد محمد تقي المدرسي، تحقيق: مركز العصر للثقافة والنشر، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٣٤هـ.

١٠ـ تاريخ الطبري، محمد جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

١١ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن واضح اليعقوبي، دار صادر، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٥هـ.

١٢ـ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفوي، نسخة إلكترونية.
١٣ـ تفسير الجلالين، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مروان سوار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
١٤ـ تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
١٥ـ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ١٩٩٥م.
١٦ـ التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
١٧ـ الثورة الحسينية.. خصائص ومرتكزات، السيّد علي الخامنئي الحسيني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠١م.
١٨ـ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٧هـ.
١٩ـ السنن الإلهية الاجتماعية في القرآن، أحمد مراد خاني، ترجمة: عبد الأمير الوردي، مركز المصطفى العالمي للنشر والترجمة، الطبعة الأُولى، ١٩٩٢م.
٢٠ـ السُنن الإلهية في الأُمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٣١هـ.
٢١ـ السنن التاريخية في القرآن، الشهيد محمد باقر الصدر، إعداد: محمد مهدي شمس الدين، دار إحياء التراث العربي، لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣٢هـ.
٢٢ـ عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفّر، ١٣٨٠هـ.
٢٣ـ عيون أخبار الرضا، محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق، منشورات الشريف الرضا، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٣٧٨هـ ش.
٢٤ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، تحقيق: عبد الله الكبير، دار المعارف، القاهرة.

٢٥ـ ما بعد كربلاء، محمود قانصو، مكتبة مؤمن قريش، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٢٧هـ.
٢٦ـ مجلّة المنار، رشيد رضا، الطبعة الثانية.
٢٧ـ مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، تحقيق: أحمد الحسيني، مؤسّسة التاريخ العربي، لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨هـ.
٢٨ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٧هـ.
٢٩ـ مسار الشيعة، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: مهدي نجف، مطبعة مهر، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ.
٣٠ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠هـ.
٣١ـ مفاهيم القرآن (العدل والإمامة)، جعفر السبحاني.
٣٢ـ مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد الراغب الإصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الشامية، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ.
٣٣ـ الملحمة الحسينية، الشهيد مرتضى المطهّري، تعريب: محمد صادق الحسيني، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٩م.
٣٤ـ موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنّة والتاريخ، محمد الري شهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، نشر: دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٣١هـ.
٣٧ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٣٧ـ نهضة عاشوراء، السيّد روح الله الخميني، دار الوسيلة، بيروت، ١٩٩٦م.

٣٨ـ النهضة الحسينية، السيّد علي الحسيني الفرحي، المجمع العالمي لأهل البيت، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٢٧هـ.
٣٩ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤٢٩هـ.

المواقع الإلكترونية

١ـ الأربعينية فرصة لإظهار قوّة انعكاسات القضية الحسينية في مواجهة الظالمين، مهند الموسوي، موقع صحافة العرب.
٢ـ الأُطر السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في زيارة الأربعينية الحسينية، حسن خاك رند، موقع المعارف الحكمية.
٣ـ زيارة الأربعين دلالاتها وقيمها، حسين الزيادة، موقع الزمان، ٢٠٢٢م.

معايير قبول نصوص زيارات الإمام الحسين عليه السلام
زيارة الأربعين نموذجاً

د. السيّد زين العابدين المقدّس الغريفي

كلّية الفقه ـ جامعة الكوفة/ العراق

The Criteria for Accepting the Ziyara Texts of Imam al-Husayn (PBUH)

– The Ziyara of Arbaeen as a Sample

Dr. Sayyid Zain al-Abideen al-Muqaddas al-Ghurayfi

Faculty of Jurisprudence - University of Kufa, Iraq

ملخّص البحث

حظيت نصوص الزيارات ـ ولا سيّما زيارات الإمام الحسين عليه السلام ـ بمكانة خاصّة واهتمام كبير عند الإمامية؛ إذ صُنّفت في ذلك كتب عدّة، جمعت بين طيّاتها الزيارات المأثورة والمخترعة، ولذا فإنّ الباحث قد حاول أن يُبيّن المعايير العلمية التي يمكن من خلالها الحكم بصحّة الزيارات ـ بقسميها: المأثورة، والمخترعة ـ وبيان مشروعية قراءتها، مع بيان أحكام بعض الفروع والجزئيّات في رجحان قراءة المأثورة عند تزاحمها مع المخترعة.

وقد ثبت استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام في أيّام مخصوصة وأوقات محدّدة، كليلة النصف من شعبان، والعاشر من المحرّم الحرام، وغيرهما، ولعلّ من أبرزها زيارة الأربعين؛ لما حازت عليه من اهتمام بالغ لدى عموم الشيعة، من العلماء والعوامّ، فصارت عامل قوّة للمذهب الشيعي وأتباعه، ولذا حاول الأعداء زرع الشبهات، وبثّ التشكيكات في مشروعيّتها، ونسبتها إلى المعصوم عليه السلام، وصحّة سندها، ونحو ذلك.

ولأجل ذلك؛ فقد تطرّق الباحث إلى بيان جهة الصدور، مثبتاً اعتبار سندها إلى الإمام الصادق عليه السلام، سواء على مستوى الوثاقة، أم الوثوق، ليحكم بصحّة صدورها، وثبوت استحباب قراءة هذا النصّ بعينه.

الكلمات المفتاحية: معايير القبول، الزيارة بالمأثور، الزيارات المشروعة، أصالة الإباحة، زيارة الأربعين.

Abstract

The Ziyara texts, especially the Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH), have obtained a special status and a great interest among the Imamites. Indeed, numerous books have been authored in this regard compiling both narrated and invented Ziyara texts. Therefore, the researcher has attempted to explain the scientific criteria through which the authenticity of the Ziyara texts, both the narrated and the invented ones, can be judged; as well as clarify the legitimacy of reading them, along with explaining the rulings of some branches and details regarding the favorability of reading the narrated ones over the invented ones when they compete with each other.

The recommendation of visiting Imam al-Husayn (PBUH) has been established on specific days and times, such as the night of the half of Shaaban, the 10th day of the sacred month of Muharram, and others. Perhaps the most prominent is the Ziyara of Arbaeen since it received significant interest from most Shia scholars and laypeople. Consequently, it has become a strength factor for the Shia sect and its followers. Therefore, the enemies have tried to spread allegations and doubts about its legitimacy, its attribution to the Infallible (PBUH), the authenticity of its chain of transmission, and others.

For this reason, the researcher has addressed the issue of clarifying the source of issuance by proving the validity of its chain of transmission to Imam al-Sadiq (PBUH), whether at the level of trustworthiness or reliability, to establish the authenticity of its issuance and the recommendation of reading this text in particular.

Keywords: acceptance criteria, narrated Ziyara, legislated Ziyara, legality being the origin, the Ziyara of Arbaeen.

مقدّمة

لا شكّ أنّ نصوص الزيارات الشريفة تحظى بأهمّية خاصّة عند الشيعة؛ لكونها الوسيلة التي تمكّن الإنسان الشيعي من مخاطبة إمامه والتواصل معه، فضلاً عن تضمّنها لقضايا ومعارف تُسهم في معرفة الإمام المعصوم، وتقوّي الارتباط به، كما أنّها تتضمّن أبعاداً عقدية وتشريعية وأخلاقية، بل وتدخل في الأبحاث التاريخية والكلامية.

ولعلّ أبرز آثارها هو البعد الروحي والنفسي، الذي يوفر للزائر الاطمئنان والسكون، إذ يجرّده من أدران المادّة، ومشاكل المجتمع، وهذا من أهمّ الغايات التي يسعى الإنسان عموماً لتحصيلها والوصول إليها؛ ولذا فإنّ الزيارة تعدّ من المقرِّبات إلى الله تعالى، ومن خلالها يمكن تحصيل التكامل الروحي والإيماني، بحيث يزداد الفرد إيماناً وارتباطاً بالله تعالى، وتُعدّ عاملاً مساعداً على عودة الفاسق إلى دينه، والفاسد عن غيّه.

وقد صارت نصوص الزيارات، وزيارة الأضرحة المقدّسة ـ ولاسيّما المليونية منها ـ شعاراً تُحدّد به الهوية الشيعية وتؤصّل به البنية الفكرية والعقدية، لتكشف عن انتماء الفرد وتوجّهاته، وتميّزه عن غيره؛ ولذا تُعدّ من عناصر القوّة التي تُعزّز الانتماء لدى أفراد المذهب، وترهب أعداءه، لتشكّل عامل صدٍّ ضدّ كلّ مَن يحاول الاعتداء على المجتمع الشيعي ومقدّساته.

ولأجل ذلك؛ لا بُدّ من دراسة جادّة للزيارات الشريفة من أبعاد مختلفة، وحيثيّات متنوّعة، تُسهم في إعطاء صورة كاملة عن الواقع، من دون تحريف أو تزييف، لتحصّن بذلك العقيدة الشيعية من التهم الباطلة، التي كانت وما زالت تُرمى بها.

ولعلّ من أبرز الشبهات التي تحوم حول نصوص الزيارات الشريفة هو التشكيك في جهة صدورها؛ إذ يُتّهم أغلب رواتها بالضعف والجهالة، بل نجد بعضهم يترقّى ليصفها بالوضع والاختراع، ليسلب عنها صفة الحجّية من جهة، ويجعلها من مصاديق البدعة المحرّمة من جهة أُخرى، حتى شمل ذلك الزيارات المشهورة، كزيارة الأربعين.

والجواب عن ذلك يقع في مبحثين: أحدهما في الجانب النظري، والآخر في الجانب التطبيقي المرتبط بإسناد زيارة الأربعين، وقرائن صحّتها.

المبحث الأوّل: معايير قبول الزيارات الشريفة

من أهمّ الأسئلة التي تُطرح في الأروقة العلمية بين الحين والآخر: هل تحتاج الزيارات الشريفة للمعصومين عليهم السلام إلى إثبات صحّة صدورها؟ سواء عن طريق البحث السندي، أم غيره من وسائل الإثبات المعهودة عند المحدِّثين والأُصوليّين، لا سيّما إذا علمنا أنّ جُلّ الزيارات هي من مصاديق أخبار الآحاد التي لها ضوابط وآليات محدّدة من حيث القبول والردّ؛ لكونها ظنّية الصدور، والأصل في الظنّ ـ بجميع أصنافه ـ عدم الحجّية إلّا ما استُثني، وهو الأخبار التي وصلت عن طريق الثقات بأسانيد متّصلة، أو أفادت الوثوق والاطمئنان بصدورها.

وهذا من الأبحاث المهمّة التي خاض فيها الجهلة والمرجفون بُغية إسقاط التراث الكبير من الزيارات الشريفة؛ بحجّة عدم الاعتبار السندي، دون مراعاة لما يحفّ هذه النصوص من قرائن وشواهد تشهد بصحّتها، فضلاً عن الاعتبار السندي لكثير منها، كزيارات: الجامعة، وأمين الله، وعاشوراء، والأربعين، وغيرها.

وقبل الولوج في الإجابة لا بُدّ من معرفة ماهية الزيارة؛ لما لها من مدخلية كبيرة في حلّ كثير من الإشكالات؛ فمعرفة الشيء فرع تصوّره.

الزيارة لغة

الزيـارة لغةً: مشـتقّة من المصـدر (زوَر)، ويـراد منه: الميل والرغبـة، فإذا زرت شـخصاً فذلك يعني: أنّك عدلت عن غيره إليه، يقول أحمد بن فارس: «**الزاء والواو والـراء أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على المَيْل والعدول... ومـن الباب: الزائر؛ لأنّه إذا زارَك فقد عدَلَ عن غيرك، ثم يُحمل على هذا، فيقال لرئيس القوم وصاحِب أمرهم: الزُّوَيْر؛ وذلك أنّهم يعدِلون عن كلِّ أحدٍ إليه**»[1].

وقيـل: هي مشـتقّة من (الزَور): «**أعلى الصدر، وزرت فلانـاً: تلقّيته بزوري، أو: قصـدت زوره، نحـو: وجهته. ورجل زائر... والـزور: ميل في الـزور، والأزور: المائل الـزور، وقولـه: ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ﴾**[2]، **أي: تميـل**»[3]، فيكـون المعنـى: قصـد المزور ومواجهته بصدرك.

وقـد اسـتُعمل في القرآن الكريـم في قوله تعـالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾[4]، كناية عن الموت والدفن بالمقابر، ولعلّ اختيار لفظ (الزيارة) يرشـد إلى كونها حالة مؤقّتة، فهي إتيان موضع من غير إقامة فيه، وقيل: إنّ المقصود هو: «**حتى ذكرتم الأموات وإحصاءهم**»[5].

الزيارة اصطلاحاً

لا تختلـف الزيـارة اصطلاحاً عن معناهـا اللغوي والعرفي، فـيراد منها: القصد بهـدف الإكرام والتعظيم والاسـتئناس، ولـذا عرّفها الفيّومي: «**قصـد المزور؛ إكراماً**

(١) القزويني، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص٣٦.
(٢) الكهف: الآية ١٧.
(٣) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ص ٢١٧.
(٤) التكاثر: الآيتان ١ـ٢.
(٥) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ١٠، ص ٤٠٢.

لـه، واستئناساً به»[1]. وقال القـاضي عياض: «**زيارة القبور: قصدهـا للترحّم عليهم، والاعتبـار بهم**»[2]. وعادة ما تتضمّن السـلام على المزور، وذكر ما يليق بشـأنه وحاله ومنزلته من أوصاف.

وهـذا القصد قد يكون مادّياً، فيحضر عند المزور بجسـده، وقـد يكون معنوياً، أي يتوجّـه إليه بروحـه، وقد يجمع بين الأمرين، وهو الأتـمّ والأفضل؛ إذ لا أثر من حضور الجسد دون توجّه الروح.

وقـد تُطلـق الزيارة عـلى نصوص الزيـارة التي تتضمّن السـلام عـلى المعصوم، والإقرار له بالولاية، وذكر بعض مقاماته وأوصافه، وهو مجاز من باب ذكر السـبب وإرادة المسبِّب.

ولا إشـكال في أصـل مشروعيـة زيـارة القبور عمومـاً عند جميع المسـلمين، بل تُستحبّ زيارة الأولياء والصالحين، ويشتدّ الاستحباب في زيارة قبر النبي وأهل بيته (صلـوات الله عليهـم أجمعين)؛ لورود نصوص خاصّة تدلّ عـلى ذلك[3]، فضلاً عن سيرة المسلمين التي تثبت الاستحباب.

بـل إنّ الزيارة من لـوازم المحبّة وحقوق الولاية؛ فإنّ المحبّ لا يجفو حبيبه، ولا

---

(١) الفيّومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ج١، ص٢٦٠.

(٢) البعلي الحنبلي، محمد بن أبي الفتح، المطلع على أبواب المقنع: ص ١٩.

(٣) وهي كثيرة، منها: ما رواه الطوسي بسنده «عن أبي عامر الساجي واعظ أهل الحجاز، قال: أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، فقلت له: يا بن رسول الله، ما لمَن زار قبره ـ يعني: أمير المؤمنين ـ وعَمَر تربته؟ قال: يا أبا عامر، حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه الحسين بن علي، عن علي عليه السلام: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال له: والله لتقتلنّ بأرض العراق، وتدفن بها. قلت: يا رسول الله، ما لمَن زار قبورنا وعَمَرها وتعاهدها؟ فقال لي: يا أبا الحسن، إنّ الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة، وعرصة من عرصاتها، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحنّ إليكم، وتحتمل المذّلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها؛ تقرّباً منهم إلى الله، مودّة منهم لرسوله، أُولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي». الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٢٢.

ينقطع عنه، بل يتحيّن كلّ فرصةٍ لشدّ الرحال لأجل لقائه، والتزوّد منه، ولو عن طريق تجديد العزم والنية؛ ليتحقّق المطلوب، إمّا بالفعل وإمّا بالقوّة.

وقد رويت أخبار كثيرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام تذّم التهاون والتكاسل عن زيارة الحسين عليه السلام، لتصف المتهاون بمنتقص الإيمان، منها: ما رواه الكليني بسنده عن حنّان، عن أبيه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**يا سدير، تزور قبر الحسين عليه السلام في كلّ يوم؟ قلت: جُعلت فداك، لا. قال: فما أجفاكم؟! قال: فتزورونه في كلّ جمعة؟ قلت: لا. قال: فتزورونه في كلّ شهر؟ قلت: لا. قال: فتزورونه في كلّ سنة؟ قلت: قد يكون ذلك. قال: يا سدير، ما أجفاكم للحسين عليه السلام؟! أما علمت أنّ لله عزّ وجلّ ألفي ألف ملك شعث غبر، يبكون ويزورون لا يفترون؟! وما عليك يا سدير أن تزور قبر الحسين عليه السلام في كلّ جمعة خمس مرّات، وفي كلّ يوم مرّة؟ قلت: جُعلت فداك، إنّ بيننا وبينه فراسخ كثيرة. فقال لي: اصعد فوق سطحك، ثمّ تلتفت يمنة ويسرة، ثمّ ترفع رأسك إلى السماء، ثم انحو نحو القبر وتقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته...**»[1].

وما رواه ابن قولويه بسنده عن سليمان بن خالد، قال: «**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عجباً لأقوام يزعمون أنّهم شيعة لنا، ويقال: إنّ أحدهم يمرّ به دهره ولا يأتي قبر الحسين عليه السلام، جفاءً منه وتهاوناً وعجزاً وكسلاً، أما والله، لو يعلم ما فيه من الفضل ما تهاون ولا كسل. قلت: جُعلت فداك، وما فيه من الفضل؟ قال: فضل وخير كثير، أمّا أوّل ما يصيبه أن يغفر ما مضى من ذنوبه، ويقال له: استأنف العمل**»[2].

وما رواه الطوسي بسنده عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: «**جُعلت فداك، ما تقول فيمَن ترك زيارة الحسين عليه السلام وهو يقدر على ذلك؟ قال: إنّه قد عقّ رسول الله صلى الله عليه وآله،**

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٨٩، باب النوادر، ح٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤٨٨ ــ ٤٨٩، الباب (٩٧)، ح٨.

وعقّنا، واستخفّ بأمر هو له، ومَن زاره كان الله له من وراء حوائجه، وكفى ما أهمّه من أمر دنياه، وإنّه يجلب الرزق على العبد، ويخلف عليه ما ينفق، ويغفر له ذنوب خمسين سنة، ويرجع إلى أهله وما عليه وزر ولا خطيئة إلّا وقد مُحيت من صحيفته...»[1].

أقسام الزيارة

للزيارة أقسام متعدّدة من حيثيّات مختلفة، فتارة تُلحظ بحسب الأحكام التكليفية الخمسة، فتصنّف إلى: واجبة، كمَن نذر زيارة الحسين عليه السلام، ومندوبة، وغيرهما. وأُخرى بحسب الزمان، فتصنّف إلى: مطلقة، ومخصوصة. بل وبحسب الوقت، فتصنّف إلى: نهارية، وليلية، وغير ذلك، بيد أنّ الذي يهمّنا هو حيثية النسبة إلى المعصوم عليه السلام من عدمها، وهي مورد بحثنا، فهي على قسمين:

١ـ **مأثورة**: وهي التي أنشأ المعصوم عليه السلام نصوصها، ونُسبت إليه في المصادر المعتبرة.

٢ـ **مخترعة**: وهي التي أنشأها الزائر من دون نسبتها إلى المعصوم عليه السلام.

ولكلٍّ من هذين القسمين بحثه الخاصّ من حيث أصل المشروعية، والآثار المترتّبة عليه؛ لتوقّف القسم الأوّل على البحث عن صحّة الصدور دون الثاني؛ إذ لا معنى للبحث السندي عن الثاني بعد وضوح عدم صدوره عن المعصوم عليه السلام. ولذا يقع الكلام في جهتين:

الجهة الأُولى: مشروعية الاختراع في الزيارة

لما كان الاختراع فعلاً من أفعال المكلّفين؛ فإنّه لا شكّ يخضع لأحد الأحكام التكليفية الخمسة؛ إذ ما من فعل إلّا وجُعل له حكم في الشريعة.

وقد ورد للزيارة عند الإمامية أحكام خاصّة تُبيّن هيئتها وآدابها وشروطها،

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤٥، باب فضل زيارته عليه السلام، ح١١.

بـل تُحـدّد نوع الخطاب بنصوص معيّنـة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، كـما في زيارة النبي والأئمّـة وبعـض أبنائهم (صلـوات الله عليهم أجمعـين)، ولذا تعبّد الشـيعة بها. بيد أنّ بعـض المعصومـين، كالصدّيقـة الطاهـرة فاطمة الزهـراء عليها السلام، وبعـض أولادها وحفدتهـا، لم تـرد نصوص بعينها لزيارتهـم، فهل يمكن للزائر إنشـاء نصّ بعينه على نسـق نصوص الزيـارة المعهودة؟ بل هل يمكـن الاختراع في زيـارة المعصومين عليهم السلام دون التعبّد بالمأثور؟

لا شـكّ في أفضلية العمل بالمأثـور، وهذا محلّ اتّفاق عند الفقهـاء، إلّا أنّه يظهر من بعضهم إباحة الاختراع، كالشـهيد الأوّل ضمن آداب الزيارة، قال: «**وخامسها: الزيـارة بالمأثور، ويكفي السـلام والحضـور**»[1]. ووافقـه المحدِّث البحـراني[2]، وهذا موافق للصناعة؛ إذ لا مانع من الفعل في نفسه، بل صرّح بعضهم، كالسيّد الجزائري قائلاً: «**ويكفي في صدق الزيارة القريبة وترتّب ثوابها: الحضور والتسـليم وإن كان بغير المأثور**»[3].

ويمكن أن يُدّعى ارتكاز الإباحة عندهم، وتسـالمهم عليها، ولوضوح المسألة لم يتطـرّق إليها كثير منهم، ويشـهد لذلك قيام بعض الفقهـاء والمحدِّثين باختراع عدد من الزيارات، ومن أبرزها: زيارة الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، التي أنشأها الصـدوق في زمانـه؛ لعدم عثـوره على زيارة منصوصـة، فيقول: «**لم أجـد في الأخبار شـيئاً موظّفاً محدوداً لزيارة الصدّيقة عليها السلام، فرضيـت لمَن نظر في كتابي هذا من زيارتها ما رضيت لنفسي...**»[4].

ونحـو ذلك زيارة السـيّد عبد العظيم الحسـني، على الرغـم من وجود نصوص

(١) الشهيد الأوّل، محمد بن مكّي، الدروس الشرعية: ص٢٣.
(٢) البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج١٧، ص٤٢١.
(٣) الجزائري، عبد الله، التحفة السنية: ص١٤٠.
(٤) الصدوق، محمد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٥٧٤.

تحثّ على زيارته[1]، وغيرها من الزيارات، أمثال زيارة السيّدات الطاهرات: زينب، وسُكينة، ورقية، وأُمّ البنين (عليهنّ السلام)، بل وكثير من أولاد الأئمّة وذراريهم من السادة الميامين عليهم السلام، أمثال: القاسم بن الكاظم عليهما السلام، والسيّد محمد المعروف بـ(بسبع الدجيل)، بل واختراع بعض الزيارات للعلماء والفقهاء.

ويمكن الاستدلال على الجواز بمجموعة من الأدلّة، أهمّها:

١ـ أصالة الإباحة

حيث يبنى على الإباحة والجواز عند الشكّ في مورد الشبهة الحكمية التحريمية، فإذا علمنا بعدم وجود دليل أو أمارة تمنع من الاختراع، فهو بنفسه دليل على الإباحة؛ ولذا فإنّ الأصل في اختراع الزيارات هو الحِلّية؛ لعدم ورود ما يمنع منه.

٢ـ الأخبار الخاصّة

منها: ما رواه ابن قولويه القمّي بسنده: «**عن الحسن بن عطية، عن أبي عبد الله** عليه السلام، **قال: تقول عند قبر الحسين** عليه السلام **ما أحببت**»[2].

ومنها: ما رواه أيضاً بسنده: «**عن الحسن بن عطية، عن أبي عبد الله** عليه السلام، **قال: إذا دخلت الحائر فقل: اللّهمّ إنّ هذا مقام أكرمتني به، وشرّفتني به... ثمّ تقبل إلى علي ابنه فتقول ما أحببت**»[3].

وظاهرها الاكتفاء بالسلام وإلقاء التحية بأي نحو كان، دون التعبّد بنصّ مخصوص، لا سيّما إذا علمنا بكون الزيارة من الأُمور المندوبة، التي لها أشكال وصور مختلفة ومتنوّعة من حيث الكمّ والنوع، فلو أراد الشارع نوعاً خاصّاً وطريقة محدّدة لبيّنها، وأرشد إليها، فعدم الحصر كاشف عن الجواز.

(١) القمّي، عبّاس، مفاتيح الجنان: ص٦٥٣.. فقد قال: «لم يذكر له العلماء زيارة خاصّة، وإنّما قال فخر المحقّقين جمال الدين في مزاره: إنّ المناسب أن يزار هكذا...».

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٤١٠.

(٣) المصدر السابق: ص٣٥٨ ـ ٣٦٠، باب ٧٩، ح١.

ويمكن مناقشتها: بأن التخيير فيها راجع إلى تعدّد النصوص المأثورة عن المعصوم الواصلة إلى الراوي، وليس مطلقاً ليشمل مورد الاختراع، نحو ما ورد في زيارات الحسين عليه السلام من نصوص كثيرة، تختلف من حيث استعمال الألفاظ والإيجاز والإطناب.

ويردّه: أنّ ذلك خلاف الظاهر، وإطلاق النصّ شامل للمأثور والمخترع، فيمكن الزائر أن يكتفي بالسلام، أو يطيل في الخطاب، سواء بقراءة ما ورد، أم بإنشاء خطاب جديد بما يقتضي الحال.

٣ـ سيرة المتشرّعة

فقد جرت سيرتهم على فعل ذلك، ولو كمقدّمة لقراءة النصوص الواردة، فيخاطب المُزار بما هو أهله، وبحسب المقام دون التقيّد بالمأثور، وهذه السيرة قديمة، ولم يعهد انقطاعها عن عصر النصّ، بل توجد شواهد على اختراع الزيارات آنذاك دون صدور ردع من المعصوم عليه السلام، ومن شواهد ذلك:

أ) زيارة السيّد محمّد بن الحنفية رضي الله عنه لأخيه الحسن عليه السلام؛ فقد روى ابن قولويه بسنده: «**عن عمر بن يزيد بياع السابري، رفعه، قال: كان محمد بن علي بن الحنفية يأتي قبر الحسن بن علي صلى الله عليه وآله، فيقول: السلام عليك يا بقية المؤمنين، وابن أوّل المسلمين، وكيف لا تكون كذلك وأنت سليل الهدى، وحليف التقوى، وخامس أهل الكساء، غذّتك يد الرحمة، وربّيت في حجر الإسلام، ورضعت من ثدي الإيمان، فطبت حيّاً، وطبت ميّتاً، غير أنّ الأنفس غير طيّبة بفراقك، ولا شاكّة في حياتك، يرحمك الله. ثمّ التفت إلى الحسين عليه السلام، فقال: يا أبا عبد الله الحسين، فعلى أبي محمد السلام**»[1].

ب) زيارة جابر بن عبد الله الأنصاري لقبر الحسين عليه السلام بعد استشهاده؛ إذ روى الطبري بسنده: «**عن عطية العوفي، قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام... حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه. فألمسته، فخرّ**

(١) المصدر السابق: ص١١٨، باب ١٥، ح١.

على القبر مغشـياً عليه، فرششـت عليه شـيئاً من الماء، فأفاق، ثمّ قال: يا حسـين ـ ثلاثاً ـ ثـمّ قـال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثمّ قال: وأنّى لك بالجواب، وقد شـحطت أوداجك على أثباجك، وفُرّق بين بدنك ورأسـك، فأشـهد أنّـك ابن النبيّين، وابن سـيّد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيّد النقباء، وابن فاطمة سـيّدة النسـاء، وما لك لا تكون هكذا وقد غذّتك كفّ سـيّد المرسـلين، وربيت في حجر المتّقـين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفُطمت بالإسـلام. فطبت حيّـاً، وطبت ميّتاً، غير أنّ قلـوب المؤمنـين غير طيّبة لفراقك، ولا شـاكّة في الخيرة لك، فعليك سـلام الله ورضوانه، وأشهد أنّك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثـمّ جال ببـصره حول القبر، وقال: السـلام عليكم أيّها الأرواح التـي حلّت بفناء الحسـين، وأناخت برحله، أشهد أنّكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتـم عـن المنكر، وجاهدتـم الملحدين، وعبدتـم الله حتى أتاكم اليقـين، والذي بعث محمداً بالحقّ، لقد شاركناكم في ما دخلتم فيه»[1].

وفعـل الصحـابي وإن لم يكـن حجّـة بنفسـه ـ كما هو محقّـق في علـم الأُصول ـ فإنّه بضمّه إلى غيره يكشـف عن وجود سـيرة، بل ارتكاز عند المتشرّعة بجواز ذلك ومشروعيّته.

وإن أبيت ذلك، فلا أقلّ من صدور بعض هذه الزيارات المخترعة أمام المعصوم عليه السلام وسكوته عنها كاشف عن إمضائه وقبوله، ممّا يدلّ على مشروعية الفعل بنفسه.

الرابع: الأولوية

وبما أنّه قد ثبتت مشروعية اختراع الدعاء ـ وإن كان مكروهاً ومرجوحاً[2] ـ بل

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٥، ص١٣٠ـ ١٣١. وأُنظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن أبي القاسم، بشارة المصطفى: ص١٢٥ـ ١٢٦.

(٢) وقد يحرم إذا نسب الدعاء المخترَع إلى الشارع وأسنده إليه؛ لاستلزامه البدعة في الدين، ولذا شدّد فقهاؤنا على ضرورة عدم قصد الورود في مثل هذه الموارد؛ للخروج من اللوازم الباطلة.

صحّة الصلاة به في مواطن القنوت والسجود، ولذا يقول النراقي: «**وأمّا الدعاء بغير المأثور بخصوصه، وطلب الحاجات، وإن جاز في سجدة الصلاة بالإجماع، والأصل، والنصوص...**»[1].

ومن تلك النصوص: الإطلاقات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[3].

وما ورد في السُنّة: نحو ما رواه الكليني بسنده: «**عن عبد الله بن هلال، قال: شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام تفرّق أموالنا، وما دخل علينا، فقال: عليك بالدعاء وأنت ساجد؛ فإنّ أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد. قال: قلت: فأدعو في الفريضة وأُسمّي حاجتي؟ فقال: نعم، قد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فدعا على قوم بأسمائهم، وأسماء آبائهم، وفعله علي عليه السلام بعده**»[4].

فإذا ثبتت مشروعية اختراع الدعاء، وهو عبادة يُخاطب فيها الخالق، فمن الأولى مشروعية اختراع الزيارة التي يُخاطب فيها المخلوق.

شرائط صحّة الاختراع في الزيارات

ولأجل الحكم بصحّة قراءة الزيارة المخترعة لا بُدّ من توافر شروط ثلاثة:

١ـ عدم نسبتها إلى المعصوم، فتقرأ لا بقصد الورود؛ لاستلزامه الكذب، وهو قبيح عقلاً، ومحرّم شرعاً، ولا يصحّ التعبّد بالكذب.

٢ـ عدم اشتمالها على ما ينافي العقيدة السليمة وأحكام الشريعة، أو ما ثبت

(١) النراقي، أحمد بن محمد، مستند الشيعة: ج٥، ص٢٩٣.
(٢) غافر: الآية٦٠.
(٣) البقرة: الآية١٨٦.
(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص٣٢٤، باب السجود والتسبيح والدعاء فيه، ح١١.

بالضرورة، أو بحجّة معتبرة.

٣ـ اشتمالها على ما يتناسب مع مقام المزور من فضائل وخصائص ومقامات.

ومع توافر هذه الشروط، لا يوجد ما يمنع من اختراع الزيارة، بل إذا لم يستحضر الزائر نصّاً مأثوراً عن أهل البيت عليهم السلام يستحبّ له السلام على المعصوم، وذكر ما يقتضي، المقام كلٌّ بحسبه.

التزاحم بين الزيارات المأثورة والمخترعة

من الثابت إجمالاً وجود زيارات مأثورة وأُخرى مخترعة في تراثنا الواصل، وهي تارة تكون معلومة النسبة، فتأخذ حكمها، وأُخرى تكون مجهولة، فإذا علمنا بنسبة الزيارة، ودار الأمر بين الزيارة المأثورة والمخترعة ـ بعد ثبوت مشروعية الاختراع في رتبة سابقة ـ فإنّه لا شكّ في رجحان الرجوع إلى النصّ والأثر؛ لأنّ الإمام أدرى بمقامات آبائه وأجداده وفضائلهم وخصائصهم، فينزّل المخاطب بما يستحقّ، وبما هو أهله، فلا مقايسة بينهما؛ ولذا استقرّت سيرة المتشرّعة على ذلك؛ فهم يتعقّبون النصّ فيها، ويسألون عن كيفيّتها وآدابها؛ بغية الوصول إلى أفضلها وأكملها، ومن ذلك:

ما رواه الكليني بسنده: «**عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: كيف السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره؟ فقال: قل: السلام على رسول الله...**»[1].

وما رواه ابن قولويه بسنده: «**عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: كيف السلام على الحسين بن علي صلى الله عليه وآله؟ قال: تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله...**»[2].

بل تولّد ـ نتيجة لذلك ـ ارتكاز لديهم بأولوية ذلك وأفضليّته على الإطلاق، ويظهر ذلك من جواب الراوي للمعصوم عليه السلام؛ إذ روى ابن قولويه بسنده: «**عن**

(١) المصدر السابق: ج٤، ص٥٥٢، باب دخول المدينة وزيارة النبي، ح٣.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٩٢، باب ٧٩، ح٢١.

إبراهيم بن أبي البلاد، قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: كيف تقول في التسليم على النبي صلى الله عليه وآله؟ قلت: الذي نعرفه ورويناه. قال: أوَلا أُعلّمك ما هو أفضل من هذا؟ قلت: نعم، جُعلت فداك.

فكتب لي وأنا قاعد عنده بخطّه، وقرأه عليّ: إذا وقفت على قبره صلى الله عليه وآله فقل: أشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّك محمّد بن عبد الله...»[1]؛ فقوله: (الذي نعرفه ورويناه) يدلّ على ما كان ثابتاً في أذهانهم آنذاك، ولمفروغية ذلك انتقل المعصوم عليه السلام ليبيّن له جهة المفاضلة بين الزيارات المأثورة.

وهذا نظير ما ورد في الأدعية؛ إذ الثابت مشروعية مطلق الدعاء ـ كما تقدّم ـ للعمومات والإطلاقات القرآنية، إلّا أنّه ورد الزجر عن الاختراع فيه، فيحمل على الكراهة، نحو ما رواه الكليني بسنده: «**عن عبد الرحيم القصير، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جُعلت فداك، إنّي اخترعت دعاءً. قال: دعني من اختراعك، إذا نزل بك أمر فافزع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وصلِّ ركعتين تهديهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله...**»[2].

وأمّا إذا لم نعلم النسبة، فيدور حال الزيارة بين كونها مأثورة أو مخترعة، كزيارة الناحية المقدّسة، فلا إشكال في قراءتها بنفسها دون قصد الورود، ويحصل الزائر على ثواب الزيارة، كما يترتّب أثرها إن شاء الله تعالى.

الجهة الثانية: وسائل الإثبات للزيارات المأثورة

من الواضح أنّ الزيارات المأثورة عن المعصومين عليهم السلام، والمنسوبة إليهم، ليست على درجة واحدة من حيث الصحّة والاعتبار، فهي إمّا أن تكون معتبرة سنداً، كالزيارة الجامعة الكبيرة، وزيارة عاشوراء. وإمّا غير معتبرة؛ ولذا لا بُدّ من توضيح ذلك في نقاط ثلاث:

---

(١) المصدر السابق: ص٥٣ ـ ٥٤، باب ٣، ح٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص٤٧٦، باب صلاة الحوائج، ح١.

النقطة الأُولى: مسالك الفقهاء في قبول الأخبار

تُعدّ معرفة هذه المسالك من الأُمور المهمّة؛ إذ نجد الفقهاء يختلفون بشأن بعض الزيارات، فيصفها بعضهم بالصحيحة أو المعتبرة، في حين يصفها آخر بالضعف، وهذا راجع في الواقع لاختلافهم في مباني قبول الخبر؛ إذ هم على مسلكين أساسيّين في قبول الأخبار:

١ ـ **مسلك الوثاقة**: ما كان النظر فيه إلى الراوي؛ إذ يُعتمد الراوي محوراً في الحجّية وصحّة الصدور، فيرجع إلى كلمات الأصحاب، وسائر أمارات التوثيق والتضعيف، لتثبيت صحّة صدور الرواية من خلال معرفة وثاقة الراوي، أو عدمها من خلال ضعفه، وهو ما تبنّاه بعض الأعلام، كالسيّد الخوئي؛ فقد قال: «**إنّ الملاك في حجّية أخبار الآحاد هو وثاقة رواتها، والمناط في عدم حجّيتها هو عدم وثاقتهم، ولأجل ذلك نُهي عن الرجوع إلى مَن لا وثاقة له**»[١]. وتابعه على ذلك بعض تلامذته.

٢ ـ **مسلك الوثوق**: وهو ما كانت الرواية فيه هي محور البحث في إثبات الصدور؛ إذ يُعتمد على تجميع القرائن والشواهد التي تدلّ على صدور الرواية عن المعصوم، كالشهرة بين المتقدّمين، والإجماع، وغيرهما، ممّا يوجب الاطمئنان إلى الصحّة، وهو ما ذهب إليه المشهور من المحقّقين[٢].

والنسبة بين المسلكين هي العموم والخصوص من وجه؛ إذ إنّه ليس كلّ وثوق وثاقة؛ فوثاقة الراوي تُعدّ إحدى القرائن على صدور الحديث، وليست كلّ وثاقة وثوقاً؛ لعدم اطّراد صحّة صدور الخبر بمجرّد صحّة سنده، فلا ملازمة بين صحّة

(١) أُنظر: التوحيدي، محمد علي، مصباح الفقاهة في المعاملات (تقرير لبحث المحقّق الخوئي): ج١، ص٧.

(٢) أُنظر: الكاظمي، محمد علي، فوائد الأُصول (تقرير لبحث المحقّق النائيني): ج٣، ص١٨٩ ـ ١٩١. البروجردي، محمد تقي، نهاية الأفكار (تقرير لأبحاث المحقّق العراقي): ج٣، ص١٣٥. الحكيم، محسن، حقائق الأُصول: ج٢، ص١٣٣. الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى: ج١، ص٣٧٥. وج٩، ص٥٧١. البجنوردي، محمد حسن، القواعد الفقهية: ج٣، ص٣٢٧.

العدد الحادي والأربعون ـ السنة الحادية عشرة ـ ١٤٤٤هـ ـ ٢٠٢٣م

السند وصحّة المتن دائماً ما لم يورث الوثوق والاطمئنان[1].

فوثاقة الراوي على المسلك الأوّل لها موضوعية في الحجّية، بخلاف الثاني؛ فإنّه يعتمد على كلّ ما يفيد الاطمئنان عند العقلاء، سواء صدر الخبر من راوٍ ثقة، أم من ضعيف، وعمل به المشهور، أو دلّ الإجماع على صحّته، أو نحو ذلك من القرائن.

وعلى الأوّل يكون ضعف الراوي كافياً في ردّ الخبر، بخلاف الثاني، وتظهر الثمرة وفق المبنى الثاني في تصحيح بعض الزيارات على الرغم من ضعف سندها، وبذلك سوف ترتفع نسبة الزيارات المعتبرة وفق مبنى الوثوق بشكل أكبر ممّا عليه مسلك الوثاقة، فإذا توافرت شروط الحجّية في الزيارة المأثورة حُكِم بثبوتها تعبّداً.

ويترتّب على صحّة الصدور آثار مهمّة، منها:

١ـ مشروعية التعبّد بقراءتها، وترتّب الثواب عليها.

٢ـ إمكان الاستناد إليها في البحث الفقهي، والعمل بمؤدّاها فيما لو تضمّنت حُكماً شرعياً؛ لكونها حجّة في جانب التنجيز والتعذير.

٣ـ إمكان الاستناد إليها في البحث الكلامي والتاريخي على بعض المباني ـ كمسلك العلمية للمحقّق النائيني ـ في حين يستند إليها كشواهد ومؤيّدات على مبانٍ أُخرى.

٤ـ جواز إسنادها إلى المعصوم عليه السلام ونسبتها إليه؛ فإنّه على الرغم من ظنّية صدورها فإنّ الشارع المقدّس قد أثبت لها الحجّية، وأنزلها منزلة العلم، فأعطاها خصائصه، ومنها جواز الإسناد، بخلاف الزيارة ضعيفة السند، فلا يصحّ إسنادها إلى المعصوم عليه السلام، بل أقصى ما يمكن هو ذكرها بصيغة التمريض: (روي)؛ تجنّباً للوقوع في محذور الكذب.

النقطة الثانية: مسالك الفقهاء في التعامل مع الزيارات الضعيفة

لا يخفى أنّ الأصل فيها هو عدم الحجّية، نظير سائر الأخبار الضعيفة؛ لكونها

(١) أُنظر: الغُريفي، أبو الحسن حميد، حاكمية الفقيه وحدود ولايته على الأُمّة: ص٧٧.

مـن أصنـاف الظنّ، وقد نهى الشـارع عن العمل به في نصوص كثـيرة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1]، وقولـه تعالى: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[3]، فضلاً عن النهي الوارد في الأخبار الشريفة.

فجميـع الأخبـار الضعيفـة ـ بما فيهـا الزيارات ـ تكون مشـمولة بهـذا الأصل؛ لعدم وجود ما يدلّ على حجّيتها؛ إذ الاسـتثناء ثبت للخبر المعتبر الموثوق دون غيره، وبالتـالي لا يشرع العمـل بالزيارة المأثورة فيما لو نُسـب اسـتحبابها إلى المعصوم عليه السلام؛ لكونه تشريعاً محرّماً.

بيـد أنّـه وقع الكلام في الأخبار المتعلّقة بالسُـنن من المسـتحبّات، كـ: الأدعية، والزيـارات والأذكار، وأعمال الأيّام، والأغسـال، ونحوها من القضايا الترخيصية، هل يُشترط فيها ما اشتُرط في القضايا الإلزامية؟

وفي الجملـة: أنّ الفقهـاء ـ مـن العامّـة والخاصّة ـ قـد تسـاهلوا في إعمال بعض شروط الصحّـة في الأدعيـة والزيارات، بـل في عموم المسـتحبّات، ولم يتكلّفوا عناء التحقيق في أسانيدها؛ لعدم ثبوت العقاب على تركها[4]، وهم على اتّجاهين:

الاتّجاه الأوّل: مَن يعتقد بثبوت قاعدة (التسامح في أدلّة السُنن)[5]، وفقاً لأخبار

---

(١) يونس: الآية٣٦.

(٢) يونس: الآية٥٩.

(٣) الإسراء: الآية٣٦.

(٤) أُنظر: الغريفي، أبو الحسن حميد، دعاء الفرج وشبهات المضلّين: ص٥١ ـ ٥٢.

(٥) يراد منها: عدم اعتبار بعض ما ذكر من شروط وضوابط للعمل بخبر الواحد في خصوص الروايات المتعلّقة بالسُنن، سواء كانت مرتبطة بالفعل والأمر، أم بالترك والمنع، كالأدعية، والزيارات، والأغسال.

أو قل: هي اعتبار الأخبار الضعيفة في موارد الأحكام الترخيصية؛ نتيجة التساهل في إعمال بعض شروط الصحّة، كالعدالة والوثاقة.

(مَن بلغ)، وهي أخبار مشهورة، وبعضها معتبر السند:

منها: ما رواه الكليني بسند صحيح: «**عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَن سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه، كان له وإن لم يكن على ما بلغه**»(١).

وما رواه أيضاً بسنده: «**عن محمّد بن مروان، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: مَن بلغه ثواب من الله على عمل، فعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب، أُوتيه وإن لم يكن الحديث كما بلغه**»(٢).

وما رواه البرقي بسنده: «**عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام: مَن بلغه عن النبي صلى الله عليه وآله شيء من الثواب، فعمله، كان له أجر ذلك وإن كان رسول الله لم يقله**»(٣).

وما رواه البرقي بسنده: «**عن محمّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَن بلغه عن النبي صلى الله عليه وآله شيء فيه الثواب، ففعل ذلك طلب قول النبي صلى الله عليه وآله، كان له ذلك الثواب وإن كان النبي لم يقله**»(٤).

وما رواه الصدوق بسنده: «**عن هاشم بن صفوان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَن بلغه شيء من الثواب على شيء من خير، فعمله، كان له أجر ذلك وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقله**»(٥).

وفي كتب العامّة نظير ذلك، نحو ما رواه أبو يعلى الموصلي بسنده: «**عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن بلغه عن الله فضيلة، فلم يصدّق بها، لم ينلها**»(٦).

ويروي السيوطي عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله: «**مَن بلغه عن الله شيء فيه**

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٨٧، باب مَن بلغه ثواب من الله على عمل، ح١.
(٢) المصدر السابق: ح٢.
(٣) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن: ص٢٥، باب ثواب مَن بلغه ثواب شيء فعمل به طلباً لذلك الثواب، ح٢.
(٤) المصدر السابق: ح١.
(٥) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص١٣٢.
(٦) الموصلي، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى: ج٦، ص١٦٣.

فضيلة، فأخذ به إيماناً به، ورجاء ثوابه، أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك»[1].

وقد قيل: إنّ هذه الأخبار تؤسّس لمشروعية العمل بالأخبار الضعيفة في المواطن غير الإلزامية، بلحاظ جعلها الحجّية لمطلق البلوغ، أو لشرط البلوغ، وهو عنوان ثانوي، كالضرر والتقية، فكما أنّه يجوز الأكل من الميتة حال الضرورة خروجاً عن الأصل بالحرمة، فكذلك يجوز العمل بالخبر الضعيف في موارد المستحبّات خروجاً عن الأصل النافي لحجّية كلّ ظنّ.

ويترتّب على ذلك: ثبوت استحباب الزيارات ذات الأسناد الضعيفة، وحصول الأجر على قراءتها، فضلاً عن أصل مشروعيّتها؛ إذ أنّ احتمال صدور الخبر كافٍ في رجحان العمل به ما لم يوجد مانع، أو معارض، يعيق تطبيقه.

بيد أنّ العمل بهذه الروايات يتوقّف على شروط، أهمّها:

أ) أن يكون الخبر وارداً، لا سيّما في الكتب المعتبرة القديمة؛ فلا يشمل كلّ ما اشتهر على ألسنة العوامّ من الناس، أو ما كان من التراث الشعبي الشفهي، الذي لا يُعلم مصدره وناقله، فدلالة الأخبار منصرفة عن مثل هذه الموارد.

وقد ظهرت فئة من الناس يقومون بنحت أخبار، ويضعون أقوالاً على لسان المعصوم عليه السلام دون ذكر مصدر معروف لها، وعند سؤاله، يدّعي تارة وجودها في مخطوطات لم يسمع بها أحد إلّا هو، أو نسبتها إلى التراث الشفهي المتوارث جيلاً عن آخر ـ وهي دعوى كبيرة لا أصل لها في الغالب ـ أو أنّه حصل عليها من جهة الكشف في عالم اليقظة، أو الرؤيا في المنام، وغير ذلك من الأعذار الواهية، ليجعلها مقدّمة لتطبيق قاعدة التسامح، وهذا باطل جزماً.

ب) ضعف سند الخبر؛ فلو كان صحيح السند فإنّه حجّة بنفسه؛ للنصّ والسيرة، بلا توسّط قاعدة التسامح.

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الكبير: ج٨، ص٧٦٠.

ج) عـدم حصـول العلم بوضعه وكذبـه؛ إذ العمل به في هذه الحـال يُعدّ ترويجاً للبدعة، وهو محرّم فضلاً عن عدم مشروعيّته بنفسه.

د) ألّا يتضمّن محذوراً شرعياً، أو عقلياً، يمنع عن صدوره عن المعصوم عليه السلام.

الاتّجـاه الثـاني: مَن ينفي ثبوت القاعدة، فلا يصحّ الاسـتناد إليها في إثبات حكم شرعي؛ إذ الاستحباب ـ وإن جاز تركه ـ هو حكم شرعي لا يجوز نسبته إلى الشارع بـلا حجّـة معتـبرة، وقد ذهـب إليه جملة مـن المحقّقين، كالسـيّد الخوئـي، وكثير من تلامذته.

ولـذا حملوا روايـات (مَن بلـغ) إمّا على الإرشـاد لحكم العقل بحسـن الانقياد والاحتياط في الموارد غير الإلزامية، وإمّا على أنّها وعد مولوي بمنح الثواب للمنقاد؛ لمصلحـة في نفس الوعـد، وإن كانت المصلحة هي الترغيـب في الاحتياط، أو تعظيم النبي صلى الله عليه وآله واحترامه، أو غيرهما.

ويترتّب على ذلك عدم صحّة نسبة استحباب الزيارات إلى الشارع، إلّا أنّ ذلك لا يعنـي عدم صحّـة قراءتها، بل يجوز الإتيـان بها وقراءتها رجـاء أن تكون مطلوبة، بل يسـتحقّ فاعلهـا الثواب؛ لثبوت الوعد المولوي بذلك طبقـاً لروايات (مَن بلغ)، فتأمّل.

والفارق بين الاتّجاهين: أنّ الأوّل يثبت حكماً شرعياً بالاستحباب، أو الكراهة، بينما الثاني لا يثبت ذلك. نعم، لا يمكن الاسـتناد إلى هذه الزيارات في مجال الأحكام الإلزامية على كلّ حال، فضلاً عن البحث العقدي والتاريخي؛ إلّا كشواهد ومؤيّدات لدليل معتبر.

وخلاصـة المخـاض: هو جـواز قـراءة النصـوص الواصلـة إلينا مـن الزيارات الشريفة، سـواء كانت مأثورة أم مخترعة، وسـواء كانت المأثورة معتبرة سـنداً أم غير معتبرة.

النقطة الثالثة: حكم التغيير في نصوص الزيارات

قد يعمد بعض المؤمنين إلى تغيير بعض الألفاظ في الأدعية والزيارات الشريفة؛ لأسباب ودواعٍ كثيرة، أو إضافة بعض الألفاظ إلى النصّ الوارد حسبما يقتضيه الحال، وهذا التغيير تارة يكون راجعاً إلى رواية من طريق آخر، وأُخرى يكون ارتجالياً وعفوياً يرجع إلى اختراع من المتكلّم.

فأمّا الحالة الأُولى، فلا بأس بها، والأوْلى اقتفاء أصحّ الطريقين، وأكثرهما اعتباراً؛ إذ يولّد الاطمئنان والوثوق في حال الزيادة أو النقصان، أو التغيير والتبديل بالألفاظ، أو الاحتياط في قراءة كلا النصّين؛ لأجل إحراز اللفظ الواقعي، أو القريب منه.

وأمّا الحالة الثانية، فإنّها لا تخلو من صورتين:

الأُولى: أن تُقرأ الزيادة بقصد الحكاية والورود، ويكون القارئ ملتفتاً لذلك، فلا شبهة في كونه عملاً محرّماً، ومن مصاديق البدعة المنهي عنها.

الثانية: أن تُقرأ لا بقصد الورود، ولا دليل في هذه الصورة على الحرمة، إلّا أنّه عمل مرجوح ينبغي الإعراض عنه؛ إذ ورد الزجر عنه في روايات عديدة، فقد روى الصدوق بسنده: «**عن يونس بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ستصيبكم شبهة، فتبقون بلا علم يرى، ولا إمام هدى، ولا ينجو منها إلّا من دعا بدعاء الغريق. قلت: كيف دعاء الغريق؟ قال: يقول: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مُقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك. فقلت: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مُقلّب القلوب والأبصار ثبّت قلبي على دينك. قال: إنّ الله عزّ وجلّ مُقلّب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول لك: يا مُقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك**»[1].

(١) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ج٢، ص٣٥١ ـ ٣٥٢، باب ما روي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، ح٤٩. الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى: ج٢، ص٢٣٨.

وروى الكليني بسنده: «عن العلاء بن كامل، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: واذكر ربّك في نفسك تضرّعاً وخيفة، ودون الجهر من القول عند المساء: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو على كلّ شيء قدير. قال: قلت: بيده الخير. قال: إنّ بيده الخير، ولكن قل كما أقول لك»[1].

وروى الصدوق بسنده: «عن إسماعيل بن الفضل، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها؟ فقال: فريضة على كلّ مسلم أن يقول قبل طلوع الشمس عشر مرّات، وقبل غروبها عشر مرّات: لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير. قال: فقلت: لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي. فقال: يا هذا، لا شكّ في أنّ الله يحيي ويميت، ويميت ويحيي، ولكن قل كما أقول»[2].

ومن طرق غيرنا: روى البخاري بسنده: «عن البراء بن عازب، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وآله: إذا أتيت مضجعك، فتوضّأ وضوءك للصلاة، ثمّ اضطجع على شقّك الأيمن، ثمّ قل: اللّهمّ أسلمت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلّا إليك؛ اللّهمّ آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيّك الذي أرسلت، فإن متّ من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلهنّ آخر ما تتكلّم به. قال: فرددتها على النبي صلى الله عليه وآله، فلمّا بلغت: اللّهمّ آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: لا، ونبيّك الذي أرسلت»[3].

والوجه فيه واضح؛ إذ إنّ الأدعية والزيارات والأعمال لها آثار معنوية ومادّية، وهي تتحقّق بقراءة هيئة خاصّة، ونسق محدّد، فلكلّ لفظ دلالة وأثر ومآل،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٥٢٧، باب القول عند الإصباح والإمساء، ح١٧.
(٢) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٤٥٢، ح٥٨.
(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج١، ص٩٧.

والمعصوم عليه السلام أدرى وأعلم بأفضل السبل وأنجعها للوصول إلى الهدف المنشود؛ ولذا فإنّ أيّ إضافة وإن كانت حقّاً، وذات معنى صحيح في نفسه، قد تخرج الكلام عن غايته، وتلغي مفعوله، ويزداد ذلك بعداً كلّما كبر حجم الزيادة، وقد تقلب الزيارة المأثورة إلى مخترعة، وتخرجها عن وحدتها وسياقها.

ولا يبعد أن يكون الهدف التعليمي من التشديد على نصوص بعينها في زيارة الروضات المباركة للأئمّة المعصومين عليهم السلام ملحوظاً لهم؛ إذ يتمّ تأديب الشيعة من خلالها، وتعليمهم العقيدة السليمة، وأحكام الشريعة، سواء بالتصريح أم بالإشارة.

ولذا ورد التأكيد على ضرورة التفات الزائر إلى مقام الإمام عليه السلام، نحو ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن زار الحسين عليه السلام يوم عرفة عارفاً بحقّه، كتب الله له ثواب ألف حجّة**»[1]. إذ المعرفة تولّد الانتفاع والعمل بنحو سليم، وبذلك يتحقّق الامتثال لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[2]؛ إذ لا بُدّ من اقتفاء هداهم في حال حياتهم ومماتهم، لنصل إلى معرفة الله تعالى وعبادته، وهي غاية الغايات؛ ولذا فإنّ أيّ تغيير يمكن أن يؤدّي إلى حرف دلالة الكلمة عن مقصدها، وبالتالي إلى تشريع جديد، أو ابتداع في الدين، وهو من أخطر الأُمور.

وقد يقال: إنّ الأئمّة عليهم السلام قد رخّصوا في النقل بالمعنى في مطلق الأحكام، سواء الإلزامية أم الترخيصية؛ إذ روى الكليني بسنده: «**عن محمد بن مسلم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أسمع الحديث منك فأزيد وأنقص؟ قال: إن كنت تريد معانيه فلا بأس**»[3]. فيكون التغيير في الزيارات جائزاً بلحاظ كونها من أفراد ومصاديق الحديث الشريف، بل أمرها أسهل؛ لعدم إيقاعه للمكلّف في معصية.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٣٣٩، باب ٧٣، ح٣.
(٢) الأنعام: الآية ٩٠.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٥١، باب رواية الكتب والحديث، ح٢.

ويجاب عنه: بأنّ مشروعية النقل بالمعنى مختصّة بفقدان اللفظ وعدم حفظه، وهي عنوان ثانوي راجع إلى حالة الاضطرار، ومشروطة بكون الناقل ضابطاً وعارفاً بمعاني الألفاظ وطرق المخاطبة والتفهيم، بحيث يحكي ما يرادف اللفظ، وما يساويه في الدلالة والمضمون، فإذا حصل له القطع، أو الاطمئنان، بصحّة نقله، جاز حينئذٍ ذلك. ويدلّ عليه: ما رواه الكليني بسنده: «**عن داود بن فرقد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي أسمع الكلام منك فأُريد أن أرويه كما سمعته منك، فلا يجيء. قال: فتعمّد ذلك؟ قلت: لا. فقال: تريد المعاني؟ قلت: نعم. قال: فلا بأس**»[1].

هذا؛ فضلاً عن كون أسئلة الأصحاب كاشفة بظاهرها عن عدم مقبوليّته؛ إذ الأصل هو نقل الألفاظ بعينها؛ ولذا لا تصل النوبة إلى الأدعية والزيارات؛ لكونها محفوظة ومدوّنة في مصادر معتبرة، فلا يجري الكلام في موردنا كما قد يُتوهّم.

ولا يبعد أن تكون النصوص والعبارات في الأدعية والأذكار والزيارات الواردة من الأُمور التوقيفية التعبّدية التي لا يصحّ التغيير والتبديل فيها، فلا تشملها الإطلاقات الدالّة على جواز النقل بالمعنى؛ إذ أنّ الشارع تارة يتعلّق غرضه بإيصال المعنى وتحقيقه في الخارج، كما في أحاديث الأحكام، وأُخرى يتعلّق باللفظ والمعنى، كما في الأدعية، ولذا فإنّ أيّ تغيير في الحالة الثانية يمثّل اعتداءً على النصّ، وتجاوزاً على قائله، لإنزال كلامه من المراتب البلاغية العالية إلى الرديئة الواطية، ونقض الغرض الذي أراده المولى.

المبحث الثاني: نصّ زيارة الأربعين وسندها

اشتهر عند الإمامية استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين بخصوصه، وحظي هذا الاستحباب باهتمام خاصّ، لا سيّما في العصور المتأخّرة؛

(١) المصدر السابق: ح٣.

إذ تُشدّ الرِحال إليه من شتّى أنحاء العالم بأعداد مليونية لأجل إحياء هذه المناسبة، وقد استُدلّ على ذلك بوجوه متعدّدة، ليست محلّ البحث الآن، حتى جعلها الإمام العسكري عليه السلام من علامات المؤمن؛ فقد روي عنه: «**علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم**»[1].

ولأجل تفصيل الكلام عنها لا بُدّ من تقسيمها إلى مطلبين:

المطلب الأوّل: نصّ الزيارة الشريفة وسندها

روى الشيخ الطوسي، قال: «**أخبرنا جماعة من أصحابنا، عن أبي محمد هارون بن موسى بن أحمد التلعكبري، قال: حدّثنا محمّد بن علي بن معمر، قال: حدّثني أبو الحسن علي بن محمّد بن مسعدة والحسن بن علي بن فضّال، عن سعدان بن مسلم، عن صفوان بن مهران الجمّال، قال: قال لي مولاي الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين: تزور عند ارتفاع النهار، وتقول: السلام على ولي الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجيبه، السلام على صفي الله وابن صفيه، السلام على الحسين المظلوم الشهيد...**»[2].

بيان حال رواة سندها

لا ريب في كون رواة النصّ الشريف من أجلّة الأصحاب وكبارهم، بل بعضهم ممّن أجمع الأصحاب على قبول رواياته، كصفوان بن يحيى الجمّال، ولم يقع الخلاف إلّا في ثلاثة:

الأوّل: أبو الحسن علي بن محمد بن مسعدة، وهو حفيد مسعدة بن صدقة[3].

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص٥٣، باب فضل زيارة الأربعين، ح١.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٣. وأُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٨٨ـ ٧٨٩.

(٣) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص١٦٤، ح ٢٧٣.

والملاحظ لدى التتبّع إهماله، وعدم التعرّض له من قبل الرجاليّين المتقدّمين والمتأخّرين، بيد أنّ ذلك لا يؤثّر في الرواية؛ لكونه مقروناً بالحسن بن علي بن فضّال، وهو ثقة بالاتّفاق، حتى قال الطوسي عنه: «**روى عن الرضا عليه السلام، وكان خصيصاً به. كان جليل القدر، عظيم المنزلة، زاهداً، ورعاً، ثقة في الحديث وفي رواياته، له كتب، منها...**»[1]، بل ذكره الكشي ضمن أصحاب الإجماع[2].

الثاني: محمّد بن علي بن معمر.

ذكره الشيخ ضمن عنوان: «**أبو الحسين الكوفي، ابن معمر، له كتب، منها: كتاب قرب الإسناد، ذكره ابن النديم**»[3].

وعندما رجعنا إلى كتاب ابن النديم وجدناه قد ذكره ضمن فقهاء الشيعة ومحدّثيهم بقوله: «**أبو الحسين بن معمر الكوفي، وله من الكتب كتاب قرب الإسناد**»[4]؛ وهذا كاشف عن وثاقته، لا سيمّا مع عدم ورود الطعن عليه من الأعلام.

بل ثبت أنّه من مشايخ الإجازة؛ إذ قال الطوسي: «**سمع منه التلعكبري سنة تسع وعشرين وثلاثمئة، وله منه إجازة**»[5]، وشيخوخة الإجازة من أمارات التوثيق عند المشهور.

الثالث: سعدان بن مسلم، وهو أبو الحسن عبد الرحمن بن مسلم العامري.

والأعلام المتقدّمون مع تعرّضهم له لم يذكروه بمدح أو قدح[6]، سوى قول

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص٤٨، رقم ١٦٤.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ص٨٣١، رقم١٠٥٠.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص١٨٩، رقم ٨٧٣.

(٤) ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست: ص٢٧٨.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي: رقم ٦٣١٠.

(٦) أُنظر: النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص١٩٣، رقم ٥١٥. الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الطوسي: رقم ٢٨٢٦.

الطوسي في (الفهرست): «**لـه أصل**»[1]، وهو من الأمارات التي ادُّعي دلالتها على التوثيق، بل إنّ هناك ما يؤكّد التوثيق، كرواية ابن أبي عمير وصفوان بن يحيى، ممّن لا يروون إلّا عن ثقة. ويؤيّد ذلك ورود اسمه في كتابي (تفسير القمّي)، و(كامل الزيارات)[2]، ولذا ذهب كثير من المحقّقين إلى الحكم بوثاقته، والعمل بروايته.

وبهذا يُحكم باعتبار سند الزيارة وفق مسلك الوثاقة، وبه يُحكم بثبوت الاستحباب لزيارة الحسين عليه السلام في هذا اليوم بخصوصه.

المطلب الثاني: قرائن صحّة الزيارة

حتّى لو سلّمنا بوجود شبهة الجهالة لأحد رواة الزيارة، فلا سبيل إلى الحكم بعدم صدورها عن المعصوم؛ لوجود عدّة قرائن تدلّ على صحّة الصدور، منها:

١ ـ إقرار المعصوم عليه السلام بصحّتها؛ إذ إنّ راوي هذه الزيارة (الحسن بن علي بن فضّال) هو من أصحاب الكتب المشهورة والمعروفة بالصحّة؛ لقول الإمام العسكري عليه السلام عندما سُئل عن كتب بني فضّال، وهي مشهورة معروفة عندهم: «**خذوا بما رووا، وذروا ما رأوا**»[3]، فلا حاجة حينئذٍ للتدقيق في رواة السند الذين سبقوه. وهذا الرأي تبنّاه عدد من المحقّقين، أمثال: الشيخ الأعظم[4]، والمحدِّث الطبرسي[5].

٢ ـ شهرة الزيارة وشيوع نقلها عند الأعلام؛ فقد ذكرها ابن طاووس[6]، وابن

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ص٧٩، رقم ٣٣٦.

(٢) أُنظر: القمّي، علي بن إبراهيم، تفسير القمّي: ص٣٠ ـ ٣١. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص٢٣٣، باب٤١، ح٥.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة: ص٢٣٩.

(٤) أُنظر: الأنصاري، مرتضى، كتاب المكاسب: ج٤، ص٣٦٦.

(٥) أُنظر: النوري، حسين، خاتمة المستدرك: ج٤، ص٢٤٥.

(٦) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ص٥٨٩ ـ ٥٩٠.

المشهدي[1]، والشهيد الأوّل[2]، والعلّامة المجلسي[3]، وغيرهم، دون طعن، ممّا يدلّ على تلقّيهم لها بالقبول.

٣ـ ولعلّ الذي يؤكّد ذلك هو ارتكاز هذه الزيارة وثبوتها في عصر الإمام العسكري عليه السلام حتى عدّها من علامات المؤمن؛ فقد روي عنه أنّه قال: «**علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم**»[4].

٤ـ استفاضة مضامينها، بل تواترها معنى؛ فإنّ كلّ مقطع ورد في الزيارة الشريفة له عشرات الشواهد في زيارات أُخرى معتبرة السند، فضلاً عن قيام الأدلّة الشرعية والعقلية على صدقها، فبملاحظة مضمون الزيارة ومحتواها مع ورودها في الكتب المعتبرة يحصل الاطمئنان إلى صدورها عن الصادق عليه السلام.

ولذا يمكن القول بحصول الوثوق والاطمئنان إلى صدور الرواية، سواء قلنا باعتبار السند ـ كما هو الصحيح ـ أم لا؛ إذ لا ملازمة بين ضعف السند وضعف المضمون، فقد يكون السند صحيحاً والمتن منكراً، في حين يكون السند ضعيفاً والمتن صحيحاً موافقاً لنصوص الكتاب والسُنّة، أو مجمعاً على صحّته، أو توجد شواهد تاريخية على صدوره.

ولو تنزّلنا وقلنا بضعف السند؛ فإنّ هذا لا يلغي مشروعية العمل بالزيارة؛ لشمولها بقاعدة التسامح في أدلّة السُنن، أو بحكم العقل بحسن الانقياد رجاءً لمطلوبيّتها كما تقدّم.

---

(١) ابن المشهدي، محمد، المزار: ص٥١٤.

(٢) الشهيد الأوّل، محمد بن مكّي، المزار: ص١٨٥.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٣٣١ ـ ٣٣٢.

(٤) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص٥٣، باب فضل زيارة الأربعين، ح١. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٥٢، باب فضل زيارته عليه السلام، رقم٣٧. الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٨٨.

وعليه؛ فزيارة الأربعين مجمع على مشروعية العمل بها بين الفقهاء، إمّا لصحّة سندها، وإمّا لقاعدة التسامح، وإمّا لغير ذلك، على أنّ استحباب زيارة الحسين عليه السلام من ضروريّات المذهب، ومن أنكرها وهو ملتفت إلى ذلك خرج عنه؛ ولذا يلزم الحذر من التسرّع في تضعيف الزيارات الشريفة، وتوهين الشعائر الثابتة، لا سيمّا مع وجود دعوات مشبوهة تسعى لهدم كلّ عناصر القوّة داخل المذهب.

الخاتمة

تلخّص ممّا تقدّم مجموعة نتائج، أهمّها:

١ـ إنّ نصوص زيارات المعصومين عليهم السلام ليست على نسق واحد من حيث نسبتها إلى الأئمّة عليهم السلام، فبعضها مأثور عنهم عليهم السلام، وبعضها مخترع.

٢ـ إنّ الاختراع في الزيارة جائز في نفسه؛ لعدم وجود ما يمنع منه، بل ورود ما يدلّ على مشروعيّته، ولذا جرت سيرة المتشرّعة على ذلك، وسلكه الأصحاب في موارد متعدّدة.

٣ـ إنّ الحكم بجواز الاختراع في الزيارة ليس مطلقاً، بل له شروط ثلاثة، وهي: عدم نسبتها إلى المعصوم عليه السلام، وعدم اشتمالها على ما ينافي العقيدة والشريعة، بل وكلّ ضروري، فضلاً عن لزوم تناسب ألفاظها مع مقام المزور.

٤ـ إذا حصل تزاحم بين نصّ للزيارة مأثور عن المعصوم، وبين نصّ مخترع، فإنّ الأولوية والرجحان للمأثور؛ لأنّ الإمام أدرى بمقامات آبائه وأجداده وفضائلهم وخصائصهم، فهو ينزّل المخاطَب بما يستحقّه، وبما هو أهله.

٥ـ ذهب مشهور الفقهاء إلى عدم الاقتصار في تصحيح الأخبار ـ بما فيها الزيارات ـ على السند، بل يرجع في ذلك إلى كلّ قرينة تورث الوثوق والاطمئنان بالصدور، كالإجماع، والشهرة، وموافقة الكتاب والسُنّة، وغيرها، ولذا يحكم باعتبار كثير من الزيارات الشريفة نتيجة لذلك، فضلاً عن صحّة سند عدد منها.

٦ـ إنّ ضعف السند، أو عدم ثبوت الصدور عن المعصوم عليه السلام لا يعني عدم إمكان التعبّد بالزيارة الشريفة، بل ذكر الفقهاء في هذا المجال إمكان التعبّد بها، إمّا لثبوت قاعدة التسامح في أدلّة السُنن، وإمّا لحكم العقل بحسن الاحتياط، فيعمل بها رجاءً لمطلوبيّتها، وفي كلتا الحالتين يحوز الزائر على الأجر والثواب إن شاء الله تعالى.

٧ـ إنّ تغيير ألفاظ الزيارة، أو الزيادة عليها، عمل مرجوح مطلقاً، بل يحرم إذا قُرأ بقصد الحكاية والورود.

٨ـ إنّ سند زيارة الأربعين معتبر؛ لوثاقة رواته وفق مباني عدد من الفقهاء الرجالية؛ ولذا يحكم بثبوت استحبابها، خصوصاً في يوم الأربعين.

٩ـ اقترنت زيارة الأربعين بمجموعة من القرائن والشواهد التي يحصل معها الوثوق والاطمئنان إلى صدورها عن الإمام الصادق عليه السلام؛ ولذا فإنّ نصّ زيارة الحسين عليه السلام في يوم الأربعين معتبر الصدور على كلّ الأحوال.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١ـ إقبال الأعمال، رضي الدين علي بن موسى ابن طاووس (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: جواد القيّومي، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.

٢ـ الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، منشورات دار الثقافة، قم المقدّسة ـ إيران، ١٤١٤هـ.

٣ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمّة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣هـ.

٤ـ التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، منشورات مكتبة الأمين، النجف الأشرف.

٥ـ تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي (من أعلام القرن الثالث والرابع)، تعليق: السيّد طيب الجزائري، دار الكتاب للطباعة والنشر، قم المقدّسة ـ إيران.

٦ـ تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: السيّد حسن الخرسان، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.

٧ـ الجامع الصحيح، محمّد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

٨ـ جمع الجوامع المعروف بـ(الجامع الكبير)، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مختار إبراهيم، عبد الحميد محمد، وحسن عيسى، الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٩ـ حاكمية الفقيه وحدود ولايته على الأُمّة، أبو الحسن حميد المقدّس الغريفي،

منشورات مكتب أنصار الحجّة الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣٨ هـ/ ٢٠١٧م.
١٠ـ الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، الشيخ يوسف البحراني (ت١١٨٦هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران.
١١ـ حقائق الأُصول، السيّد محسن الحكيم (ت١٣٩٠هـ)، دار البصائر، بيروت ـ لبنان.
١٢ـ خاتمة مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
١٣ـ الخصال، محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات مكتبة الصدوق، طهران ـ إيران، ١٣٨٩ هـ.
١٤ـ الدروس الشرعية في فقه الإمامية، الشهيد الأوّل محمد بن مكّي العاملي (ت٧٨٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٢ هـ.
١٥ـ دعاء الفرج وشبهات المضلّين، أبو الحسن حميد المقدّس الغريفي، منشورات مكتب أنصار الحجّة الإسلامي، ودار المحجّة البيضاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥م.
١٦ـ رجال الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيّومي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ.
١٧ـ رجال النجاشي، أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، الطبعة الثامنة، ١٤٢٧هـ.

١٨ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت٣٦٣ هـ)، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، منشورات جماعة المدرّسين، قم المقدّسة ـ إيران.
١٩ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، ودار اليمامة، دمشق وبيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٢٠ـ الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري وبهراد الجعفري، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٣٧١ هـ.
٢١ـ الفهرست، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيّومي، مؤسّسة نشر الفقاهة، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
٢٢ـ فوائد الأُصول (تقرير بحث المحقّق النائيني)، محمد علي الكاظمي الخراساني (ت ١٣٦٥هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة العاشرة، ١٤٣٢هـ.
٢٣ـ القواعد الفقهية، محمد حسن البجنوردي (ت١٣٩٥هـ)، تحقيق: مهدي المهريزي ومحمد حسين الدرايتي، منشورات دار الهادي، قم المقدّسة ـ إيران، ١٤١٩هـ.
٢٤ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تعليق: علي أكبر الغفاري، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.
٢٥ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: جواد القيّومي، مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٢٦ـ كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرّسين، قم المقدّسة ـ إيران، ١٤٠٥هـ.

٢٧ـ المزار، محمد بن جعفر المشهدي (من أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق: جواد القيّومي، منشورات مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٩هـ.
٢٨ـ مستمسك العروة الوثقى، السيّد محسن الحكيم (ت١٣٩٠هـ)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ـ العراق، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.
٢٩ـ مستند الشيعة في أحكام الشريعة، أحمد بن محمد مهدي النراقي (ت١٢٤٥هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٣٠ـ مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٣١ـ مصباح الفقاهة في المعاملات (تقرير بحث المحقّق الخوئي)، محمد علي التبريزي التوحيدي (ت١٣٩٥هـ)، مؤسّسة أنصاريان، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٣٢ـ مصباح المتهجّد، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٣٣ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٣٤ـ مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الحسين بن محمد الراغب الإصفهاني (ت٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، منشورات ذوي القربى، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٣٥ـ المكاسب، الشيخ مرتضى الأنصاري (ت١٢٨١هـ)، تحقيق: لجنة تراث الشيخ الأعظم، منشورات مجمع الفكر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٣٣هـ.

٣٦ـ مَن لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٣٧ـ نهاية الأفكار (تقرير بحث المحقّق العراقي)، محمد تقي البروجردي (ت١٣٩١هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الخامسة، ١٤٣١هـ.

دور زيارة الأربعين في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلّية التربية في جامعة ميسان

أ.د. نجم عبد الله غالي الموسوي

قسم العلوم التربوية والنفسية ـ كلّية التربية ـ جامعة ميسان/ العراق

The Role of the Ziyara of Arbaeen in Raising the Level of the Moral Values of Society from the Point of View of the Students of the College of Education at the University of Maysan

Professor Najm Abdallah Ghali al-Musawi

Department of Educational and Psychological Sciences - College of Education - University of Maysan, Iraq

ملخّص البحث

يهدف هذا البحث إلى معرفة دور زيارة الأربعين ـ بصفتها أُنموذجاً ـ في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلّية التربية، وقد اقتصر البحث على طلبة كلّية التربية في جامعة ميسان للعام الدراسي (٢٠٢٠ـ٢٠٢١م)، وتكوّنت عيّنة البحث الكلّية من (٢٠٠) طالب وطالبة.

أعدّ الباحث عيّنة بحثه المتمثّلة في (الاستبانة) التي صاغها على وفق إجابات العيّنة الاستطلاعية، وتمّ توثيقها الظاهري بعرضها على مجموعة من الخبراء والمتخصّصين في العلوم التربوية والنفسية، وبحسب ثباتها بطريقة الإعادة (Test–Re test)؛ إذ بلغت درجة ثباتها (٠،٨٩)، ثمّ عُرضت الاستبانة النهائية على العيّنة الأصلية المكوّنة من (١٠٠) طالب وطالبة.

وبعد معالجة البيانات إحصائياً، أوضحت نتائجُ البحث أنّ هناك جملةً من الأُمور التي تحقّقها زيارة الأربعين، والتي تُسهم في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلّية التربية في جامعة ميسان.

الكلمات المفتاحية: الزيارة الأربعينية، رفع مستوى القيم الأخلاقية، نظر طلبة كلّية التربية، جامعة ميسان.

Abstract

This study aims to identify the Ziyara of Arbaeen as a model in raising the level of moral values of society from the point of view of the students of the College of Education, as the research was limited to the students of the College of Education at the University of Maysan for the academic year 2020 - 2021. The research sample consisted of (200) students.

The researcher prepared his research sample in the form of a (questionnaire), which he formulated based on the responses of the survey sample. Its apparent validity was checked by presenting it to experts and specialists in educational and psychological sciences. According to its reliability through the (Test-Retest) method, it gained a degree of validity of (0.89). The final questionnaire was then presented to the original sample of (100) students.

Furthermore, after statistically processing the data, the results of the research showed that there are several elements that the Ziyara of Arbaeen achieves, and which contribute to raising the level of moral values in society from the point of view of the students of the College of Education at the University of Maysan.

Keywords: Ziyara of Arbaeen, raising the level of moral values, point of view of the students of the College of Education, University of Maysan.

المقدّمة

إنّ الأُمم تتأسّى بأعظم شخصيّاتها ومؤسّسي تاريخها وحضارتها، وإنّ ثورة يقودها أحد من أقدس شخصيات الأُمّة وأئمّتها تكون لها قيمة أخلاقية خاصّة، فإن تخلّفت الأُمّة عن اللحاق بأعظم سفن النجاة، فلن ترى لوناً من ألوان السعادة، ولا يُفتَح عليها باب من أبواب الخير في حياتها، ولا يمكن أن يُكتب لها التقدّم في الحياة، وهذه إحدى المشاكل التي تواجه الأُمّة حين يداهمها الخطر، فهل نحن كما يريدنا الإمام الحسين عليه السلام؟ وهل انتهجنا نهجه عليه السلام سيرة وسلوكاً وأخلاقاً[1]؟

إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام تمثّل نبراساً لسائر النهضات التحرّرية في العالم، علماً بأنّ تركيز الأخلاق الإسلامية هو من الأهداف التي ضحّى الإمام عليه السلام لأجلها بأغلى ما على وجه الأرض، من نفسه الشريفة وذويه، فجسّد إحياءها قولاً وعملاً، ودلّ الأجيالَ على الطريق، وأوضح السبيل إلى علاج مشاكل المجتمع؛ للحصول على سعادة الدنيا، وكرامة الآخرة[2].

إنّ الإمام الحسين عليه السلام يحمل نهجاً إلهيّاً يعمل على إصلاح هذه الأُمّة تربوياً وأخلاقياً وروحياً؛ لأنّ الله سبحانه جعله أُسوة حسنة للمجتمع الإنساني على وجه العموم، والمجتمع الإسلامي على وجه الخصوص؛ لما له من مقام الإمامة.

ولذا نجد الأُمّة تتذكّر نهضته في كلّ عام، خصوصاً في زيارة الأربعين، بكلّ ما تحمل من معانٍ سامية جاءت بمنزلة الحالة الوقائية والعلاجية التي تعمل على تصحيح المسارات الخاطئة في داخل نفسية الفرد والمجتمع، وتقليل حالات الفساد والإفساد التي تعمل قوى الشرّ على بثّها في أوساط المجتمعات المسلمة، بل إنّ هذا

(١) أُنظر: مؤسّسة البلاغ، الإمام الحسين عليه السلام ويوم عاشوراء: ص٨.

(٢) أُنظر: الشيرازي، محمد، رؤى في نهضة الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٩.

الاستذكار للثورة بدأ يعمل حتّى في الدول التي تتبنّى قيماً لا تلائم مجتمعنا وأخلاقنا، وخلق فيها حالة من الصحوة والانتباه، وذلك بفضل ما يشاهدونه من عطاء كبير في هذه الزيارة المباركة.

وتُعدّ الشعائر الحسينية من وسائل الجمهور للتعبير عن ولائه، وحزنه العميق، وارتباطه العاطفي، وانشداده النفسي إلى مأساة كربلاء، ويشتدّ هذا التفاعل في العشرة الأُولى من شهر المحرّم، ويبلغ قمّته في اليوم العاشر، ويُعدّ «**هذا اليوم أعظم يوم في الإسلام، وأكبر يوم تاريخي في العالم؛ لقد وقعت في مثل هذا اليوم الفاجعة العظمى، والمصيبة الكبرى التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ولا نظيراً**»[1].

والشعائر الحسينية التي يألفها شيعة أهل البيت عليهم السلام في أيّام شهادة ذكرى الإمام الحسين عليه السلام في كلّ سنة تُعدّ اكتشافاً للمفاهيم والقيم، ودراسة هذه الشعارات مهمّة للمجتمع؛ لأنّها دراسة مفيدة للجمهور الذي يتحشّد حول المنبر الحسيني؛ إذ يتمّ توارثها جيلاً بعد جيل إلى اليوم[2].

ونتيجةً لما سبق؛ يرى الباحث أنّ طلبة الجامعة هم ممّن لهم القدرة على أن يؤدّوا هذه الرسالة، وممّن يتابعون انعكاساتها الإيجابية في سلوك الفرد والمجتمع؛ لأنّهم ممّن يمثّلون الطبقة الواعية والمثقّفة والقادرة على التمحيص، فهم قلب الأُمّة النابض، ومنهم يتدفّق دم الحياة في حبّ الأُمّة، علماً بأنّ مرحلة التعليم الجامعي هي أفضل مرحلة للتعبير عن الرأي، بوصفها اللبنة الأساسية في بناء الطالب الجامعي واستيعابه؛ ولذا جاءت أهمّية الطلبة في المرحلة الجامعية، إذ تقع على عاتقهم مسؤولية كبيرة جدّاً، تنبع من أهمّية دورهم الذي يقومون به في المستقبل؛ ولذا أُجري تطبيق البحث الحالي على كلّية التربية.

(١) القزويني، محمد كاظم، فاجعة الطفّ مقتل الحسين بن علي عليه السلام: ص٣.

(٢) أُنظر: الآصفي، محمد مهدي، في رحاب عاشوراء: ص٣١.

وتتحدّد مشكلة هذا البحث في الإجابة عن السؤال الآتي: هل للشعائر الحسينية دور في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلّية التربية بجامعة ميسان؟

أهمّية البحث

حملت نهضة الإمام الحسين عليه السلام في معالمها الكثير من المعاني السامية في جوانب الحياة المختلفة، منها الجانب التربوي؛ إذ انتهجت هذه النهضة العظيمة الأساليب التربوية والقيم الأخلاقية التي رسّخها وأشادها دمه المبارك، لتكون نبراساً يُهتدى به، فأراد عليه السلام أن يعمل على تحريك المشاعر بشتّى الوسائل، جاعلاً من توجّهه نحو الله تعالى القاعدة الأساسية في أقواله وأفعاله وتقريراته.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الحسين عليه السلام في خطواته كلّها، منذ لحظة الانطلاق من المدينة المنوّرة إلى لحظة الاستشهاد، أعطانا منظومة تربوية وأخلاقية، أخذ فلسفتها من كتاب الله تعالى، ومن سيرة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، حتّى أصبح كما يصفه بعض أنّه (قرآن متحرّك داخل الأُمّة الإسلامية)، وهكذا بعد شهادته، فقد بقيت مضامين ثورته وأهدافها نابضة في قلب الأُمّة الإسلامية، حتّى أصبحت عبارة عن شعائر رسمها الإمام الحسين عليه السلام نهجاً للأُمّة؛ لتُحيي به ضميرها، وتصقل وعيها، وتنمّي شعورها.

وللشعائر الحسينية دور مزدوج بالغ الأهمّية، فهي: أوّلاً: وسائل للتعبير عن حالة انشداد الجمهور إلى عاشوراء، وارتباطهم العاطفي بهذا الحدث، وثانياً: تؤدّي الشعائر دوراً فاعلاً في إذكاء جذوة النهضة، وإحياء هذا اليوم في تاريخ المسلمين؛ وذلك لأنّ للشعائر الحسينية دورَ التعبير عن عواطف الجمهور، وقيمة كبيرة في جميع ما ذُكر[1]، وقد كان أهل البيت عليهم السلام يولون إقامة الشعائر الحسينية اهتماماً كبيراً وعناية

(١) أُنظر: الموقع الإلكتروني: https: / /www.almaaref.org

خاصّة؛ لأنّ سفينة الحسين عليه السلام أوسع، وفي لجج البحار أسرع[1].

يضاف إلى ذلك أنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام هي قضية الحقّ والعدالة والشرف والأخلاق، هذه هي عناوين نهضته التي رسمها، ونحن نسير على نهجها، فالشعائر التي تتجدّد كلّ سنة تحمل دلالات سياسية وثقافية واضحة، وإنّ إحياءها هو إحياء لأنفسنا وللإسلام، وخلود للمبادئ والقيم التي ضحّى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام[2].

ومن الملاحظ أنّ الشعائر الحسينية تكاد تكون مقصورة في الأزمنة السابقة على النطاق المحلّي في المجتمعات الإسلامية والشيعية بالتحديد، أمّا الآن فالكثير من الأُمور تغيّرت، فأصبحت الشعائر حالة عالمية، وبدأ صداها يمتدّ بفضل قوّة الشعائر الحسينية، وكثرة المحبّين لأهل البيت عليهم السلام، والتطوّر العلمي والتكنولوجي الذي أخذ يقرّب ويُوضّح هذه الشعائر للآخرين. وخير شعيرة أخذت في التنامي والتأثير هي زيارة الأربعين التي احتلّت المرتبة الأُولى من بين الشعائر كافّة، وأخذت تنتشر على المستوى الدولي والعالمي، وبدأ الكثير من الرؤى يتّضح في أذهان الآخرين من غير المسلمين.

ومهما كُتِب عن الإمام الحسين عليه السلام فهو قليل، لا لعدم أهمّية ما كُتِب، بل لأهمّية ثورته وآثارها وانعكاساتها على مجتمعنا وعالمنا المعاصر، وهذا ما يشدّ الإنسان المؤمن ـ بل كلّ إنسان لا يقبل الذلّ، ويحبّ العدل والإنصاف ـ إلى شخصية الإمام الحسين عليه السلام[3].

والمتّفق عليه بين العلماء أنّ استعداد المرء للتأثّر الإيجابي بقيم الشعائر الحسينية أمر يتوقّف على مدى إيمانه وصلاحه، فهي لا تنفع مَن لا ينتهي عن ارتكاب المعاصي؛ لأنّها

(١) البلوشي، حسن جمال، الإمام الحسين عليه السلام في حياتنا الروحية: ص١٦.
(٢) مطران، إلياس، في رحاب الإمام الحسين عليه السلام: ص٨٥.
(٣) اُنظر: العسكري، مرتضى، وآخرون، الصحيح من سيرة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ص٣.

تدعو إلى التقوى قبل أن تدعو إلى الاقتداء، ولأنّها تجسّد أسمى القيم وأنبلها، فهي كتلة ضخمة من القيم المشعّة، ومدارس للأخلاق الحميدة التي يجدر بنا ـ أتباع المدرسة الحسينية العظيمة ـ أن ننشرها في كلّ المراكز الاجتماعية والرسمية والتربوية[1].

وقد أثبت علماء النفس أنّ الأفعال التي تصدر عن الجماهير تُسهم في صناعة شخصية جماعية قوية للأُمّة، شريطة أن يتوفّر فيها الواعز الإيجابي، ومقوّمات النموّ والتواصل والاتّساع، وهذه الشرائط لا يمكن أن تتحقّق إلّا من خلال بُوتقة واسعة تجمع الطاقات الفردية والجماعية المتنوّعة، وهذه البُوتقة الواسعة هي الشعائر الحسينية المقدّسة بإيجابيّاتها الواسعة.

وإحياءُ الشعائر الحسينية على نحو منتظم يقودنا إلى نتائج إيجابية في بناء المجتمع من خلال التوازن المعنوي النفسي في وقت واحد، وهو ما تعجز عن تحقيقه الوسائل الأُخرى؛ لأنّها لا تملك القدرة على تركيز الحالة النفسية الإيجابية للأُمّة، بعيداً عن ممارسة الشعائر بصورة جماعية خلّاقة، تؤدّي إلى تعميق الإيمان، وهذه أهمّ علامة على تقدّم الأُمّة واستقرارها.

ولذا؛ فإنّ مؤسّسة الشعائر الحسينية هي أكثر مؤسّسة تستقطب الأُمّة حول دوائرها، فيما لو يعي المسلمون أهدافها ومبادئها وأهمّيتها، لتكتمل وحدة الأُمّة، قال الإمام الخميني قدس سره: إنّ هذه المراسم هي التي أوجدت الوحدة بين المسلمين، وحقّقت هويّتهم، وهي الطاقة التي تبعث الروح في الأُمّة، وهي مدارس تنظيمية وتنويرية تحقّق البعد الاجتماعي، وتُنزله إلى الواقع العملي والتطبيق[2].

ونظراً إلى أهمّية الشعائر الحسينية في رفع المستوى الأخلاقي للمجتمع في المرحلة الجامعية؛ فإنّ أهمّية البحث تكمن في:

(١) أُنظر: الأسدي، عماد، الروضة الحسينية: ص٣٧.

(٢) البغدادي، علي، فلسفة عاشوراء في فكر الإمام الخميني: ص٨.

١ـ رفع مستوى القيم الأخلاقية في داخل المجتمع.

٢ـ تحديد القيم الأخلاقية التي ترقيها الشعائر الحسينية في نظر طلبة كلّية التربية.

٣ـ ترسيخ المفاهيم الإسلامية، وإدامة صلتها روحياً بين العبد المؤمن وخالقه سبحانه وتعالى.

٤ـ إحياء قيم النهضة الحسينية المقدّسة والحفاظ على قوّتها.

٥ـ ترسيخ مفاهيم العدل والمساواة في المجتمع الإسلامي، والتركيز على تحمّل كلّ فرد لمسؤوليّته الاجتماعية، وتحويل السلوك السلبي إلى سلوك إيجابي.

٦ـ تهيئة القلوب والضمائر للاستمرار في مزاولة الممارسات العبادية الصادقة، ممّا ينتج إحياء أعمال البرّ والإحسان والفضائل الحميدة، والسعي إلى الإكثار من العمل الصالح.

٧ـ تحفيز النفوس المؤمنة إلى التمسّك بالصبر والشكيمة، والاعتداد بالنفس السائرة على خطى النهج الحسيني.

٨ـ إعادة قراءة التاريخ بصورة متأنّية، وكشف التزوير الذي لحق بكتابته على وفق منظور السلطة بكلّ أدوارها، وما أُضيف إليه من زيف وتشويش للحقائق.

٩ـ نشر مشروعية الشعائر الحسينية بين الأُمم والشعوب الأُخرى؛ لإيقاظ الوجدان، ممّا يهيّئ الظروف المناسبة لبسط مساحة تنويرية من الوعي والثقافة التي لم تصل إليها.

هدف البحث

يهدف البحث الحالي إلى معرفة دور الشعائر الحسينية في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلّية التربية جامعة ميسان (زيارة الأربعين أُنموذجاً).

حدود البحث

يتحدّد البحث الحالي في طلبة كلّية التربية جامعة ميسان للعام الدراسي (٢٠١٧ـ ٢٠١٨م).

مصطلحات البحث

أوّلاً: زيارة الأربعين

وهي إحدى أهمّ الزيارات المباركة للإمام الحسين بن علي عليهما السلام، تقع في العشرين من صفر من كلّ عام، أي: بعد مرور أربعين يوماً على استشهاده عليه السلام، وفيها روايات عن المعصومين عليهم السلام مؤكّدة لضرورة زيارته عليه السلام في مثل هذا اليوم، وعادة ما يُطلق عليها: الزيارة المليونية؛ وذلك لكثرة الزائرين من شتّى بقاع العالم، وتتّسم بتقديم كافّة الخدمات المجانية.

ثانياً: القيم الأخلاقية

وهي مجموعة أحكام يصدرها الفرد على المجتمع، ويكتسبها في حياته، وتُعدّ هدفاً عامّاً في ضمن أهداف أعمّ، وتدخل في تقويم سلوك الفرد ظاهراً وباطناً؛ لتحقيق غايات مستوحاة من القرآن الكريم، ومصدرها الله عزّ وجلّ، وتتمثّل هذه القيم في مجموعة من قواعد تنظّم سلوك الفرد، وتصوغ شخصيته، وتُحدّد علاقاته بالآخرين، وكيفية التعامل معهم على وفق أُسس تربوية ونفسية صحيحة.

ومن الأمثلة على القيم الأخلاقية: الصدق، والأمانة، والإحسان إلى الجار، وإكرام الضيف، ومساعدة المحتاجين.

والتحلّي بالقيم الأخلاقية أمر لا بدّ منه، فهي أساس الإصلاح في المجتمع، كما أنّها هي اللبنة الأساسية للتقيّد بالقوانين والأنظمة، دون الالتفات إلى أخطاء الآخرين، ومحاولة تقليدها.

ثالثاً: كلّية التربية

هي إحدى مؤسّسات التعليم العالي والبحث العلمي في الجامعات العراقية، تمثّل هذه الكلّية الركن المهمّ والأساسي في البيئة الجامعية، وهي تُعِدّ الدارسين فيها لمهنة التدريس، وتضمّ أقساماً علمية وأكاديمية: (قسم العلوم التربوية والنفسية، قسم التاريخ، قسم الجغرافية، قسم اللغة العربية، قسم اللغة الإنجليزية، قسم الرياضيات)، وتستغرق مدّة الدراسة فيها أربع سنوات.

المبحث الأوّل: الخلفية النظرية

أوّلاً: الخلفية النظرية لمفهوم الشعائر الحسينية

«الشعائر الحسينية هي ممارسة تنسجم تماماً مع أفضل الأساليب التي ابتكرها الإنسان من أجل التعبير عن آرائه ومشاعره؛ لذا فهي حيّة في كلّ زمان»[1].

إنّ الفرد الذي ينشأ في مجتمع شيعي، عندما تبدأ مداركه تتفتّح، يلاحظ ويشاهد في كلّ عام وفي مناسبات شتّى شعائر ملازمة للمجتمع الذي يعيش فيه، ولا يتخلّى عنها أبداً، هذه الشعائر جاءت تعبيراً عن الحزن العميق على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، فأخذت أُطراً مختلفة، ما بين الخطب وما تحويه من مواعظ وعبر وقصص تربوية وأخلاقية، ومراسم الشبيه لواقعة الطفّ بكلّ معطياتها، كما وردت على لسان الرواة ونقّال الحادثة وقتذاك، ومواكب عزاء، وإقامة الموائد، وغيرها كثير.

وهذه الأُمور مهمّة وذات تأثير في الشخصية؛ لأنّ فيها الكثير من موارد التنشئة الاجتماعية للفرد، كما يسمّيها المتخصّصون في العلوم التربوية والنفسية، ومن المعلوم أنّ الفرد يتأثّر بعاملين مهمّين: هما الوراثة، والبيئة التي يعيش فيها طيلة حياته، ابتداءً من لحظة تكوينه إلى لحظة وفاته، فما يحيط بالفرد من مؤثّرات أو أساليب في التعامل

(١) الحكيم، محمد باقر، الشعائر الحسينية: ص٨٤.

وغيرها يؤثّر فيه بشكل واضح؛ لاكتسابه الكثير من الخبرات التي يكون لها مردودها النفسي في تكوين ذاته، ونموّ شـخصيّته[١]. ومن هنا يبرز دور البيئة باعتبارها المكوّن الثاني والمهمّ في صياغة الشـخصية الأُولى للفرد، وتحديد الثقة بنفسه وذاته، وتشكيل المفاهيم الاجتماعية والدينية الصالحة لديه.

وإنّ شـخصية الفرد تتأثّر بما يمرّ به من المواقف والخبرات، فتُصاغ نتيجةً لذلك شـخصية سوية، أو بالعكس منها على حسب الأسـاليب المتّبعة معه، ثمّ تكون جزءاً من كيانه الشـخصي فيما بعد[٢]، فكلّما كانت أسـاليب التنشـئة الاجتماعية صحيحة، تركـت أثـراً إيجابياً في تكوين شـخصية الفرد وبنائه الروحي، وهذا مـا تبغيه التربية، وتجعلـه هدفـاً لها، وعليه؛ فإنّ أسـاليب التنشـئة الاجتماعية تتباين مـن مجتمع لآخر، وفقاً للثقافة السـائدة في ذلك المجتمع[٣]؛ «**لذا تُعدّ التنشـئة الاجتماعية من الممارسـات الاجتماعيـة وخبراتهـا المهمّـة؛ لأنّ نتاجها الأجيال القادمة من البـشر الذين يعملون على تقدّم المجتمع أو تخلّفه، وعليهم يتوقّف نموّ حضارتهم**»[٤].

وإنّ الشعائر الحسينية ينفرد بها المجتمع الشيعي، وهي وسيلة خاصّة من وسائل بناء الفرد والمجتمع، وقد أصبحت جزءاً لا يمكن اقتطاعه واستئصاله أو التخلّي عنه من جسد المجتمع الشيعي، بالرغم من المعارضة الشديدة من قبل السلطات الحاكمة الظالمـة التـي تحاول في كلّ مكان وزمان جعل هذه الشـعائر في دائرة النسـيان، بل في أحيان كثيرة يضحّي الفرد الشـيعي بحياته، أو يقضي سـنوات عمره في السـجون لا لشيء إلّا لأنّه شارك في إحياء هذه الشعائر المباركة.

---

(١) Landreth et al., 1971, P.358.

(٢) رشاد، علي عبد العزيز، دراسات في علم نفس المرضى: ص٥١٦.

(٣) الداهري، صالح، والعبيدي، ناظم، الشخصية والصحّة النفسية: ص٤٧.

(٤) هارلمان، كلاوس، البناء الاجتماعي والشخصية، مجلّة العلوم الاجتماعية: مجلّد ١٨، العدد١، ١٩٩٠م، ص١٩٦.

ولا أُريد هنا أن أذكر الجذور الحقيقية لنشأة الشعائر الحسينية، لكن من المسلّم به أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد أوصوا أو وجّهوا أو أقاموا هذه الشعائر المباركة؛ لغرض إحياء العوامل الكامنة وراء استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وبيان هدفهم المتمثّل في الإصلاح الحقيقي في هذه الأُمّة، ثمّ لا بدّ من أن يكون هناك صوت يصدح، ليوصل إلى العالم أجمع هذه الرسالة العظيمة، وما هذا الصوت إلّا الشعائر الحسينية الخالدة.

ولمّا كانت هذه الشعائر ذات أهمّية تربوية وأخلاقية وفكرية، ينبغي اتّباع الأُسس العلمية والمنطقية والجمالية في إقامتها وإحيائها، وسنسجّل هنا بعض الأُمور التي يجب مراعاتها عند إقامة هذه الشعائر المباركة، وهي كما يأتي:

ـ لا بدّ أن تؤدّي الشعائر الحسينية دورها في صناعة الفرد وتربيته تربيةً إسلامية صحيحة واعية، تستند إلى أُسس ومضامين هادفة؛ لكي تُحقّق هدفها النبيل، وذلك بفضل ما تعكسه من قيم روحية ودينية ودنيوية سامية.

ـ الاهتمام بالنماذج التربوية الهادفة التي تعكس الصفات الصادقة، وتعمل على تهذيب الجانب الروحي لدى الأفراد ـ خصوصاً الأطفال ـ وتُسهم في بناء شخصيّتهم المثلى، وتكون قدوة لهم في حياتهم وحركتهم داخل المجتمع الذي ينتمون إليه.

ـ استثمار الشعائر الحسينية الهادفة في بيان العديد من الأُمور الشرعية والعقائدية، وإيضاح الأفكار الصحيحة، والابتعاد عن الأفكار الخاطئة التي أبانتها واقعة كربلاء المقدّسة من حيث الأُصول والفروع، أو من حيث الكيفية التي يجب أن تُؤدّى بها هذه الفرائض أو تلك، وبذلك يكون لاستثمار الشعائر الحسينية دور فاعل في تحقيق الهدف المطلوب في إيصال الرسالة الواضحة للنهضة الحسينية.

ـ الاهتمام بتنمية الجانب الفكري الصحيح، وتنمية العقل البشري عن طريق تأكيد الأُمور العقلية الصادقة، والابتعاد عن تضخيم الأُمور وتهويلها، وتجنّب الأقوال الشاذّة وغير المسندة والمحقّقة، أو إزاحة الأوهام التي تجعل من واقعة الطفّ

ـ في أحيان كثيرة ـ عبارة عن أُسطورة، وليس واقعاً كما أراد لها مخطّطها ومنفّذها الإمام الحسين عليه السلام.

ـ استعراض واقعة الطفّ كوسيلة معالجة آنية في وقتها، ومستقبلية لما تمرّ به الأُمّة من أزمات، وذلك بسبب احتواء هذه الواقعة على معانٍ ودلالات ذات بعد فكري واجتماعي واقتصادي وسياسي، يضمن للأُمّة الابتعاد عن الانقياد الأعمى والعشوائي لما موجود في الساحة من رؤى وأفكار ربّما لا تلائم الأُطر العامّة للإسلام الحقيقي.

ـ إنّ الشعائر الحسينية يجب أن توفّر محيطاً صالحاً ذا أرضية خصبة للنهضة التربوية الاجتماعية الموضوعية، تُكسب الإنسان العديد من الصفات التي يطمح المجتمع أن يوصلها إلى أبنائه، ويريد أن يحافظ عليها، وينقلها من جيل إلى آخر.

ـ بيان حالة التكافل الاجتماعي، ومبدأ المساواة الذي ارتكزت عليه واقعة الطفّ في كربلاء؛ وذلك لاحتوائها على العديد من الشواهد التي تجعل من المسلمين كافّة في حالة تماسك وتوحّد دائم، كلٌّ بحسب قدرته وطاقته، فبيانُ دور المرأة فضلاً عن دور الرجل، وبيان دور الأطفال فضلاً عن دور الكبار، وإيضاح دور غير المسلمين فيها فضلاً عن المسلمين، يجعل من واقعة الطفّ عنصراً تربوياً فاعلاً في بيان اللُّحمة الحقيقية في تبنّي معطيات المبدأ الحقّ، والدفاع عنه وإن كان هناك اختلافٌ في الدين أو العقيدة أو المذهب.

ـ إدخال عنصر الحداثة الذي لا يعارض الفكر الإسلامي، ولا يعطي واقعة الطفّ بعداً آخر، ولا يشوّه معالمها الحقيقية، ولا بأس في الاستفادة من الأُسس العامّة التي يرسمها لنا علماء النفس في الجانب الوجداني، وتضمينها الشعائر الحسينية بما يلائم المرحلة العمرية لكلّ فرد، والاعتماد على التكنولوجيا الحديثة في مخاطبة الآخرين بصيغة حضارية حديثة.

ـ عرض المستحدثات والمستجدّات وموارد الاختلاف على الفقهاء المتخصّصين؛ لبيان الأُمور التي تُعدّ دخيلة على النهضة الحسينية، والتحقّق من الوقائع والشواهد

التاريخيـة مـن خـلال مراجعـة النصـوص الروائيـة المعتـبرة التـي حقّقهـا الباحثون والمحقّقون المختصّصون.

ـ العمل على إتاحة المجال للطبقات الاجتماعية المثقّفة؛ ليكون لها دور في الحفاظ عـلى الشـعائر الحسـينية والحثّ على إقامتها؛ لمـا لهم من تأثير في نفـوس الآخرين من ناحية، أو لدورهم المتميّز فيما يحملونه من أفكار وتطلّعات إيجابية من ناحية أُخرى.

ـ الاهتمام بمبدأ أخذ الدروس والعبر من واقعة الطفّ؛ بصفتها مدرسة تاريخية أعطـت ثمارها على مـدى حقب وأجيال متتالية، وليس كما يعتقـد بعض أو يظنّ أنّها مناسـبة للتألّم والبكاء والنوح. نعم، كلّ هذه الأُمور تُعدّ من معطيات واقعة الطفّ، لكنّ العطاء الأكبر هو ما حوته من دروس وعبر مثالية لبناء الإنسـان والمجتمع، بل لبناء الإنسانية والعالم أجمع.

ـ العمـل على زرع الصفات والأخلاق التي تنمّي شـخصية الفرد، وتزرع الثقة في نفسـه، وتجعلـه يدافـع عن عقيدتـه وعن المبـدأ الذي يلتزمـه ويؤمن بـه، فالإمام الحسين عليه السلام وإن خسر المعركة عسكرياً، فإنّه نجح نجاحاً باهراً في الدفاع عن عقيدته ودينه ومنظومة قيمه الإيمانية والإسلامية والتربوية.

ـ إعطـاء القيـم الحقيقية لكلّ عمل في الشـعائر الحسـينية، لأنّهـا تعكس الواقعة بنسـب متفاوتـة، فالشـعيرة الناجحة هـي التي تعكـس التطبيق الفعلي في شـخصية الفـرد، وتـترك آثارها الإيجابيـة فيها، فيجب أن تعمل هذه الشـعائر عـلى أن يتّصف الفرد ببعض السلوكيّات الإيجابية، ويترك السلبية.

ـ وينبغي للشـعائر الحسينية أن تنفرد في الكثير من المواطن باحتوائها على عنصر القدوة، هـذا العنصر يخلق حالة الاتّباع والاقتداء بالأصلح، وكان من المفترض على القائمين بالشعائر الحسينية أن يظهروا ويجسّدوا الصفات الحسنة؛ لكي تترك انطباعها الجيّـد في نفـوس الآخرين، خصوصاً الأطفال؛ لأنّ مسـألة التقليـد والمحاكاة عنصر مهـمّ في حيـاة الطفل، وعن طريقها يتعلّم الكثير مـن الصفات والأخلاق والعادات

والمهارات المختلفة.

ـ العمل على خلق حالة الوعي الاجتماعي لدى أفراد المجتمع؛ فإنّ الشعائر الحسينية ذات طابع جماعي يخلق روح العمل التعاوني، وتُساعد على أن يتعلّم بعض من بعض، وتُسهم في إيجاد العمل على البرّ والتقوى، وبذلك تكون الشعائر الحسينية مجموعة من الأنشطة، والإجراءات التي تعتمد على تفاعل الناس وتعاونهم لإنجاز عمل معيّن في ضمن أفكار وعقيدة واحدة.

ـ استعراض الحالة الإعجازية، أو استجابة الدعوات التي صدرت عن الإمام الحسين عليه السلام، وتحقّقت في حين الواقعة، أو تحقّقت بعدها بأمد قصير أو طويل، وبيان التفسير العلمي لذلك، مع ضرورة الابتعاد عن إدخال تلك الموارد في إطار الأساطير، أو إبعادها عن دائرة العقل والمنطق، بل بيانها بمضامين علمية ذات هدف كبير، يُبرز الدور الإلهي الموكّل به الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّه إمام معصوم، مفترض الطاعة، ذو منزلة كبيرة في السماء، فلا بدّ أن تكون له كرامة في واقعة الطفّ.

ـ وأخيراً إفهام المجتمع أنّ الشعائر الحسينية هي جزء من نهضة الثورة الحسينية، وهي الإرث الباقي الذي تركته هذه الثورة، والذي تجب المحافظة عليه، وتنشئة جميع الأفراد والأبناء عليه؛ لأنّ المحافظة عليه هي جزء من الوفاء للثورة وقائدها وشهدائها الكرام[1].

الشعائر الحسينية في الجامعات العراقية

«يشكّل التعليم عنصراً أساسياً في بناء منظومة المجتمع، وتظهر أهمّية التعليم في المجتمع من كونه أهمّ وسائل اللحاق بركب الإنسانية»[2].

(١) أُنظر الموقع الإلكتروني: https: / /alhikmeh.org /yanabeemag

(٢) العبادي، هاشم، والطائي، يوسف، تسويق خدمة التعليم الجامعي وملاءمتها مع احتياجات الزبون.. دراسة تطبيقية، مجلّة الإدارة والاقتصاد: العدد الخامس والستّون، السنة (٢٠٠٧م)، ص١١٣.

إنّ الجامعات والمعاهد العراقية تتوشّح بالسواد حزناً على سيّد الشهداء عليه السلام، وقد شرعت العتبة الحسينية بالتعاون مع هذه المراكز العلمية في رفع راية الحزن فيها؛ إحياءً لذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، فكان هناك تفاعل من قبل الأساتذة والطلبة، وحضور كبير في هذه المراسم التي تحمل الكثير من المعاني والقيم الأخلاقية، والتي تُسهم في تصحيح مسارات المجتمع، وتشارك في رسم المستقبل لطلبتنا، لتكون نبراساً يهتدي به الطلبة والأساتذة.

كلُّ مَن يدخل الجامعة يرى راية خفّاقة في سمائها تقول: (لبيك يا حسين)، تمثّل هذه الراية رسالة الإصلاح الداعية إلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعطي الجامعات العلمية الدافع إلى السير على النهج الذي سار عليه الإمام الحسين عليه السلام، لا سيّما في هذه الأيّام التي يلتبس فيها الحقّ بالباطل.

ولأهمّية هذا التعاون تحدّث رئيس جامعة ميسان الدكتور علي الشاوي عن التواصل والتلاقي بين المؤسّسة الدينية والحرم الجامعي، لخلق مناخ لتلاقي الأفكار، يؤثّر في زيادة وعي الطلبة، ويعزّز مستواهم العلمي والأخلاقي، فما يقام اليوم في حرم جامعة ميسان من مراسم حسينية ـ كرفع الراية السوداء المباركة؛ لما تحمله من مضامين ودلالات إنسانية ـ يجعل من الطالب قوّة لمواجهة كلّ الأوضاع والمشاكل الطارئة.

أمّا ممثّل الطائفة المسيحية في محافظة ميسان الأُستاذ جلال دانيال نوما، فقد تحدّث عن مشاركة الطائفة المسيحية في رفع راية الإمام الحسين عليه السلام في حرم جامعة ميسان، ونحن نقف اليوم باسم الإنسانية تحت هذه الراية المباركة، راية الحقّ. ومن الجامعات التي قامت برفع الراية أيضاً: جامعة كربلاء، جامعة الكوفة، جامعة القادسية، جامعة المثنّى، جامعة بابل، جامعة ميسان[1].

(١) الأسدي، عماد، الروضة الحسينية: ص١٢ـ١٣.

سبل نشر الشعائر الحسينية

١ـ إعطاء العالم الإسلامي وغيره الصورة الحقيقية للنهضة الحسينية، وهي أنّها نهضة وعي خالدة، اعتمدت على التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد.

٢ـ بيان مظلومية الإمام الحسين عليه السلام بصورة صحيحة، وأنّه لم يخرج لغرض طلب المنصب أو الرئاسة، بل كانت أعمدة نهضته هي الإصلاح، ونبذ الظلم.

٣ـ الاهتمام بالقنوات الفضائية في بثّها لزيارة الأربعين بصفتها رحلة نحو التكامل، وتسليطها الضوء على قيمها الفردية والاجتماعية؛ لما لذلك من أثر في السلوك الجمعي.

٤ـ إعداد البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية والتربوية والنفسية والاقتصادية والسياسية في زيارة الأربعين، ودراستها بصورة علمية على وفق منهج البحث العلمي الرصين.

٥ـ التوثيق العلمي الدقيق لزيارة الأربعين في كلّ سنة، وتوثيق بقية الشعائر الأُخرى، وبيان جذورها التاريخية الأصيلة.

٦ـ الحثّ على نشر مبدأ العفو والتسامح والتعاون والمحبّة والأُخوّة بين المسلمين وغيرهم، وبيان أنّ هذه المعايير هي أهمّ ما خرج الحسين عليه السلام من أجله.

ثانياً: الدراسات السابقة

لم يعثر الباحث على دراسات سابقة تخصّ موضوع الشعائر الحسينية من الناحية التربوية والنفسية، سواءٌ كانت دراسات وصفية أو تجريبية.

المبحث الثاني: إجراءات البحث

في هذا المبحث سيصف الباحث الخطوات التي اتّبعها لتحقيق أهداف بحثه، معتمداً منهج البحث الوصفي، متمثّلاً في التصوّر الدقيق للعلاقات المتبادلة بين

أفراد المجتمع في الاتّجاهات والميول والرغبات؛ لأنّه المنهج الملائم لدراسة هذه الظاهرة، ولأنّ ذلك يُعدّ استقصاءً علمياً وموضوعياً ينصبّ على ظاهرة أو قضية معيّنة قائمة في الواقع[١].

أوّلاً: مجتمع البحث

قبل اختيار عيّنة البحث الأساسية لا بدّ للباحث أن يُقدّم وصفاً للمجتمع الأصلي وسماته؛ إذ لا يمكن الحصول على عيّنة مُمثّلة ما لم يُحدَّد المجتمع الأصلي[٢].

ويجب تحديد مجتمع البحث الأصلي ومكوّناته الأساسية تحديداً واضحاً ودقيقاً[٣]، والغرض من تعريف المجتمع هو تحديد ما يشمله من أفراد[٤]، أي: إنّه يحتوي جميع مفردات الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها[٥].

ويتألّف مجتمع البحث من (١٦٨١) طالباً وطالبةً، موزّعين على مراحل كلّية التربية وأقسامها: قسم اللغة العربية، قسم اللغة الإنجليزية، قسم الرياضيات، قسم التاريخ، قسم الجغرافية، قسم العلوم التربوية والنفسية.

جدول (١): أعداد الطلبة على وفق المراحل الدراسية:

المرحلة	المرحلة الأُولى		المرحلة الثانية		المرحلة الثالثة		المرحلة الرابعة	
الجنس	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
العدد	١١٦	٣٩٠	١١٨	٤٤٣	٣٧	١٨٦	٧٣	٣١٨
المجموع	٥٠٦		٥٦١		٢٢٣		٣٩١	
العدد	١٦٨١							

(١) أُنظر: وجيه محجوب، أُصول البحث العلمي ومنهاجه: ص٢٧٦.
(٢) أُنظر: جابر عبد الحميد، وأحمد خيري كاظم، منهاج البحث في التربية وعلم النفس: ص٢٣٢.
(٣) قنديلجي، عامر، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية: ص١٥٩.
(٤) أبو علام، رجاء، مدخل إلى منهاج البحث التربوي: ص٨٤.
(٥) سامي محمد ملحم، القياس والتقويم في التربية وعلم النفس: ص١٣٣.

ثانياً: عيّنة البحث

هـي الجزء الـذي يمثّل مجتمع الأصل، أو الأُنموذج الـذي يجري الباحث مجمل عمله عليه[1].

ولمّا كانت معظم الظواهر التي تُدرَس في التربية تتمثّل في مجموعة كبيرة من الأفراد يصعب حصرهم، فإنّ الباحث غالباً ما يلجأ إلى دراسة الظواهر في مجموعات صغيرة، يختارها من بين هذه المجموعات الكبيرة، وتُسمّى هذه المجموعة الصغيرة بالعيّنة[2].

ولقد اختار الباحث عيّنة البحث من المجتمع الأصلي، ثمّ قسّمها إلى قسمين:

١ـ العيّنـة الاسـتطلاعية: بلـغ عدد أفـراد هذه العيّنـة (١٠٠) طالـب وطالبة، وقـد عرض عليهـم الباحث الاسـتبانة المفتوحة التي تضمّنت السـؤال الآتي: ما هو دور الشـعائر الحسـينية (زيارة الأربعـين أُنموذجاً) في رفع مسـتوى القيم الأخلاقية للمجتمع في نظركم؟

٢ـ العيّنة الأساسـية: بلغ عدد أفراد هذه العيّنة (١٠٠) طالب وطالبة، عرضت عليهم الاستبانة النهائية المغلقة.

ثالثاً: إعداد أداة البحث (الاستبانة)

وهي أداة يسـتعملها المشـتغلون بالبحـوث التربوية في نطاق واسـع؛ للحصول عـلى حقائق عن الظروف والأسـاليب القائمة بالفعل، وإجـراء البحوث التي تتعلّق بالاتّجاهات[3]، وتُعدُّ الاسـتبانة من أهمّ طرق البحث وجمع البيانات وأدقّها في علوم التربية، وخاصّة في البحوث الوصفية[4].

---

(١) وجيه محجوب، أُصول البحث العلمي ومنهاجه: ص١٦٣.

(٢) شعراوي، إحسان، ومنخي علي يونس، مقدّمة في البحث التربوي: ص٢٠٠.

(٣) فان دالين، ديو بولد، منهاج البحث في التربية وعلم النفس: ص٤٣١.

(٤) أُنظر: مروان عبد المجيد إبراهيم، أُسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية: ص١٦٥.

وعلى وفق إجابات الاستبانة المفتوحة أعدّ الباحث الاستبانة المغلقة؛ إذ رتّبها على وفق مستوى تكرارها في الاستبانات المفتوحة، وبلغ عدد فقراتها (٤٠) فقرة.

رابعاً: صدق الأداة

الصدق هو أحد الروابط الواجب توفّرها في أداة البحث المستعملة؛ لأنّه يتعلّق بما تعنيه الأداة فعلاً[١]. وتعني: قدرة الأداة على قياس الظاهرة التي وضعت لقياسها.

ومن أكثر الطرائق استعمالاً ـ لا سيّما في الأدوات التي تسعى إلى معرفة محتواها أو مضمونها ـ أن تعرض الأداة على مجموعة من أصحاب الخبرة في المجال الذي وضع مقياسه، ويتمّ أخذ أداة المحكّمين في الفقرات، وفي حالة حصول الموافقة على هذه الفقرات يُعدّ ذلك دليلاً على صدق الأداة[٢].

وقد تمّ عرض الاستبانة النهائية بعد صياغتها على مجموعة من الخبراء والمختصّين في علم النفس التربوي، فحصلت أغلب الفقرات على موافقة الخبراء، مع إجراء بعض التعديلات البسيطة، وبلغ عدد الخبراء (١١) خبيراً (ملحق ٢).

خامساً: ثبات الأداة

الأداة الثابتة: هي التي تُعطي النتائج نفسها، أو نتائج مقاربة لها إذا طُبِّقت أكثر من مرّة في ظروف متماثلة ومتشابهة، ويمكن حساب ثبات الاختبار بطريقة إعادة تطبيق الاختبار المعدّ (Test – Retest method)؛ لذلك اختار الباحث طريقة واحدة لحساب الثبات، وهي طريقة إعادة الاختبار، وهذه الطريقة تقوم على أساس تطبيق الأداة على عيّنة استطلاعية مناسبة، تمّ اختيارها من مجتمع البحث الكبير، فقد اختار الباحث (٥٠) طالباً وطالبة من طلبة المرحلة الرابعة في قسم اللغة العربية في كلّية

(١) عبد الله عبد الدائم، التربية التجريبية والبحث التربوي: ص٢٠٠.
(٢) الطيّب، أحمد، الإحصاء في التربية وعلم النفس: ص٢٩٣.

التربية ـ جامعة ميسان لتطبيق الاختبار والتحقّق من ثباته، وبعد مرور مدّة مناسبة ترتبط بطبيعة الظاهرة المدروسة، وتنحصر هذه المدّة ما بين (أُسبوع ـ ٦ أشهر) على رأي أغلب المصادر التربوية، يعاد تطبيق الأداة نفسها على هذه المجموعة، وبذلك يكون لكلّ فرد منهم درجة في الاختبار الأوّل، ودرجة في الاختبار الثاني، وبعد ذلك يتمّ جمع درجات الاختبار الأوّل والثاني، وإيجاد معامل الارتباط بينهما (معامل ارتباط بيرسون Person).

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ العلاقة بين الاختبارين باستعمال هذا الارتباط تنحصر بين (-١ و + ١)، وقد أجرى الباحث الاختبار الأوّل في (١٠/ ١٢/ ٢٠١٧)، وتمّ إعادة الأداة نفسها بعد مرور أُسبوعين، وبعد أن طبّق الباحث العمليات الإحصائية الملائمة، كانت نتيجة العلاقة بين تطبيق الاختبار في المرّة الأُولى والمرّة الثانية هي (٠،٨٩)، وهذا يعني أنّ هناك علاقة قوّية بين درجات الطلبة في الاختبار الأوّل والاختبار الثاني، وبذلك تكون الأداة ثابتة؛ لأنّها أعطت نتائج متقاربة.

سادساً: تطبيق الأداة

بعد أن أجرى الباحث مستلزمات إعداد أداة البحث، طبّقها بصيغتها النهائية على عيّنة بحثه، للإجابة عنها، ثمّ أجرى العمليات الإحصائية المناسبة التي توصّل من خلالها إلى نتائج بحثه.

سابعاً: الوسائل الإحصائية

١ـ **النسبة المئوية**: استعملت في تحويل التكرارات في كلّ فقرة من فقرات الاستبانة إلى نسبة مئوية.

٢ـ **الوسط الحسابي**: استعمل في إيجاد الوسط الحسابي المرجّح لكلّ فقرة من فقرات الاستبانة.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الباحث استعمل المقياس (٣، ٢، ١)؛ حيث أعطى الفقرة التي تشكّل دوراً كبيراً (٣)، والفقرة التي تشكّل دوراً متوسّطاً (٢)، والفقرة التي ليس لها دور (١).

٣ـ الوزن المئوي: لمعرفة درجات كلّ فقرة من الفقرات وترتيبها بالنسبة إلى الفقرات الأُخرى، ويقصد بالدرجة القصوى أعلى درجة في المقياس، وهي (٣).

المبحث الثالث: عرض نتائج البحث ومناقشتها

يتضمّن هذا المبحث النتائج التي توصّل إليها الباحث في ضوء هدف البحث، وذلك بالكشف عن دور الشعائر الحسينية في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلّية التربية في جامعة ميسان.

وقد تمّ حساب تكرار استجابات الطلبة على فقرات الاستبانة المغلقة، ثمّ حساب الوسط المرجّح لكلّ فقرة ووزنها المئوي، ثمّ رتّبت الأسباب ترتيباً تنازلياً، من أعلاها حدّة إلى أدناها حدّة، وفيما يأتي عرض النتائج:

جدول (٢): دور الشعائر الحسينية في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلّية التربية في جامعة ميسان بصورة تنازلية على حسب الوسط المرجّح والوزن المئوي:

الرتبة	تسلسل الفقرة	الفقرات على حسب الرتبة	الوسط المرجّح	الوزن المئوي
١	٢٢	تربية الأجيال على أخلاق أهل البيت عليهم السلام	٢,٧٦	٩٩
٢	٦	ترفع شأن الإسلام والمسلمين	٢,٧	٩٧
٣	١٧	لها دور كبير في إحياء الإسلام ونشر تعاليمه	٢,٧٢	٩٧
٤	١٨	تغرس في أعماقنا العبودية لله عزّ وجلّ	٢,٨٨	٩٦
٥	٢٤	الشعائر الحسينية أحد مصاديق شعائر الله	٢,٨٨	٩٦

٦	١	تشحذ النفوس لمحاربة الظلم ونصرة الحقّ	٢,٨٦	٩٥
٧	١٦	تُعطي حافزاً كبيراً لإظهار الحقّ والقضاء على الباطل	٢,٨٦	٩٥
٨	٢٧	الشعائر الحسينية ضمان للحاضر والمستقبل	٢,٨٤	٩٥
٩	١٠	الشعائر الحسينية منطلق لتأصيل الأفكار والقيم وتشديدها	٢,٨٤	٩٥
١٠	٢٨	تمثّل أهمّ روافد استمرار الارتباط البشري بقضية أهل البيت عليهم السلام	٢,٨٢	٩٤
١١	١٣	تُعطي دورساً في الحرّية والانتصار والثبات	٢,٨٢	٩٤
١٢	٢	تنمّي القيم الأخلاقية لدى الإنسان	٢,٨	٩٣
١٣	٤	تُسهم في نقل التراث الديني	٢,٨	٩٣
١٤	٣٤	هي دعوى إلى تطبيق أُصول الدين وفروعه	٢,٧٨	٩٣
١٥	٣٦	تُعمّق روح الولاء في نفوس الناس	٢,٧٨	٩٣
١٦	٤٠	هي دعوى إلى كلّ الأديان الأُخرى داخل البلد وخارجه	٢,٨	٩٣
١٧	١٢	لها دور في بناء الشخصية الإيمانية الواعية	٢,٧٦	٩٢
١٨	١٩	تُنمي حركة التآخي بين المسلمين والأديان الأُخرى	٢,٧٦	٩٢
١٩	٢٩	تغرس في أعماق المجتمع العطف وخدمة الآخرين	٢,٧٦	٩٢
٢٠	٣٠	أهمّ أسباب السعادة في الدنيا والآخرة	٢,٧٦	٩٢
٢١	١١	تعمل على تحويل الواقع السلبي إلى واقع إيجابي سليم	٢,٧٦	٩٢
٢٢	٣	تحقيق العدالة والمساواة بين الناس	٢,٧٤	٩١
٢٣	٧	لها دور في حثّ الناس على الجهاد	٢,٧٤	٩١
٢٤	٣٣	تزوّد الفرد بقوّة الإيمان	٢,٧٢	٩١
٢٥	٣٨	من عوامل الابتعاد عن المحرّمات، وتعديل السلوك المنحرف	٢,٧٤	٩١
٢٦	٣٩	تنمّي روح التعاون والعمل الجماعي بين أفراد المجتمع	٢,٧٤	٩١
٢٧	٩	تؤدي إلى رُقي الفرد والأُمّة معنوياً ومادّياً	٢,٧	٩٠
٢٨	١٤	تعمل على إيقاظ الضمير الإنساني الحي	٢,٧	٩٠

٢٩	٢٠	تطبع أثراً عظيماً في النفوس البشرية	٢,٧	٩٠
٣٠	٢٣	تشكل الهوية الحضارية للأُمّة	٢,٦٨	٨٩
٣١	٣٥	تُعطي الدين المفهوم الصحيح، وتُعيده إلى الحياة	٢,٦٨	٨٩
٣٢	٥	تُشكل مدارس علمية وأدبية وتربوية	٢,٦٤	٨٨
٣٣	١٥	تُعطي سلوكيّات المجتمع فهماً واسعاً	٢,٦٤	٨٨
٣٤	٢١	أُسلوب ناجح في مجابهة التأثير الغربي	٢,٦٤	٨٨
٣٥	٣١	زيادة ثقافة الرقي في شخصية الفرد والمجتمع	٢,٦٤	٨٨
٣٦	٢٥	تعزيز قيمة المرأة في المجتمع	٢,٦	٨٧
٣٧	٨	تشجيع الإنسان على أن يكون إنساناً يستمتع بحرّيته	٢,٥٨	٨٦
٣٨	٣٢	تفتح آفاقاً فكرية واقتصادية واسعة	٢,٥٨	٨٦
٣٩	٣٧	تُعدّ أحد الخطوط العامّة في بناء الجماعة الصالحة	٢,٥٨	٨٦
٤٠	٢٦	هي منهج لتربية الشباب وتفعيل دورهم في النهوض بقيم المجتمع	٢,١	٧٠

مناقشة النتائج

١ـ تضمّن الجدول (٢) مجموعة فقرات، عددها (٤٠) فقرة، مثلّت دور الشعائر الحسينية في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلّية التربية في جامعة ميسان، تراوحت حدّة فقراته الوسط المرجّح بين (١,٢ـ٢,٩٦) وبأوزان مئوية (٧٠٪ـ٩٩٪).

٢ـ أظهرت النتائج أنّ فقرة (تربية الأجيال على أخلاق أهل البيت عليهم السلام) نالت الترتيب الأوّل؛ إذ بلغت درجة حدّتها (٢,٧٦)، ووزنها المئوي (٩٩٪)، فمن خلال ممارسة الشعائر الحسينية يتحلّى المرء بأخلاق أهل البيت عليهم السلام؛ إذ إنّ مدرسة سيّد الشهداء هي النبع المتدفّق للقيم الإسلامية التي تجعل الأجيال على الطريق الصحيح؛ وذلك أنّ الشعائر الحسينية ترفع المستوى الأخلاقي للفرد، والفردُ جزء من المجتمع،

وإذا تـمّ إصلاح الفـرد، أصبح من الممكن إصلاح المجتمع، ولهـا دور كبير في تعليم الأطفال المنهج الحسـيني، وترسيخه في أذهانهم، وجعله خارطة للصلاح في حياتهم المسـتقبلية، فهي الإطار والمضمون الحقيقي للملحمة الخالدة التي كتبها الحسين عليه السلام للأجيال بدمائه ودماء أهل بيته وأصحابه.

٣ـ تأتي في المرتبة الثانية فقرة (ترفع شـأن الإسـلام والمسلمين)؛ إذ بلغت درجة حدّتهـا (٧ , ٢)، ووزنهـا المئـوي (٩٧٪)، فالشـعائر الحسـينية تشـكّل هويـة الأُمّـة الإسـلامية، فهـي الانتـماء الحقيقي إلى مدرسـة الإسـلام، وإنّنا تعلّمنا من الإسـلام الشيء الكثير، وتخلّقنا بأخلاقه، واهتدينا بهديه الذي هو (محمّدي الوجود، حسـيني البقاء)، فعلينا ألّا نفقد هذه السمة في ديننا وسيرتنا.

٤ـ أمّا فقرة (لها دور كبير في إحياء الإسـلام ونشر تعاليمه)، فقد احتلّت المرتبة الثالثـة؛ إذ حصلـت على درجة حدّتهـا (٧٢ , ٢)، الوزن المئـوي (٩٧٪)، فإنّ إحياء الإسلام يتمّ من خلال التزام الأغلبية بتعاليم الدين الصحيح، ممّا يبيّن أهمّية الإسلام وقيمته في حياة البشرية، والشـعائر الحسـينية تُساعد على ترسـيخ الدين في الأذهان، فهي توضّح لنا معالم الدين الحنيف بشكل صحيح.

٥ـ إنّ فقرة (تغرس في أعماقنا العبودية لله عزّ وجلّ) جاءت بالترتيب الرابع، وبدرجة حدّتها (٨٨ , ٢)، والوزن المئوي (٩٦٪)؛ فإنّ جلّ ما نملك من قيم ومبادئ هي ـ في الواقع ـ من بركات تضحيات سيّد الشهداء عليه السلام، فذكرى عاشوراء هي التي غرست في أعماقنـا العبوديـة لله عزّ وجلّ؛ إذ تقوّي أواصر الدين والأخلاق، وتعمّق روح الشـعور بالمسؤولية قبال الله تعالى، وإنّ الإنسان يسمو بأخلاقه وعلاقته بالله تعالى.

٦ـ حصلـت فقـرة (الشـعائر الحسـينية أحـد مصاديـق شـعائر الله) عـلى المرتبة الخامسـة، ودرجـة حدّتهـا (٨٨ , ٢)، والـوزن المئوي (٩٦٪)؛ فالشـعائر الحسـينية تُعدّ من أقوى الشـعائر الدينية التي تجعل الفـرد ملتزماً بالأخلاق، ومن المعروف أنّ العبـادة الحقيقيـة هي التي تقـود إلى التصديـق، والتصديق هو البحـث عن مصداق

الحقّ، وتحقيق طاعته، ولا شكّ أنّ طاعة الإمام الحسين عليه السلام هي طاعة الله تعالى، كيف لا وقد قدّم ما قدّم من تضحيات لترسيخ دعائم الدين، حتّى نفسه التي بين جنبيه.

٧ـ جاءت فقرة (تشحذ في النفوس محاربة الظلم ونصرة الحقّ) بالرتبة السادسة، وبدرجة حدّتها (٨٦ , ٢)، الوزن المئوي (٩٥٪)، فمن خلال الشعائر الحسينية تنهض الأُمّة بمبادئها، وبرفض الظلم، وعدم الذلّ والهوان، بل بالعزّة التي لا يليق سواها بالإنسان، ويبرز من خلال هذه الفقرة حجم الظلم، وكيفية الوقوف ضدّه، حتّى لو كلّف ذلك الأرواح، وتَعِدُ بإعلاء صوت الحقّ، والدفاع عن الحرّية، وتطهير النفوس من الأفكار السلبية التي تؤثّر في القيم الدينية.

٨ـ جاءت فقرة (تعطي حافزاً كبيراً لإظهار الحقّ والقضاء على الباطل) بالمرتبة السابعة؛ إذ حصلت على درجةٍ حدّتها (٨٦ , ٢)، والوزن المئوي (٩٥٪)؛ فإنّ الشعائر الحسينية رمز من رموز الاحتجاج ضدّ الظلم والفساد، وهي امتداد لما بدأت به النهضة الحسينية، وما تعرّض له أهل البيت عليهم السلام، فهي تسلّط الضوء على حقيقة الصراع الأبدي بين جبهة التوحيد وجبهة الشرك، وبين القيم وأضدادها، وبين الأخلاق الحميدة وغيرها، وبين عروج الإنسان وسقوطه.

٩ـ جاءت فقرة (الشعائر الحسينية ضمان للحاضر والمستقبل) بالمرتبة الثامنة، وبدرجةٍ حدّتها (٨٤ , ٢)، والوزن المئوي (٩٥٪)، وهي تعمل على تنمية الوعي الأخلاقي والإنساني والتربوي عن طريق الإيثار والعطف وخدمة الآخرين، ومن خلال هذا يستلهم محبّو الإمام عليه السلام والمجتمع عامّة قيماً ومفاهيم جديدة من مدرسة عاشوراء الخالدة، وبذلك تُعدّ أهمّ أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

١٠ـ حصلت فقرة (الشعائر الحسينية منطلق لتأصيل الأفكار والقيم وتجديدها) على المرتبة التاسعة، ودرجة حدّتها (٨٤ , ٢)، والوزن المئوي (٩٥٪)، فإنّ كلّ ما ذُكر ويذكر عن الشعائر الحسينية هو ترجمة لنهضة الإمام الحسين عليه السلام، ويعتمد ذلك بدرجة أساسية على كيفية نقل هذه الشعائر وإلقائها بطريقة سليمة سلسة يلقاها

المستمع بيسر وسهولة؛ فإنّ حبّ الحسين عليه السلام هو محرّك القلوب والعقول والضمائر الحيّة، وهو إرثنا الذي ورثناه بالفطرة، كما ورثه أجدادنا وآباؤنا من قبل؛ لذا نرجو الشفاعة لمَن يقيم الشعائر.

١١ـ أمّا فقرة (تمثّل أهمّ روافد استمرار الارتباط البشري بقضية أهل البيت عليهم السلام)، فقد جاء تسلسلها بالمرتبة العاشرة، وبدرجة حدّتها (٨٢ , ٢)، الوزن المئوي (٩٤٪)، فهي القضية التي أسبل عليها التاريخ أنهاراً من الدموع، ورسّخت المبادئ والقيم في نفس الفرد، وأدّت إلى حسن الخلق والمعاملة الحسنة، ونتجت عنها حركة عاطفية وانفعالية واضحة لدى شرائح من الجمهور؛ بسبب تفاعلهم الوجداني والعاطفي القوي مع فاجعة الطفّ، فهي تحفظ للجمهور عاطفته وانشداده وارتباطه بمأساة عاشوراء.

١٢ـ حصلت فقرة (تعطي دروساً في الحرّية والانتصار والثبات) على المرتبة الحادية عشرة، ودرجة حدّتها (٨٢ , ٢)، والوزن المئوي (٩٤٪)؛ فقد تجلّت هذه الأهداف في فكر سيّد الشهداء عليه السلام، وفي عمله أيضاً، وكذلك لدى أنصاره وأتباعه، فبالحرّية يستطيع الإنسان أن يستنشق أريج العبادة المطلقة لله تعالى، وبها يشعر الإنسان بإنسانيّته؛ ولهذا أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى أنّ الحرّية قيمة إنسانية قبل أن تكون قيمة إسلامية أو سماوية، وهذه الأهداف توجّه الناس إلى الطريق الصحيح، طريق النجاة في هذه الدنيا الفانية.

١٣ـ ظهرت فقرة (تنمّي القيم الأخلاقية لدى الإنسان) في المرتبة الثانية عشرة، ودرجة حدّتها (٨ , ٢)، والوزن المئوي (٩٣٪)، وهي تساعد الإنسان على التمسّك بالأخلاق الحميدة والمرغوبة في المجتمع، وعلى الالتزام بالقيم الأخلاقية، وتقيّد المجتمع بالاتّصاف بحسن الخلق؛ فإنّه جامع للفضائل الكثيرة، من الحكمة والرفق والتواضع والحلم والصبر وغيرها.

١٤ـ حصلت فقرة (تُسهم في نقل التراث الديني) على المرتبة الثالثة عشرة،

ودرجة حدّتها (٨ , ٢)، والوزن المئوي (٩٣٪)، ويستفاد منها في الحثّ على الاستزادة من العلوم الدينية؛ فإنّ تلك المراسم هي مواسم للتبليغ، ونشر العلوم الدينية بكلّ يسر وسهولة؛ وذلك لكثرة تواجد المؤمنين وتحشّدهم حول المنبر الحسيني، وتوفّر وسائل الإعلام، فالشعائر الحسينية تعكس رسالة أهل البيت عليهم السلام ووعيهم للإسلام، ومواقفهم التاريخية التي حافظت على نقاوة الإسلام، ومنعت من تحريفه، فهي مجال خصب لدعوة الناس إلى الإسلام ونشره، وتوجّيههم إلى هدي أهل البيت عليهم السلام، والتعريف بمفاهيم الإسلام والقرآن، ودعوة الناس إلى إقامة فرائض الله تعالى.

١٥ـ أمّا فقرة (هي دعوة إلى تطبيق أُصول الدين وفروعه)، فقد جاء تسلسلها بالمرتبة الرابعة عشرة، وبدرجة حدّتها (٧٨ , ٢)، والوزن المئوي (٩٣٪)، وهي تقتضي أن نقتدي بشخص أراد لنا أن نكون، بعدما أراد لنا غيره ألّا نكون، أراد لنا أن نأمر بالمعروف، بعدما أراد لنا غيره أن نكون مع المنكر، وجسّد لنا من خلال تضحيته عليه السلام مفاهيم عظيمةً، كوحدة الدين، وإقامة الصلاة، وحفظ الحقوق، ورعاية المقرّبين. كان عليه السلام يريد أن يبيّن لنا معنى الأُخوّة، والصداقة والرفقة، وحسن المعاملة، وأن نكون صابرين محتسبين، حافظين للعهد والأمانة والصدق، فهو مدرسة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

١٦ـ حصلت فقرة (تعمّق روح الولاء في نفوس الناس) على المرتبة الخامسة عشرة، ودرجة حدّتها (٧٨ , ٢)، والوزن المئوي (٩٣٪)؛ فإنّ الشعائر الحسينية تعمل على تعميق الولاء في نفوس الناس، ودفعهم إلى الثورة والرفض لكلّ ما يخالف شريعتنا، فينبغي لنا أن نعلن ارتباطنا وولاءنا وانتماءنا، والولاء هو الارتباط النابع من القلب الحاكم على كلّ صلات الإنسان وعلاقاته، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[1].

(١) المائدة: الآية ٥٥.

الخاتمة

من خلال النتائج التي توصّل إليها هذا البحث، يوصي الباحث بما يأتي:

١ـ أن يتمّ بحث مسألة الشعائر الحسينية؛ لأنّها تشكّل أهمّ دعامة للحفاظ على قوّة الثورة الحسينية المقدّسة، ولأنّها تربط ينبوع الصفات النفسية المحرّكة بالثورة.

٢ـ المواظبة على إحياء الشعائر الحسينية؛ لأجل رفع مستوى القيم الأخلاقية، والعمل بما نعلم وما نؤمن به، والسعي إلى الاقتراب أكثر فأكثر من قيم سيّد الشهداء عليه السلام.

٣ـ أن يتمّ الاعتناء بالشعائر الحسينية في شتّى المناسبات خلال العام.

ويقترح الباحث عدّة اقتراحات استكمالاً لما توصّل إليه:

٤ـ إجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة على مستوى طلبة الدراسات العليا.

٥ـ إجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة في دور الشعائر الحسينية في رفع مستوى القيم الأخلاقية للمجتمع من وجهة نظر طلبة كلّيات أُخرى، مثل كلّية التربية الأساسية، أو كلّية الآداب.

٦ـ إجراء دراسة مماثلة لهذه الدراسة على مستوى طلبة المدارس الثانوية.

ملحق (١)

فقرات الاستبانة الأصلية:

الرتبة	الفقرات على حسب الرتبة	دور كبير	دور متوسّط	ليس لها دور
١	تشحذ النفوس لمحاربة الظلم ونصرة الحقّ			
٢	تنمّي القيم الأخلاقية لدى الإنسان			
٣	تحقّق العدالة والمساواة بين الناس			
٤	تُسهم في نقل التراث الديني			

٥	تشكّل مدارس علمية وأدبية وتربوية			
٦	ترفع شأن الإسلام والمسلمين			
٧	لها دور في حثّ الناس على الجهاد			
٨	تشجّع الإنسان على أن يكون إنساناً يستمتع بحرّيته			
٩	تؤدّي إلى رقيّ الفرد والأُمّة معنوياً ومادّياً			
١٠	الشعائر الحسينية منطلق لتأصيل الأفكار والقيم وتجديدها			
١١	تعمل على تحويل الواقع السلبي إلى واقع إيجابي سليم			
١٢	لها دور في بناء الشخصية الإيمانية الواعية			
١٣	تُعطي دروساً في الحرّية والانتصار والثبات			
١٤	تعمل على إيقاظ الضمير الإنساني الحي			
١٥	تُعطي سلوكيّات المجتمع فهماً واسعاً			
١٦	تُعطي حافزاً كبيراً لإظهار الحقّ والقضاء على الباطل			
١٧	لها دور كبير في إحياء الإسلام ونشر تعاليمه			
١٨	تغرس في أعماقنا العبودية لله ﷻ			
١٩	تنمّي حركة التآخي بين المسلمين والأديان الأُخرى			
٢٠	تطبع أثراً عظيماً في النفوس البشرية			
٢١	أُسلوب ناجح لمجابهة التأثير الغربي			
٢٢	تربّي الأجيال على أخلاق أهل البيت عليهم السلام			
٢٣	تشكّل الهوية الحضارية للأُمّة			
٢٤	الشعائر الحسينية أحد مصاديق شعائر الله تعالى			
٢٥	تعزيز قيمة المرأة في المجتمع			
٢٦	منهج لتربية الشباب وتفعيل دورهم في النهوض بقيم المجتمع			

٢٧	الشعائر الحسينية ضمان للحاضر والمستقبل			
٢٨	تمثّل أهمّ روافد استمرار الارتباط البشري بقضية أهل البيت عليهم السلام			
٢٩	تغرس في أعماق المجتمع العطف وخدمة الآخرين			
٣٠	أهمّ أسباب السعادة في الدنيا والآخرة			
٣١	زيادة ثقافة الرقي في شخصية الفرد والمجتمع			
٣٢	تفتح آفاقاً فكرية واقتصادية واسعة			
٣٣	تزوّد الفرد بقوّة الإيمان			
٣٤	هي دعوة إلى تطبيق أُصول الدين وفروعه			
٣٥	تُعطي الدين المفهوم الصحيح وتعيده إلى الحياة			
٣٦	تعمّق روح الولاء في نفوس الناس			
٣٧	تُعدّ أحد الخطوط العامّة في بناء الجماعة الصالحة			
٣٨	من عوامل الابتعاد عن المحرّمات وتعديل السلوك المنحرف			
٣٩	تنمّي روح التعاون والعمل الجماعي بين أفراد المجتمع			
٤٠	هي دعوة إلى كلّ الأديان الأُخرى داخل البلد وخارجه			

ملحق (٢)

أسماء السادة الخبراء الذين استعان الباحث بآرائهم خلال مدّة البحث:

ت	اسم الخبير	التخصّص	مكان العمل
١	أ.د. سعيد جاسم الأسدي	فلسفة التربية	كلّية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة
٢	أ.د. سلام ناجي باقر	المناهج وطرائق التدريس العامّة	كلّية التربية/ جامعة ميسان
٣	أ.م. سعد طعمة بليل	طرائق تدريس الاجتماعيات	كلّية التربية/ جامعة ميسان
٤	أ.م. د. محمد مهدي صخي	طرائق تدريس الفيزياء	كلّية التربية/ جامعة ميسان
٥	أ.د. أحمد عبد المحسن كاظم	المناهج وطرائق التدريس العامّة	كلّية التربية الأساسية/ جامعة ميسان
٦	أ.م.د. أسمهان عنبر لازم	طرائق تدريس التاريخ	كلّية التربية الأساسية/ جامعة ميسان
٧	د. أياد نعيم مجيد	فلسفة التربية	كلّية التربية/ جامعة ميسان
٨	د. ليلى قاسم لازم	علم الاجتماع	كلّية التربية/ جامعة ميسان
٩	م. أشرف صالح جاسم	إرشاد تربوي	كلّية التربية/ جامعة ميسان
١٠	م. سوسن هاشم هاتو	طرائق تدريس اللغة العربية	كلّية التربية/ جامعة ميسان
١١	د. نصيف جاسم عاتي	علم الاجتماع	كلّية التربية/ جامعة ميسان

المصادر والمراجع

* القران الكريم

١ـ الإحصاء في التربية وعلم النفس، أحمد محمد الطيّب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة الأُولى، ١٩٩٩م.

٢ـ أُسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، مروان عبد المجيد إبراهيم، مؤسّسة الورّاق، عمان، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٠م.

٣ـ أُصول البحث العلمي ومنهاجه، وجيه محجوب، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة بغداد، بغداد، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٢م.

٤ـ الإمام الحسين عليه السلام في حياتنا الروحية، حسن جمال البلوشي، لجنة سيّد الشهداء للنشر، الكويت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٤م.

٥ـ الإمام الحسين عليه السلام ويوم عاشوراء، مؤسّسة البلاغ، مؤسّسة البلاغ للنشر والتوزيع، طهران، الطبعة السادسة، ٢٠٠٤م.

٦ـ البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، عامر قنديلجي، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

٧ـ البناء الاجتماعي والشخصية، مجلّة العلوم الاجتماعية، كلاوس هارلمان.

٨ـ التربية التجريبية والبحث التربوي، عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٨١م.

٩ـ تسويق خدمة التعليم الجامعي وملاءمتها مع احتياجات الزبون.. دراسة تطبيقية، د. يوسف حجيم سلطان الطائي وهاشم فوزي دباس العبادي، مجلّة الإدارة والاقتصاد، العدد الخامس والستّون، السنة ٢٠٠٧م.

١٠ـ دراسات في علم نفس المرضى، علي عبد العزيز موسى رشاد، مؤسّسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

١١ـ الروضة الحسينية، عماد الأسدي، إصدار: العتبة الحسينية المقدّسة، العدد ١٠٤، كربلاء المقدّسة، ٢٠١٦م.
١٢ـ رؤى في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، محمد الشيرازي، دار صادق، كربلاء المقدّسة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.
١٣ـ السائرون في طريق الحسين عليه السلام، ناصر حسين الأسدي، إصدار: ملتقى الشباب الثقافي، بغداد، الطبعة الثالثة، ٢٠١٣م.
١٤ـ الشخصية والصحّة النفسية، صالح الداهري وناظم هاشم العبيدي، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد، الطبعة الأُولى، ١٩٩٩م.
١٥ـ الشعائر الحسينية، محمد الباقر الحكيم، مؤسّسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٥م.
١٦ـ الصحيح من سيرة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، السيّد مرتضى العسكري وآخرون، مؤسّسة التاريخ العربي للنشر، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٩م.
١٧ـ فاجعة الطفّ مقتل الحسين بن علي عليه السلام، محمد كاظم القزويني، مؤسّسة البلاغ للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٣م.
١٨ـ فاعلية استراتيجية الجدول الذاتي (K.W.L) في تدريس مادّة طرائق التدريس اللغة العربية، نجم عبد الله غالي الموسوي، الدار المنهجية، عمان، الطبعة الأُولى، ٢٠١٥م.
١٩ـ فلسفة عاشوراء في فكر الإمام الخميني، علي البغدادي، المركز الثقافي في الدراسات الإسلامية، بغداد، الطبعة الأُولى، ٢٠١٠م.
٢٠ـ في رحاب الإمام الحسين عليه السلام، إلياس مطران، دار القارئ للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٥م.
٢١ـ في رحاب عاشوراء، محمد مهدي الآصفي، مجمع أهل البيت عليهم السلام للنشر والتوزيع، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.

٢٢ـ القياس والتقويم في التربية وعلم النفس، سامي محمد ملحم، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
٢٣ـ محيط المحيط (قاموس مطوّل للغة العربية)، المعلّم بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٧٧م.
٢٤ـ مدخل إلى منهاج البحث التربوي، رجاء محمود أبو علام، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأُولى، ١٩٨٩م.
٢٥ـ مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، محمد أمين الأميني، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠١٢م.
٢٦ـ مقدّمة في البحث التربوي، إحسان مصطفى شعراوي ومنخي علي يونس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأُولى، ١٩٨٩م.
٢٧ـ منهاج البحث في التربية وعلم النفس، جابر عبد الحميد جابر، وأحمد خيري كاظم، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأُولى، ١٩٧٣م.
٢٨ـ منهاج البحث في التربية وعلم النفس، ديو بولد فان دالين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩م.
29- Landreth, catherine & A. Knopf, Alfred.: ***EARLY child Hood, Behavior and learning*** *1971.*

آداب المشي إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين

السيّد حسين الهاشمي التنكابني

باحث إسلامي، الحوزة العلمية قم المقدّسة/ إيران

The Customs of the Walk to the Shrine of Imam al-Husayn (PBUH) in the Ziyara of Arbaeen

Sayyid Husayn al-Hashimi al-Tonekaboni

Islamic researcher, the religious seminary in Qom, Iran

ملخّص البحث

إنّ زيارة سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام من أهمّ الأُمور التي أكّدتها أحاديث أهل البيت عليهم السلام تأكيداً شديداً، وذكرت لها آثاراً عجيبة في تقوية إيماننا، والتأثير الإيجابي في دنيانا ومعايشنا، خصوصاً زيارة الأربعين، وقد ورد في حديث الإمام العسكري عليه السلام أنّها إحدى علامات المؤمن الخمس.

ولا يخفى أثر هذه الزيارة في زماننا؛ فقد صارت من الشعائر العظيمة للتشيّع، ورمزاً خالداً للحبّ والولاء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، وشوكة في أعين الظالمين، ومحفّزاً إلى الاستقامة في طريق الحقّ والرشاد.

ومن هنا؛ اكتسبت شأناً كبيراً لدى الزائرين؛ لما تنطوي عليه من أهمّية وآداب ورسوم خاصّة بها، تزيدها قوّة وعظمة وتأثيراً، وهذا ما جعلها من أهمّ الأُمور عند الشيعة، بل عند جميع الأحرار.

ولذا تحتّم علينا أن نطّلع على تلك الآداب، ونلتزم بها طوال الزيارة؛ لنحافظ على قدسية هذه الزيارة، ونحظى بجميع الفضائل والأجر الوارد في الروايات لزائر الإمام الحسين عليه السلام.

فالبحث الأساسي هو تعرّف آداب المشي إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما يستدعي أن نبحث في آداب الزائرين المشاة في زيارة الأربعين، وقد حاولنا أن ندرس ونحلّل الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، ونتأمّلها؛ حتّى نعثر على هذه الآداب. والمنهج المتّبع في البحث هو المنهج النقلي والتحليلي.

الكلمات المفتاحية: آداب الزيارة، الزائر، زيارة الأربعين، زيارة الإمام الحسين عليه السلام، المشي في الزيارة.

Abstract

The Ziyara of the Master of the Martyrs, Abu Abdullah al-Husayn (PBUH), is one of the most important matters that are highlighted by the narrations of the Household (PBUT) with strong emphasis. In addition, it was mentioned that it has incredible effects in strengthening our faith and a positive impact on our lives and livelihoods, especially the Ziyara of Arbaeen which was narrated in the hadith of Imam al-Askari (PBUH) as one of the five signs of the believer.

Its impact is evident in our time, as this Ziyara has become one of the great rituals of Shiism and an eternal symbol of love and loyalty to Abu Abdullah al-Husayn (PBUH). This Ziyara has become a thorn in the eye of the oppressors and a motivation for staying on the path of truth and righteousness.

Hence, this Ziyara amassed great significance amongst the visitors due to its importance, customs, and etiquette that add strength, greatness, and impact to it. These factors made the Ziyara one of the important events, not only for the Shias but for all free people.

Thus, we must learn about these customs, and abide by them throughout the Ziyara to preserve the sanctity of this Ziyara and to gain all the virtues and rewards mentioned in the narrations for the visitor of Imam al-Husayn (PBUH).

Therefore, the main objective is to learn about the customs of walking to the shrine of Imam al-Husayn (PBUH). We have tried to read and analyze the narrations on this subject to gather these customs. This study follows the transmission and analytical approach.

Keywords: Ziyara customs, Ziyara of Arbaeen, Ziyara of Imam al-Husayn (PBUH), walking during Ziyara.

المقدّمة

تؤكّـد مصادرنا الروائية أهمّية زيارة الإمام الحسـين عليه السلام في التقرّب إلى الله تعالى، ونيل مرضاته، بل يمكننا القولُ: إنّ زيارة سيّد الشهداء عليه السلام من أوسع الطرق وأقربها إلى الله تعالى، مع ما فيها من الفوز بالسعادة الدنيوية والأُخروية.

ويختلـف لسـان الروايات الـواردة عن أهـل البيت عليهم السلام في هذا المجال بحسـب أنـواع الزيارات وأوقاتها، فاختصّت بعض الزيارات بأهمّية قصوى، كما هو الحال في لسـان الروايات الـواردة في فضل زيارة الأربعين، وهي زيارة الإمام الحسـين عليه السلام في العشريـن من صفر المظفّر؛ حيث جاء عن الإمام الحسـن العسـكري عليه السلام أنّها إحدى علامات المؤمن.

وقد أصبحت هذه الزيارة من الشـعائر العظيمة، وصـارت رمزاً خالداً للحبّ والولاء لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، وعلامة لتعظيم تضحيات سيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته الكرام في يوم عاشـوراء، ومحفّزاً إلى الاستقامة في طريق الحقّ والرشاد، ومضماراً لكسب الأجر والثواب الجزيل.

ونـرى في كلّ عـام توافـد ملايين الزائرين مـن مختلف دول العالم لهـذه الزيارة، آملين الفوز بالسعادة ورضا الله، كلّ ذلك يشير إلى أهمّية زيارة الأربعين.

ونحـن نعـرف أنّ لكلّ فعل ذي شـأن آداباً ورسـوماً خاصّة، تدلّ عـلى أهمّيته وحفظ احترامه، فلزيارة الإمام الحسـين عليه السلام في يوم الأربعين والسـير مشـياً نحو قبره المطهّـر آداب ورسـوم خاصّة، لا بدّ من تعلّمها من خلال قـراءة الروايات، وتصفّح الكتب الروائية والأخلاقية، ويجب علينا أن نلتزم بتلك الآداب؛ حتّى نثبت اهتمامنا واعتناءنا بهذه الزيارة العظيمة، ونحفظ قدسـيّتها، ونحصل على الأجر الكبير الذي جعله الله تبارك وتعالى لزائر الإمام الحسين عليه السلام.

يسعى هذا المقال لبيان آداب زائر الأربعين التي يمكن الاستدلال عليها في ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام، وما يقتضيه العرف، والسيرة العقلائية في هذا المجال.

فسؤال البحث هو: ما هي آداب الزائرين السائرين إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين؟ وسنحاول الإجابة عن هذا السؤال من خلال: الروايات، والعرف والسيرة العقلائية في ضوء المنهج النقلي والتحليلي.

آداب زائر الأربعين والسائر نحو قبر الإمام الحسين عليه السلام

توجد لزائر الإمام الحسين عليه السلام بشكل عامّ، ولزائر الأربعين والسائر نحو قبر الإمام الحسين عليه السلام بشكل خاصّ، آداب متنوّعة يمكننا معرفتُها من خلال الرجوع إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وسيرة العقلاء، ولمّا كانت الأدلّة على تلك الآداب منها ما هو خاصّ، ومنها ما هو عامّ قُسِّمت على قسمين:

الأوّل: الآداب الخاصّة: وهي الآداب التي وردت فيها نصوص بشكل خاصّ.

القسم الآخر: الآداب العامّة: وهي الآداب التي لم ترد فيها روايات بشكل خاصّ، ويمكن أن يُستدلّ عليها بأدلّة عامّة، جرى عرف المتشرّعة والعقلاء على إلزام الزائر بها.

وسنقوم بعرض كلا القسمين تباعاً، وسنرتّب الحديث عن تلك الآداب في نقاط؛ ليسهل الرجوع إليها، وتتسنّى مراعاتها:

القسم الأوّل: الآداب الخاصّة

حينما نراجع أحاديث أهل البيت عليهم السلام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، نجد آداباً متنوّعة لزائر الإمام الحسين عليه السلام ينبغي مراعاتها، خصوصاً في زيارة الأربعين، وتواكب تلك الآدابُ مسيرة الزائر من خروجه من المنزل وسيره ومشيه في الطريق حتّى وصوله كربلاء وزيارة الإمام الحسين عليه السلام. وفيما يلي عرض لتلك الآداب:

الأوّل: الصوم ثلاثة أيّام والدعاء

ورد في بعض الروايات أنّه ينبغي لزائر قبر الإمام الحسين عليه السلام أن يصوم ثلاثة أيّام قبل أن يخرج من منزله للزيارة، ويدعو بالدعاء المأثور، فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**إذا أتيت الحسين عليه السلام فما تقول؟ قلت: أشياء أسمعها من رواة الحديث ممّن سمع من أبيك. قال: أفلا أُخبرك عن أبي عن جدّي علي بن الحسين عليه السلام كيف كان يصنع في ذلك؟ قال: قلت: بلى جُعلت فداك. قال: إذا أردت الخروج إلى أبي عبد الله عليه السلام فصم قبل أن تخرج ثلاثة أيّام: يوم الأربعاء، ويوم الخميس، ويوم الجمعة، فإذا أمسيت ليلة الجمعة، فصلّ صلاة الليل، ثمّ قم فانظر في نواحي السماء...**»[1].

ومن الواضح أثر الصوم في الطهارة الروحية، وإزالة الأقذار الباطنية، وهذا يوفّر بدوره صفاءً روحياً لزائر الأربعين، ويؤثّر في رحلته المعنوية، والرقي في المقامات السامية التي تحصل من زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، فينبغي للزائر أن يطهّر نفسه ظاهراً وباطناً؛ حتّى يناسب ذلك قداسة المكان الشريف، وبذلك يحصل الزائر على الأجر الكبير، وعلوّ المنزلة.

الثاني: تجنّب مظاهر الزينة

تعارف استعمال الطيب ومظاهر الزينة في مناسبات الفرح والسرور، وهكذا مظاهر لا تناسب زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين، فهو يوم يستذكر الإنسان فيه مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام، وما جرى عليه، ورجوع السبايا إلى كربلاء، فهو يوم حزن وبكاء وعزاء على سيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته، ويوم مواساة الشيعة لإمامنا زين العابدين عليه السلام، ومولاتنا زينب عليها السلام، وهذا المقام يقتضي تجنّب مظاهر الفرح والسرور، كاستعمال الطيب والدهن والكحل، ففي رواية أبي بصير السابقة يقول

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٧٦.

الإمام الصادق عليه السلام: «... **فإذا أردت المشي إليه... لا تطيّب ولا تدّهن ولا تكتحل حتّى تأتي القبر**»[1]. ويعضد هذا المعنى ما سيأتي من الظهور بمظهر الحزن، فهو ينافي بطبيعة الحال استعمال مظاهر الزينة.

الثالث: تقليل المسافة بين الخُطى

ورد في روايات عديدة فضائلُ كثيرة لخطوة زائر الإمام الحسين عليه السلام، وأنّه يُكتب له بكلّ خطوة قدر من الأجر والثواب، ويمكن استظهار ترتّب الاستحباب على عدد الخطوات، فيساهم تقليل المسافات بين الخطى في كثرتها، وتترتّب على ذلك كثرة الثواب. وفيما يلي عرض لبعض ما ورد من تلك الروايات:

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**يا حسين، مَن خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي (صلوات الله عليه) إن كان ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة حسنةً، ومحا عنه سيّئة**»[2].

وعن بشير الدهّان، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «**إنّ الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من أهله بأوّل خطوة مغفرة ذنوبه، ثمّ لم يزل يقدّس بكلّ خطوة حتّى يأتيه**»[3].

وعن ابن مغيرة، عن الإمام الصادق أنّه قال: «**إنّ لله ملائكةً موكّلين بقبر الحسين عليه السلام، فإذا همّ بزيارته الرجل أعطاهم الله ذنوبه، فإذا خطا محوها، ثمّ إذا خطا ضاعفوا له حسناته، فما تزال حسناته تضاعف حتّى توجب له الجنّة، ثمّ اكتنفوه وقدّسوه**»[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٣٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ص١٣٣

عـن أبي سـعيد القـاضي، قال : «**دخلـت على أبي عبـد الله عليه السلام في غريفـة له وعنده مرازم، فسـمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : مَن أتى قبر الحسـين عليه السلام ماشـياً كتب الله له بكلّ قدم يرفعها ويضعها عتقَ رقبة من ولد إسماعيل، ومَن أتاه في سفينة فكفأت بهم سفينتهم نادى منادٍ من السماء: طبتم وطابت لكم الجنّة**»[1].

الرابع: الاغتسال قبل الخروج من المنزل

ورد في روايات كثيرة تأكيد غسل زيارة الإمام الحسين عليه السلام عند إرادة الخروج من المنزل، إضافة إلى غسل الزيارة، فقد ورد في رواية ابن مغيرة عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ لله ملائكة موكّلين بقبر الحسـين عليه السلام، فإذا همّ بزيارته الرجل... فإذا اغتسلوا ناداهم محمّـد صلى الله عليه وآله: يا وفد الله، أبـشروا بمرافقتي في الجنّة، ثمّ ناداهم أمير المؤمنين عليه السلام: أنا ضامن لقضاء حوائجكم، ودفع البلاء عنكم في الدنيا والآخرة، ثمّ التقاهم [اكتنفهم] النبي صلى الله عليه وآله عن أيمانهم وعن شمائلهم**»[2].

وتُشـير هـذه الرواية إلى غسـل خاصّ عند الخـروج من المنزل، وهو غير غسـل الزيـارة الذي يغتسـله الزائر قرب زيارة الإمام الحسـين عليه السلام، وقرينـة ذلك قوله عليه السلام: «**فإذا همّ بزيارته الرجل**».

وقد ورد اسـتحباب غسـل الزيـارة في روايات متعـدّدة، وأنّ الأفضل أن يكون بماء الفرات، وقبل الدخول في كربلاء، وذكرت الروايات أجراً عظيماً لغسل الزيارة، وهذا الغسل هو غسل قبل الزيارة، ويختلف عن غسل قبل الخروج من المنزل للسفر؛ لأنّه ورد في رواية محمد بن مسلم: «**ويلزمك الغسل قبل أن تأتي الحائر**»[3].

ونـرى في كثير مـن الروايات تأكيد غسـل الزيارة بماء الفرات، وقـد ذُكر ثوابٌ

(١) المصدر السابق: ص٢٥٧.
(٢) المصدر السابق: ص١٣٣.
(٣) المصدر السابق: ص١٣١.

جزيل لها، كرواية بشير الدهّان عن الإمام الصادق عليه السلام: «**قلت لأبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل. قال: ويحك يا بشير، إنّ المؤمن إذا أتى قبر الحسين عارفاً بحقّه، فاغتسل في الفرات، ثمّ خرج، كتب له بكلّ خطوة حجّة وعمرة مبرورات متقبّلات، وغزوة مع نبيٍّ مرسل، أو إمام عدل**»[1]. فهل يتسنّى للمرء الغسل بماء الفرات في زماننا؛ حتّى نحظى بما ورد من الفضائل والأجر لهذا العنوان؟

ويمكن الجواب بأنّه إذا كان المقصود من الاغتسال بماء الفرات هو الاغتسال في نهر الفرات، فهو غير متيسّر إذا أخذنا بنظر الاعتبار الظروف المعاصرة، وإذا كان المقصود الاغتسال بمائه، فهو أمر متيسّر للجميع؛ لأنّ مياه مدينة كربلاء في زماننا كلّها من ماء الفرات، فمَن اغتسل بماء الإسالة في كربلاء، يصدق عليه أنّه اغتسل بماء الفرات.

الخامس: إظهار الحزن

إنّ إظهار الحزن والأسى في طريق زيارة سيّد الشهداء عليه السلام عامّة، وطريق زيارة الأربعين خاصّة، هو من الآداب التي أكّدها أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه قد قتلوا بأبشع الطرق، وأدخل ذلك الحزنَ والكربَ على أهل البيت عليهم السلام بعد واقعة كربلاء، فعلى الزائر أن يواسيهم في طريق الزيارة، ويكون حزيناً وكئيباً.

وقد وردت روايات متعدّدة تدلّ على هذا المعنى:

منها: رواية المفضّل بن عمر، قال: «**قال أبو عبد الله عليه السلام: تزورون خير من ألّا تزوروا، ولا تزورون خير من أن تزوروا. قال: قلت: قطعت ظهري. قال: تالله، إنّ أحدكم ليذهب إلى قبر أبيه كئيباً حزيناً، وتأتونه أنتم بالسُفَر، كلّا حتّى تأتوه شعثاً غبراً**»[2].

ومنها: ما عن كرّام بن عمرو: «**قال أبو عبد الله عليه السلام لكرّام: إذا أردت أنت قبر**

(١) المصدر السابق: ص١٥٨.

(٢) المصدر السابق: ص١٣١.

الحسين عليه السلام فزره وأنت كئيب حزين شعث مغبرّ؛ فإنّ الحسين عليه السلام قُتل وهو كئيب حزين شعث مغبرّ»[1].

وتدلّ هاتان الروايتان بوضوح على أنّ زائر الأربعين يجب أن يُبرز الحزن والألم، وهذا يوجب بدوره توفيقاً عظيماً وفضائل كثيرة.

السادس: الجوع والعطش

تدلّ الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ من آداب زائر الأربعين والسائر نحو قبر سيّد الشهداء عليه السلام الجوعَ والعطش؛ فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا أردت زيارة الحسين عليه السلام، فزره وأنت كئيب حزين مكروب، شعثاً مغبرّاً، جائعاً عطشاناً؛ فإنّ الحسين قُتل حزيناً، مكروباً، شعثاً، مغبرّاً، جائعاً عطشاناً، وسله الحوائج، وانصرف عنه، ولا تتّخذه وطناً**»[2].

وهنا يقع سؤال، وهو: أنّ المشي لزيارة أبي الأحرار عليه السلام يستغرق ليالي وأيّاماً، وهذا يتطلّب الأكل والشرب بطبيعة الحال، فكيف يلائم ذلك ما جاء في الرواية من أن يكون الزائر جائعاً عطشاناً؟

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأنّ الذي يقتضيه الجمع بينهما هو تجنّب التملّي في الأكل والشرب ومظاهر البذخ، بمعنى لا يأكل ولا يشرب بحيث تمتلئ بطنه، وألّا يجعل رحلته ومشيه رحلة ممتعة ومُسلّية، وألّا يأكل فيها كما يحلو له.

السابع: ترك مظاهر الفرح والسرور

تؤكّد روايات زيارة الإمام الحسين عليه السلام أهمّية الحفاظ على مظاهر العزاء والمواساة في زيارة سيّد الشهداء عليه السلام، فزائر الأربعين يجب أن يكون مواسياً في مشيه وزيارته

(١) المصدر السابق: ص١٣٢.

(٢) المصدر السابق: ص١٣١.

للإمام عليه السلام، وألّا يجعل مشيه ورحلته للتسلية والمرح والترفيه؛ ولهذا ورد في بعض الروايات غضب المعصوم عليه السلام على زائري قبر سيّد الشهداء عليه السلام ممّن يصحبون معهم مظاهر الفرح، ويجعلون رحلتهم رحلة ترفيهية، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**بلغني أنّ قوماً أرادوا الحسين عليه السلام، حملوا معهم السُّفر، فيها الحلاوة والأخبصة وأشباهها، لو زاروا قبور أحبّائهم ما حملوا معهم هذا**»[1].

وورد أيضاً عن رجل من أهل الرقّة يقال له أبو المضاء: «**قال لي أبو عبد الله عليه السلام: تأتون قبر أبي عبد الله؟ قلت: نعم. قال: أفتتّخذون لذلك سُفراً؟ قلت: نعم. فقال: أما لو أتيتم قبور آبائكم وأُمّهاتكم لم تفعلوا ذلك! قال: قلت: أيّ شيءٍ نأكل؟ قال: الخبز واللبن. قال: وقال كرّام لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك، إنّ قوماً يزورون قبر الحسين عليه السلام فيطيّبون السُّفر؟ قال: فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: أما إنّهم لو زاروا قبور أُمّهاتهم وآبائهم، ما فعلوا ذلك**»[2]. وقد تقدّم فيما سبق في رواية المفضّل بن عمر في الأدب الخامس ما يدلّ على ذلك أيضاً.

وفي هذه الروايات تصريح وإرشاد إلى أمر عقلائي، وهو أنّ الذي يذهب إلى قبر والده أو والدته أو مَن يحبّ، يتخلّى عن مظاهر الفرح والسرور، وتنتابه حالة الحزن والانكسار، فجدير بزائر قبر الإمام الحسين عليه السلام أن يعرض عن مظاهر السرور والفرح؛ لأنّه ذاهب لزيارة إمام معصوم مفترض الطاعة، ذاكراً ما جرى عليه، وأيُّ مصيبة أعظم من مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام؟!

الثامن: حسن الصِّحابة

من الآداب التي ينبغي لزائر الأربعين والسائر نحو قبر الإمام عليه السلام أن يتحلّى بها هي مسألة الاهتمام باختيار مَن يصحبهم في مسيره، فيجب أن يحافظ السائر على

(١) المصدر السابق: ص١٢٩.

(٢) المصدر السابق: ص١٣٠.

الصفـاء الروحـي الذي يحصل من تلـك الزيارة، وهنا يبرز دور الصاحب في السـير نحو أبي الأحرار عليه السلام؛ لأنّ هذا الصاحب والصديق يمكنه أن يمنع الزائر من كسـب الأجـر والفضائـل العظيمة في طريق زيـارة الأربعين إذا لم يكن مـدركاً لعظمة زيارة سـيّد شـباب أهل الجنّة عليه السلام، وإلى هذا أشـار الإمام الصادق عليه السلام، فعن محمّد بن مسلم عـن أبي عبـد الله، قال: «**قلت له: إذا خرجنا إلى أبيك أكنّا [أفلسـنا] في حجٍّ؟ قال: بلى. قلـت: فيلزمنا ما يلزم الحـاجّ؟ قال: من ماذا؟ قلت: من الأشـياء التي يلزم الحاجّ. قال: يلزمك حسن الصّحابة لمَن يصحبك**»[1].

والصاحـب والصديـق من الأُمور التي يجب على الإنسـان الاهتـمام بها بصورة عامّـة؛ لأنّ الصديـق يؤثّـر كثيراً في الشـخص، فيمكن أن يترك أثراً إيجابياً في كسـب الفضائل، ويمكن أن يترك أثراً سـلبياً، وإذا لم يحصل الإنسـان على الصديق الصالح، عليه أن يتجنّب صديق السـوء، ولو كلّف ذلك الوحدة، فعن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «**يا أبا ذرّ، الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء**»[2].

التاسع: الذكر وقلّة الكلام

يُعدّ اللغو وكثرة الكلام في الأُمور غير المهمّة من الأفعال المذمومة في الإسـلام، فكثرته يمكن أن تؤدّي إلى كثرة الذنوب، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**فربّ كلمة سـلبت نعمة، وجلبت نقمة**»[3]. وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام: «**قلّة الكلام تسـتر العيوب، وتقلّل الذنـوب**»[4]؛ لـذا وصف القـرآن الكريم الجنّة بأنّهـا خالية من اللغـو، حيث قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾[5].

---

(١) المصدر السابق: ص١٣١.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٥٣٥.

(٣) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ١٩، ص٣٢٢.

(٤) الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٢٣.

(٥) الواقعة: الآيتان ٢٥ ـ ٢٦.

فعلى زائر الأربعين أن يتجنّب كثرة الكلام، خصوصاً ما ينافي مبادئ الدين الحنيف، وأن يذكر الله كثيراً، ويسبّحه في هذا الطريق المبارك؛ فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ويلزمك قلّة الكلام إلّا بخير، ويلزمك كثرة ذكر الله، ويلزمك الخشوع، وكثرة الصلاة، والصلاة على محمّد وآل محمّد، ويلزمك التوقير لأخذ ما ليس لك**»[1].

العاشر: اجتناب المحرّمات

أكّدت الروايات الواردة في آداب زيارة الإمام الحسين عليه السلام الاجتناب عن المحرّمات، فالهدف من السير نحو قبره المبارك، وتحمّل المصاعب والمشاكل في السفر والمشي، هو التقرّب إلى الله تعالى، ورضا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، وارتكابُ المحرّمات والتساهل فيها ينافي هذه الغاية السامية، فعلى المؤمن أن يجتهد أكثر في اجتنابها في هذه المسيرة الكبرى، وهذه الزيارة العظيمة، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى هذا الأمر في رواية محمّد بن مسلم: «**ويلزمك التقية التي قوام دينك بها، والورع عمّا نهيت عنه، والخصومة، وكثرة الأيمان، والجدال الذي فيه الأيمان**»[2].

وقد خصّ الإمام الصادق عليه السلام في هذه الرواية ثلاثة محرّمات بعد الورع عمّا نُهي عنه، وهي: (الخصومة، وكثرة الأيمان، والجدال الذي فيه الأيمان)؛ لأنّ الخصومة وكثرة القسم والأيمان والجدال والنزاع من المحرّمات التي توجب التفرقة بين المؤمنين، وذلك يخالف الأهداف الاجتماعية المتوخّاة من زيارة سيّد الشهداء عليه السلام، فهذه الزيارة تقوّي أواصر الودّ والتلاحم بين المسلمين، وهي مظهر من مظاهر الوحدة تحت عنوان مودّة أهل البيت عليهم السلام.

الحادي عشر: قضاء حوائج الإخوان ومساعدتهم

إنّ قضاء حاجة الأخ المسلم من المستحبّات التي أكّدتها الشريعة الإسلامية،

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٣١.
(٢) المصدر السابق.

وقد ذكرت الروايات ثواباً كثيراً لمساعدة الآخرين، ورفع حاجاتهم؛ فقد روي عن الإمام الحسين عليه السلام: «**تنفّسوا إلى المكارم، وسارعوا إلى الغنائم، واعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعمته تعالى عليكم، وأجود الناس مَن يعطي مَن لا يرجوه، ومن نفّس عن مؤمن كربةً نفّس الله عنه اثنتين وسبعين كربةً من كرب الدنيا، واثنتين وسبعين كربةً من كرب الآخرة، ومَن أحسن أحسن الله إليه، والله يحبّ المحسنين**»[1]. والمسيرة إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام، والمشي في زيارة الأربعين، من أفضل الأوقات لتنفيس الهمّ والكرب عن المؤمنين ورفع حاجاتهم، وقد ذُكر في رواية محمّد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام في آداب زيارة سيّد الشهداء عليه السلام: «... **ويلزمك أن تعود إلى أهل الحاجة من إخوانك إذا رأيت منقطعاً، والمواساة...**»[2].

وإنّ لترك المؤمن وحدَه وعدم مساعدته آثارَ سوءٍ كثيرة، أعظمها الاستخفافُ بالأئمّة عليهم السلام؛ فقد روى أبو هارون عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**قال لنفر عنده وأنا حاضر: ما لكم تستخفّون بنا؟ قال: فقام إليه رجل من خراسان، فقال: معاذ لوجه الله أن نستخفّ بك، أو بشيء من أمرك! فقال: بلى، إنّك أحد مَن استخفّ بي. فقال: معاذ لوجه الله أن أستخفّ بك! فقال له: ويحك، أولم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قدر ميل، فقد والله أعييت، والله ما رفعت به رأساً، ولقد استخففت به، ومَن استخفّ بمؤمن، فينا استخفّ، وضيّع حرمة الله عزّ وجلّ**»[3].

الثاني عشر: التقية

من الأُمور التي يجب مراعاتها في مواردها هي التقية؛ لأنّها توجب الحفاظ على نفوس المؤمنين وأموالهم وأعراضهم إذا كانوا في معرض الخطر، وقد أكّد الأئمّة عليهم السلام

(١) الديلمي، الحسن بن محمد، إرشاد القلوب: ج١، ص١٣٨.
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٣١.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص١٠٢.

هذا الواجب تأكيداً شـديداً؛ فقد جاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال لمعلّى بن خنيس: «**يا معلّى، إنّ التقية ديني ودين آبائي، ولا دين لمَن لا تقيّة**»(١). وربّما تشتدّ أهمّية التقية في زيارة الإمام الحسين عليه السلام بمقتضى الزمـان والمكان، فعن الإمام الصادق عليه السلام في رواية محمّد بن مسلم «... **ويلزمك التقية التي قوام دينك بها...**»(٢).

الثالث عشر: نظافة الثياب

من الآداب التي أكّدتها الأحاديث هي نظافة الثياب عند زيارة المعصومين عليهم السلام؛ لأنّهـا مـن الصفات العامّـة التي ينبغـي أن يتّصف بها المؤمـن، ويتأكّد الأمـر إذا زار الإنسان قبر سيّد الشهداء عليه السلام، فعلى الزائر أن يكون طاهراً ظاهراً وباطناً؛ كي يتسنّى لـه التـزوّد من النور الطاهر المطهّر؛ فقد أشـار الإمام الصـادق عليه السلام في رواية محمّد بن مسلم إلى ذلك بقوله: «**ويلزمك نظافة الثياب...**»(٣).

وقد يبدو هنا تعارض بين هذا المقطع من الرواية ـ حيث تؤكّد إلزام الزائر بنظافة الثياب ـ وبين ما تقدّم في الأدب الخامس من أن يأتي الزائر لزيارة سـيّد الشـهداء عليه السلام شعثاً مغبراً، فهل يأتي الزائر بثياب مملوءة بالغبار والتراب، أو يأتي بثياب نظيفة؟

وقد يجاب عن ذلك بوجهين:

الأوّل: أنّ المقصـود بالروايات الدالّة على كون الزوّار شُـعثاً غُبراً هو أن يكونوا بحالـة حـزن وتفجّع، وإحدى علائم الحزن هي أنّ الحزيـن والمكروب لا يلتفت إلى ثوبه هل فيه غبار أو لا، فوجود القليل من الغبار على الثوب لا ينافي نظافة الثوب.

الثـاني: أنّ مقتـضى الجمـع بـين الروايتين هو أنّه ينبغـي للزائـر أن يذهب لزيارة الإمام الحسـين عليه السلام، وما أن يصل إلى كربلاء بثيابه التي لبسـها في الطريق حتى يرجع

(١) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج١، ص٢٥٥.
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، ص١٣١.
(٣) المصدر السابق.

ويغتسل بعد الزيارة الأُولى، ويبدّل ثيابه النظيفة بثيابه التي كان يرتديها، ثمّ يخرج للزيارة. ويبدو أنّ الوجه الثاني هو الأوفق مع ظاهر الروايات.

الرابع عشر: الاستئذان في الدخول

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الحكيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾[1]، وورد عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل: «**إنّ الله حرّم من المؤمنين أمواتاً ما حرّم منهم أحياء**»[2].

إنّ الإذن في الدخول يدلّ على حفظ الاحترام والمنزلة للإمام المعصوم عليه السلام؛ فلهذا ورد في آداب زيارة الإمام الحسين عليه السلام الاستئذان في الدخول، وقد ذكر المحدّث القمّي في كتابه (مفاتيح الجنان) عن (زاد المعاد) الرواية الآتية عن صفوان:

«**استأذنت الإمام الصادق عليه السلام لزيارة مولاي الحسين عليه السلام، وسألته أن يعرّفني ما أعمل عليه، فقال: يا صفوان، إذا وصلت نينوى، فاغتسل بماء الفرات... فإذا وصلت باب الحائر، فقف وقل: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله... ثمّ امشِ حتّى تصل الباب الثاني، فقل: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين. مولاي، عبدك وابن عبدك وابن أمتك، المقرّ بالرقّ، والتارك للخلاف عليكم، والموالي لوليّكم، والمعادي لعدوّكم، قصد حرمك، واستجار بمشهدك، وتقرّب إليك بقصدك. أأدخل يا الله؟ أأدخل يا رسول الله؟ أأدخل يا نبي الله؟ أأدخل يا أمير المؤمنين؟ أأدخل يا سيّد الوصيّين؟ أأدخل يا فاطمة سيّدة نساء العالمين؟ أأدخل يا مولاي يا أبا عبد الله؟ أأدخل يا مولاي يا ابن رسول الله؟ فإذا صار قلبك خاشعاً، وطرفك باكياً، فتلك علامة الإذن فادخل، وقل أثناء الدخول: الحمد لله الواحد الأحد،**

---

(١) الأحزاب: الآية ٥٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٠٣.

الفرد الصمد، الذي هداني لولايتك، وخصّني بزيارتك، وسهّل لي قصدك»[1].

وقد تمّت بهذا الآداب الخاصّة الواردة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

القسم الآخر: الآداب العامّة

يمكننا تصنيف الآداب التالية ضمن الآداب العامّة بحسب التوضيح الذي قدّمناه في بداية المقال:

الأوّل: قصد القربة في جميع الأفعال

تنقسم الأعمال التي يقوم بها الزائر خلال زيارته، بدءاً من الخروج من منزله، وانتهاءً إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام، إلى نحوين:

١- الأعمال العبادية التي تتوقّف صحّتها على قصد القربة، كالصلاة والصدقة والزيارة نفسها.

٢- الأعمال التوصّلية التي لا تتوقّف على قصد القربة إلى الله تعالى؛ كالأكل والنوم والمشي والحديث مع الآخرين.

فعلى المؤمن أن ينوي في أعماله القربة إلى الله تعالى؛ لينال بذلك ثواب الأعمال الصالحة، وهذا ما نجده في وصايا المعصومين عليهم السلام، فمن وصايا رسول صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ الغفاري: «**يا أبا ذرّ، ليكن لك في كلّ شيء نيّة صالحة، حتّى في النوم والأكل**»[2]. فينبغي لزائر الأربعين أن يقصد القربة إلى الله في جميع أعماله وأفعاله، حتّى نومه وأكله وشربه؛ لكي يحصل على الأجر والثواب الكثير، وتكون زيارته أفضل. فيمكنه أن ينوي بطعامه وشرابه التقوّي على الزيارة، وبنومه إعادة نشاطه لمواصلة السير نحو سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، زاد المعاد: ص٥٠٨.

(٢) الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق: ص٤٦٤.

الثاني: تحمّل المصاعب والمشاكل في الطريق

إنّ السفر بطبيعته متعب، ولا يخلو من مصاعب، وزيارة الأربعين تشبه سائر الأسفار من هذه الناحية، ولا سيّما إذا كانت مشياً على الأقدام؛ لأنّ الزائر حينئذٍ يستغرق وقتاً طويلاً، ويلاقي مناخاً متقلّباً من برد وحرّ، وينزل أماكن لم يألفها، وعلى الرغم من الجهود المبذولة في هذا المجال، والخدمات المتاحة للزائرين، قد يواجه الزائر مصاعب عديدة في هذه الرحلة والزيارة، فعلى زائر الأربعين أن يتحمّلها في هذا الطريق، وألّا يتذمّر منها؛ ليواسي الحسين عليه السلام والسبايا من أهل بيته، ولا سيّما زينب الكبرى عليها السلام.

وما يجدر الالتفات إليه أنّ التذمّر ـ في بعض الأحيان ـ قد يبلغ درجة عدم الرضا بقضاء الله تبارك وتعالى، وهذا من المحرّمات التي ينبغي الانتباه إليها.

الثالث: المحافظة على النظافة

جرى العرف وسار العقلاء على تنظيف أماكن مبيتهم، ومجالس راحتهم، ومحالّ موائدهم، وتنظيف الشوارع والأزقّة، وتجنّب رمي الأوساخ، وهذه ثقافة عامّة يتمتّع بها الناس، ويتمّ إلزامهم بها في جميع الحالات، فلا بدّ من تطبيق ذلك في زيارة سيّد الشهداء عليه السلام؛ ليعكس الزائر ثقافة دينه الحنيف الذي يعدُّ النظافة أحد أهمّ مظاهر ثقافته الفردية والاجتماعية، فيجب على زائر الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الأربعين أن يلتفت إلى هذا الأدب الخاصّ الذي يعبّر عن سموّ ثقافته.

كانت هذه جملة من آداب زائر الأربعين والسائر نحو قبر الإمام الحسين عليه السلام وجدناها في الروايات وفي نظر العرف والعقلاء، فحريّ بالزائر أن يلتزم بهذه الآداب؛ حتّى تكون زيارته ومشيه أكثر فضلاً وأجراً، وأعظم وقعاً عند الله عزّ وجلّ والأئمّة (صلوات الله عليهم)، وأبلغ تأثيراً في الناس.

أرجو من الله تعالى أن يجعلنا من زوّار قبر الإمام الحسين عليه السلام وزوّار الأربعين في الدنيا، ومن المشفَّعين بشفاعته في الآخرة.

الخاتمة

إنّ لزائر الأربعين آداباً كثيرة، بعضها مذكور في أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وبعضها لم تذكر فيها، ولكن العرف والعقلاء يعدّونها آداباً لزائر الإمام الحسين عليه السلام، خصوصاً زائر الأربعين، وقد قسّمنا تلك الآداب على قسمين:

القسم الأوّل: الآداب الخاصّة المذكورة في الأحاديث، وهي أربعة عشر أدباً:

الأوّل: الصوم قبل السفر والدعاء عند الخروج.

الثاني: تجنّب مظاهر الزينة.

الثالث: تقليل المسافة بين الخطى.

الرابع: الاغتسال قبل الخروج من المنزل.

الخامس: الظهور بمظهر الحزن.

السادس: الجوع والعطش.

السابع: ترك مظاهر الفرح والسرور.

الثامن: حسن الصِّحابة.

التاسع: قلّة الكلام وكثرة ذكر الله تعالى.

الأدب العاشر: قضاء حوائج الإخوان.

الحادي عشر: اجتناب المحرّمات.

الثاني عشر: الالتزام بالتقيّة.

الثالث عشر: نظافة الثياب.

الرابع عشر: الاستئذان في الدخول.

القسم الآخر: الآداب العامّة التي لم تذكر في روايات الزيارة بشكل خاصّ، ولكن العرف والعقلاء يعدّونها آداباً لزائر الأربعين، وقد جاءت على ثلاثة آداب:

الأوّل: قصد القربة.

الثاني: تحمّل المصاعب.

الثالث: المحافظة على النظافة.

فعلى الزائر إذا أراد أن تكون زيارته بأفضل الأحوال أن يلتفت إلى هذه الآداب ويلتزم بها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١ـ إرشاد القلوب، حسن بن محمد الديلمي، نشر: الشريف الرضي، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ.

٢ـ الأمالي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، نشر: دار الثقافة، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.

٣ـ تهذيب الأحكام، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، نشر: دار الكتب الإسلامية، إيران ـ طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٤ـ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي ابن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق، نشر: دار الشريف الرضي، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٥ـ زاد المعاد، محمد باقر المجلسي، نشر: مؤسّسة الأعلمي، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.

٦ـ شرح نهج البلاغة، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٧ـ غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد التميمي، نشر: دار الكتب الإسلامية، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٨ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، نشر: دار الحديث، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٢٩هـ.

٩ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمّي، نشر: دار المرتضوية، النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، ١٣٥٦هـ.ش.

١٠ـ المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، نشر: دار الكتب الإسلامية، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ.
١١ـ مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي، نشر: الشريف الرضي، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ.
١٢ـ وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ.

دراسات حسينية

- نهضة الإمام الحسين عليه السلام وفق القانون الدولي
- العلاقة بين أهل البيت عليهم السلام وباب حطّة (الإمام الحسين عليه السلام أُنموذجاً)
- سيميائية الذهن في خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

نهضة[1] الإمام الحسين عليه السلام وفق القانون الدولي

د. الشيخ رافد عسّاف التميمي

أُستاذ في الحوزة العلمية، ودكتوراه في فقه القضاء

The Uprising of Imam al-Husayn (PBUH) in Light of International Law

Dr. Shaykh Rafed Assaf al-Tamimi

Lecturer at the Islamic Seminaries, Ph.D. in Judicial Jurisprudence

(١) تطرّق بعض الباحثين إلى التفريق بين الثورة والنهضة، وهل أنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام تُعتبر ثورة أو نهضة؟ ونحن لا نريد ـ في المقام ـ الدخول في هذا البحث، وإنّما سيكون مقصودنا هو حركة الإمام الحسين عليه السلام، هذه الحركة التي ابتدأها بشكل علني وواضح وصريح برفض بيعة يزيد، والتحرّك من المدينة إلى مكّة، ومنها إلى الكوفة، ثم كربلاء، ثم ما جرى من أحداث المقتل وما تلاها من السبي، وما ترتّب عليها من آثار ونتائج كثيرة وكبيرة.

ملخّص البحث

من الجوانب المهمّة والمركزية التي لا ينبغي إهمالها والغفلة عنها في دراسة القضية الحسينية هو الجانب الخارجي ـ ونعني به خارج إطار الدين الإسلامي ـ ومن أهمّ المجالات في المقام هو دراستها وفق القانون الدولي، الذي يُعتبر اليوم لغة تعارف وتلاقح وقبول عالمية بين مختلف التوجّهات الفكرية والعقائدية والدينية بشكل عامّ.

ومن هنا؛ سيتمّ التطرّق في البداية إلى نهضة الإمام الحسين عليه السلام والظروف التي كانت محيطة بها، والتي أدّت إلى وقوع هكذا فاجعة خلّدها التاريخ، ومن ثَمّ محاكمة ما جرى وفق القانون الدولي؛ وذلك من خلال انتخاب مجموعة من القضايا المتعلّقة بنهضته عليه السلام، والتي تمّ انتخابها كعيّنات لتطبيق القانون الدولي العامّ أو الخاصّ عليها، وهي: وثيقة صلح الإمام الحسن عليه السلام، ونهضة الإمام الحسين عليه السلام وفق مؤهّلات وممارسات يزيد، ومبدأ الحرّية ونبذ الظلم.

الكلمات المفتاحية: نهضة الحسين عليه السلام، القانون الدولي، صلح الحسن عليه السلام، الحرّية، الظلم.

Abstract

Among the pivotal and essential aspects that must not be ignored or disregarded in the field studies of Imam al-Husayn (PBUH) is the external dimension, meaning beyond the framework of Islam. One of the most important areas in this context is the examination of the case of Imam al-Husayn (PBUH) through the perspective of international law, which today functions as a universal language for mutual understanding, interaction, and acceptance across diverse intellectual, ideological, and religious orientations.

In light of this, the study will first explore the uprising of Imam al-Husayn (PBUH) and the circumstances that surrounded it, and which led to a tragedy that has been eternally memorialized in history. Following this, the events will be evaluated in accordance with international law. This will be achieved by identifying and analyzing a set of issues connected to his uprising (PBUH), selected as case studies for applying general or specific principles of international law. These issues are: the peace treaty of Imam al-Hasan (PBUH), the uprising of Imam al-Husayn (PBUH) as viewed through the lens of Yazid's qualifications and actions, and the principles of freedom and the rejection of oppression.

Keywords: The uprising of al-Husayn (PBUH), international law, the peace treaty of al-Hasan (PBUH), freedom, oppression.

مقدّمة

كثر الحديث عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام من وجهة نظر الشريعة الإسلامية وقوانينها المدوّنة في القرآن وسُنّة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وذُكرت أدلّة كثيرة على ذلك، وهذه البحوث عادةً ما تكون نافعة في الأوساط الإسلامية، ولمَن يؤمن بتلك الرؤية الكونية، وهو جانب مهمّ ومصيري ومركزي في مثل هذه القضية الإسلامية الكبرى، ولكن هذا لا يعني أن يبقى الجانب الخارجي ـ ونعني به خارج إطار الدين الإسلامي ـ للقضية مغفولاً عنه، بل لا بدّ من دراسة هذه النهضة في مختلف المجالات، ومن أهمّها دراستها وفق القانون الدولي، حيث يُعتبر هذا القانون اليوم لغة تعارف وتلاقح وقبول عالمية بين مختلف التوجّهات الفكرية والعقائدية والدينية بشكل عامّ.

ويعتمد هذا القانون في كثير من مجالاته الكلّية على المشتركات الإنسانية التي حثّ عليها الدين الإسلامي وأكّدها أيضاً؛ وعليه يمكن بحث هذه النهضة وفق ذلك القانون، والخروج بنتائج مهمّة وواضحة، ومطابقة النتائج الحاصلة من البحث على ما موجود في الأدلّة الإسلامية الخاصّة.

وسنختصر البحث على بعض المفردات التي تكون مادّة اشتراك بين النهضة الحسينية وبين القانون الدولي العامّ، وإلّا فتفصيل هذا البحث يطول به المقام.

بحوث تمهيدية

قبل الدخول في أصل البحث لا بدّ من تمهيد بعض البحوث، وبيان بعض المفردات التي نريد أن نحكم عليها، أو نستفيد منها في مقام الحكم:

أهمّية البحث وثمراته

إنّ هذا البحث له أهمّية بالغة؛ وذلك:

أوّلاً: أنّ لغة القانون الدولي هي لغة عالمية تفهمها وتنصاع لها أكثر الدول على مختلف انتماءاتها الفكرية والدينية والمذهبية، فتأطير النهضة الحسينية على وفق هذه القوانين سوف يمهّد الطريق لمقبوليّتها وعدم الإشكال عليها حتى خارج إطار الدين الإسلامي، فضلاً عن الإطار المذهبي.

وثانياً: أنّ هذا البحث يمهّد الطريق لمسألة عالمية النهضة الحسينية، حيث إنّها وإن كانت في إطار الدين الإسلامي، إلّا أنّها اعتمدت على المبادئ الإسلامية العالمية التي يشترك فيها البشر طبقاً لإنسانيّتهم، وهذا الجانب من النهضة الحسينية جانب مهمّ، ويجب العمل عليه لتصدير قيم هذه النهضة العظيمة ومبادئها ونتائجها.

المقصود من النهضة الحسينية

إنّ المقصود من هذه النهضة هي الحركة الرافضة للحكم الأُموي وثقافته الجديدة التي أسّس لها على خلاف الرؤية والثقافة والتعاليم الإسلامية، هذه النهضة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام عندما رفض بيعة الحاكم في ذلك الزمان وأعلنها بشكل واضح وصريح «**مثلي لا يبايع مثله**». وقد ترتّبت على تلك الحركة نتيجة مأساوية ومظلومية كبيرة وقعت على أهل البيت عليهم السلام، حيث استشهد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وأُخذت عيالهم سبايا إلى الكوفة ومنها إلى الشام. وفي مقابل هذا الجانب المأساوي فقد ترتّبت على تلك الحركة أيضاً نتائج فكرية، وعقائدية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، وغير ذلك.

تعريف القانون الدولي International law

عُرّف القانون الدولي بأنّه: «**مجموعة القواعد التي تحكم وتُنظّم المجتمع الدولي،**

وما يقوم به في إطاره من علاقات بين أشخاصه»[1].

وعُرّف أيضاً بأنّه: «**مجموعة القواعد التي تُنظّم العلاقات بين الدول، وتحدّد حقوق كلّ منها وواجباتها في حالتي السلم والحرب**»[2].

وعُرّف بتعريف أكثر تفصيلاً بأنّه: «**فرع من فروع علم القانون، وهو مجموعة من البنود، والمبادئ، والقواعد، التي تُحدّد العلاقات بين الدول المستقلّة فيما بينها، كما أنّها تُحدّد العلاقات بين الدولة وأفراد الجماعات التي تعيش فيها، بالإضافة إلى ذلك فهو يُحدد علاقة الدول بالمنظّمات الدولية، وبالتالي فهي مجموعة القوانين التي تحكم سلوك الأفراد في العالم وفقاً لطبيعة العلاقات الدولية المتبادلة بين الدول**»[3].

يعتمد القانون الدولي على مجموعة من المصادر في تشريعاته، وهي عبارة عن:

«**١ـ الأعراف والتقاليد، حيث تستمدَ من الممارسات المتعارف عليها بين الدول، وهو من أهمّ مصادر القانون الدولي العامّ، حيث إنّ أغلب القواعد في القوانين الدولية نشأت عن طريق العرف. ٢ـ المعاهدات والاتّفاقيات الدولية التي تُوقع عليها الدول. ٣ـ القواعد العامّة للقانون، وهي عبارة عن القوانين المعترف بها في الأنظمة القانونية الرئيسية في العالم**»[4].

والراعي لهذه القوانين هو هيئة الأُمم المتّحدة، وقد جاء على موقعها الرسمي: «**من بين أعظم منجزات الأُمم المتّحدة هو تطوير مجموعة من القوانين، والاتّفاقيات، والمعاهدات، والمعايير المركزية لتعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك دفع عجلة السلام والأمن الدوليّين. وتُشكّل العديد من المعاهدات التي أحدثتها الأُمم المتّحدة أساس القانون الذي يحكم العلاقات بين الدول**»[5].

---

(١) صلاح الدين عامر، مقدّمة في القانون الدولي العامّ: ص٦٨.

(٢) علي، علي منصور، القانون الدولي العامّ والشريعة الإسلامية: ص٨٠.

(٣) القانون الدولي العامّ، على الموقع: https://mawdoo3.com

(٤) المصدر السابق.

(٥) https://www.un.org/ar/global-issues/international-law-and-justice

موضوع البحث

نُريد أن نبيّن في هذا البحث أنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام هل تُعتبر مشروعة وفق القانون الدولي المعمول به اليوم، أو لا؟ أي إنّنا إذا أردنا أن نحكّم القوانين الدولية المعترف بها في الأُمم المتّحدة ومجلسها، نتساءل في المقام: هل قام الإمام الحسين عليه السلام بحركة غير مشروعة، أو أنّ حركته تنسجم مع قوانين المجتمع الدولي اليوم، ويكون الإمام عليه السلام قد مارس حقّه الإنساني والدستوري في نهضته المباركة وما ترتّب عليها؟

لعلّه يقال: إنّ القوانين ـ وخصوصاً الجنائية منها ـ لا تكون معتبرة إلّا بعد إقرارها، وعندما تُقرّ فهي لا تكون سارية لما مضى، بل لما يأتي فقط، وهو ما سمّوه قانونياً بمبدأ (عدم رجعية القانون الجنائي على الماضي)[1]، وهذا ما بنى عليه القانون العراقي الجزائي[2]؛ وعليه فلا فائدة عملية من هذا البحث، ولا ثمرة تُرتجى منه.

نقول:

أوّلاً: ليس هدفنا من هذا البحث هو إثبات جريمة، وتحديد عقوبة وتنفيذها بالنسبة إلى الجرائم الشخصية التي ارتُكبت في ذلك الزمان من قبل السلطة الحاكمة، ومدى سراية ذلك إلى الشخصية المعنوية الممتدّة على فرض امتدادها، فهذا موضوع آخر قابل للبحث، وإنّما ما نُريد بيانه هو أنّه لو افتُرض أنّ النهضة الحسينية حصلت في زماننا هذا ـ زمان حاكمية القوانين الدولية ـ أو افتُرض أنّ هذه القوانين كانت أُقرّت في ذلك الزمان، فهل تكون النهضة مشروعة، أو لا؟

ثانياً: أنّ بحث هذه المسألة يعكس القيم الإنسانية التي توصّل إليها البشر بعد حين.

ثالثاً: المسألة تعكس تقدّم القوانين الإسلامية الإنسانية بقرون كثيرة عمّا وصل

(١) أُنظر: الخلف، علي حسين، الشاوي، سلطان عبد القادر، المبادئ العامّة في قانون العقوبات: ص٥٦.
(٢) أُنظر: مجلّة القضاء: العدد ٥، السنة ١٩٥٥، ص٩٠.

إليه الإنسان اليوم.

فالنتيجة المتوخّاة هي إثبات حقّانية ومشروعية وصواب طرف معيّن ولو نظريّاً، وهو أمر في غاية الأهمّية بغض النظر عن إثبات عقوبة جزائية أو تنفيذها.

المبحث الأوّل: نهضة الإمام الحسين عليه السلام وفق بنود الصلح

بعد أن بايع الناس الإمام علياً عليه السلام وصار خليفة للمسلمين، كان معاوية بن أبي سفيان والياً على الشام، فأراد الإمام عليه السلام عزله، ولكنّه رفض، فدارت حرب (صفّين) بين الخلافة الشرعية وبين المتمرّدين عليها، وفي حين كاد الأمر يُحسم لصالح الإمام عليه السلام حتى جاءت حيلة عمرو بن العاص برفع المصاحف، فوقعت الفتنة في جيش الإمام علي عليه السلام، وانتهى الأمر إلى الصلح.

ثم تبعها مسألة الخوارج وحرب (النهروان) بينهم وبين الإمام علي عليه السلام، وبعد أن طوى الإمام صفحة الخوارج وتهيّأ من جديد لحرب معاوية، واجه عملية الاغتيال في محراب المسجد؛ ممّا أدّى إلى استشهاده، فآلت الخلافة إلى ابنه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، الذي كانت أُولى خطواته هي تهيئة الجيش لقتال المتمرّدين على الخلافة الشرعية، وهم معاوية وأتباعه، ولكن على إثر سلسلة من الخيانات في جيش الإمام عليه السلام، مع تقاعس الناس وخدائع معاوية ودسائسه، اضطرّ الإمام عليه السلام إلى عقد الصلح مع معاوية، وكانت هناك مجموعة من البنود في وثيقة الصلح، وقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد عدد هذه البنود وبعض ما ورد فيها، وما يرتبط ببحثنا هو البند المرتبط بالخلافة، وهذا البند نُقل بصيغ متعدّدة: «**وهي بحسب ما تتبّعناه ووقفنا عليه ثلاث صيغ:**

الصيغة الأُولى: أن ليس لمعاوية أن يعهد لأحدٍ من بعده، وأنّ الأمر من بعده شورى للمسلمين.

الصيغة الثانية: أنّ الخلافة من بعد معاوية تعود للإمام الحسن عليه السلام.

الصيغة الثالثة: أنّ الخلافة من بعد معاوية تعود للإمام الحسن عليه السلام، فإن حدث به حدث تعود للإمام الحسين عليه السلام»[1].

يمكن استفادة هذه الصياغات الثلاث من مجموعة من المصادر التي ذكرت هذا الأمر[2].

وبناءً على هذه الصياغات الثلاث فإنّ القدر المشترك المتيقّن منها أنّه لا يحقّ لمعاوية أن يوصي بالخلافة لأحد مهما كان، وفي حال فعل ذلك فهو مخالف لبنود وثيقة الصلح، وعمله باطل، ويصحّ الاعتراض عليه. وأمّا إذا أضفنا قيد أن تكون الخلافة بعده للإمام الحسن فالأمر أوضح، وكذا يزداد وضوحاً إذا أضفنا القيد الثالث.

نقض معاوية لمعاهدة الصلح

إنّ الشواهد التاريخية المؤكَّدة تُثبت أنّ معاوية قد نقض بنود معاهدة الصلح بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام، فقد جاء في كتاب (أنساب الأشراف): «...**ثمّ قام معاوية فخطب الناس، فقال في خطبته: ألا إنّي كنت شرطت في الفتنة شروطاً أردت بها الأُلفة، ووضع الحرب، ألا وأنّها تحت قدمي**»[3].

---

(١) الرحمة، حكمت، الأُطر الشرعية والقانونية لثورة الإمام الحسين: ص٧٤.

(٢) أُنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٤، ص٢٩١، وج٥، ص١٢. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٢. ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١٦، ص٢٣. الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول: ص٣٥٧. ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، الصواعق المحرقة: ج٢، ص٣٩٩. ابن الصبّاغ المالكي، علي بن محمد، الفصول المهمّة: ج٢، ص٧٢٩. ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج١، ص٣٨٧. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري: ج١٣، ص٥٦، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٢، ص٦٤. ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج٨، ص٤٥. الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد: ج١١، ص٦٧. ابن عنبة، أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص٦٧.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٤.

وقال معاوية أيضاً: «**يا أهل الكوفة، أتروني قاتلتُكم على الصلاة والزكاة والحجّ، وقد علمتُ أنّكم تصلّون وتُزكّون وتحجّون، ولكنّني قاتلتكم لأتأمّر عليكم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا إن كلّ مالٍ أو دمٍ أُصيب في هذه الفتنة فمطلول، وكلّ شرط شرطته فتحت قدمي هاتين**»[1].

كما أنّه نصّب ابنه يزيد ولياً لعهده والخليفة من بعده، وأمر الناس بالبيعة له، مخالفاً بذلك أهمّ بند من بنود تلك المعاهدة التي نصّت على أنّه لا يحقّ لمعاوية أن يوصي بالخلافة لأحد، بل هي تعود للحسن عليه السلام أو لأخيه الحسين عليه السلام، ممّا جعل أصحاب الرأي والحلّ والعقد في ذلك الزمان يعترضون عليه، ويستنكرون فعله، منهم: الإمام الحسين عليه السلام، وعائشة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعامّة أهل المدينة، وغيرهم[2].

وثيقة الصلح وفق القانون الدولي

يمكن النظر إلى ما وقع من الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بنحوين بناء على تعاليم القانون الدولي، فتارة يُنظر إلى المسألة على أنّها معاهدة داخلية ضمن إطار الدولة الإسلامية، ويكون حالها حال النزاعات الداخلية في الدولة الواحدة، كما هو الحال في اليمن وليبيا وسوريا اليوم. وأُخرى يُنظر إلى المسألة على أنّها معاهدة بين دولتين؛ باعتبار أنّ معاوية يعتبر نفسه دولة مستقلّة ولها سياساتها الخاصّة التي تميّزها عن دولة الإمام علي عليه السلام، وبغضّ النظر عن أنّه أيّة رؤية من الرؤيتين صحيحة، فإنّنا سنحاكم كلتا الرؤيتين وفق القانون الدولي.

---

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١٦، ص ١٤ـ ١٥.

(٢) أُنظر: ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٥٠٧. النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي: ج٦، ص٤٥٩. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٤ ص٤٨١، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٤، ص ٢٧٦. العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: ص١٦٤. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٤، ص٣٣٢. وغيرها من المصادر.

الرؤية الأُولى: المعاهدة داخلية

إنّ من الأُمور التي اهتمّ بها القانون الدولي هو فضّ النزاعات الداخلية في الدول؛ وذلك حفاظاً على السلم والصلح والأمن المجتمعي؛ باعتبار أنّ العالم يُدرك جيداً أنّ هناك نزاعات داخلية لا يمكن حسمها داخلياً، وخصوصاً بين الأطراف القوية. هذا من جهة، ومن جهة أُخرى هناك حقوق كثيرة تضيع من الطرف الضعيف الذي عادةً ما يكون ضحية وفريسة سهلة للطرف الآخر؛ من هنا فإنّه توجد ضرورة ملحّة لتقنين قوانين تحفظ الحقوق، وتبيّن حدود الطرفين، ومنها احترام المعاهدات والاتّفاقات التي تُبرم بين الطرفين لفضّ النزاعات وإنهاء حالة الاقتسام والصراع. ولكن للأسف الشديد لا توجد قوانين واضحة وصارمة للاهتمام في هكذا أمر، وهذا نقص واضح على المجتمع الدولي أن يتنبّه له.

نعم، هناك طريقة اعتمدها المجتمع الدولي في التعامل مع هكذا أُمور، وهي في حال حصل التوافق بين طرفي النزاع، وكانت هناك معاهدة بينهما؛ فإنّ المجتمع الدولي يُقرّ ذلك ويؤيّده ويؤكّد العمل به، وفي حال لم يتمّ الالتزام به فإنّه توجد بعض العقوبات التي عادةً ما تكون رادعة في البين، من قبيل ألّا يُسمح للطرف المعتدي بالمشاركة في حضور القمم والمؤتمرات والاجتماعات العالمية، ولا يتمّ التعامل معه كممثّل عن الدولة المعينة، بل يكون التعامل مع الطرف الآخر.

نعم، هذه المسألة تخضع ـ في كثير من الأوقات ـ لرغبات الطرف الأقوى وعلاقاته بالأقوياء، فقد حصل في بعض الأوقات أنّ الطرف المعتدي له علاقة ببعض الدول القوية التي تحميه وتعترف به رسمياً، وهذا الظلم وإن كان موجوداً بالفعل إلّا أنّ الوجدان العالمي لا يقبل به.

وعلى كلّ حال؛ فإنّ هناك أمثلة عديدة على الاتّفاقات الداخلية التي رعتها الأُمم المتّحدة وقبلها المجتمع الدولي:

منهـا: اتّفـاق أطراف النزاع في ليبيـا، حيث «أعلنت الأُمم المتّحـدة اختتام الجولة الأُولى من الحوار بين أطراف النزاع الليبي التي جرت برعايتها في جنيف يومي الأربعاء والخميـس. وقالـت البعثة في بيـانٍ: إنّ المباحثات كانـت بنّاءة، حيث عُقـدت في أجواء إيجابيـة، وعكسـت الالتزام الصـادق للمشـاركين؛ للوصـول لأرضية مشـتركة لإنهاء الأزمة. وأضافت أنّ المشـاركين عبّروا عن التزامهم القاطـع بليبيا موحّدة وديمقراطية، تحكمهـا سـيادة القانـون واحترام حقـوق الإنسـان. وأشـارت البعثة إلى أنّ المشـاركين اتّفقـوا بعـد نقـاش مسـتفيض على جـدول أعـمال يتضمّن الوصـول إلى اتّفاق سـياسي لتشـكيل حكومة وحدة وطنية توافقية، والترتيبات الأمنية اللازمة لإنهاء القتال، وتأمين الانسـحاب المرحلي للمجموعات المسـلّحة من كافّة المدن الليبية؛ للسماح للدولة لبسط سلطتها على المرافق الحيوية في البلاد»[1].

ومنهـا: اتّفـاق الطائـف (Taif Agreement)، وهو: «الاسـم الـذي تُعرف بـه وثيقة الوفاق الوطنـي اللبناني التي وُضعـت بين الأطراف المتنازعـة في لبنان، وذلك بوسـاطة سـورية ـ سـعودية في ٣٠ أيلـول (سـبتمبر) ١٩٨٩م في مدينة الطائـف، وتمّ إقراره في لبنان بقانون بتاريـخ ٢٢ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٨٩ منهياً الحرب الأهلية اللبنانية، وذلك بعد أكثر من خمسة عشر عاماً على اندلاعها. جرى التفاوض في الطائف بالمملكة العربية السعودية، وقد صُمّم لإنهاء الحرب الأهلية اللبنانية المستمرّة منذ عقود، وإعادة تأكيد السلطة اللبنانية في جنوب لبنان التي كانت تحتلّها إسرائيل»[2].

ومنها: توقيع اتّفاقية الأطراف المتنازعة في جنوب السـودان، حيث «وقّع رئيس جنوب السـودان سـلفاكير، وزعيم المعارضة رياك مشـار، وممثّلو فصائل المعارضة من

(١) اتّفاق بين الأطراف المتنازعة في ليبيا على تشكيل حكومة وطنية توافقية، إعداد: فرانس٢٤، نُشر بتاريخ ١٦/ ١/ ٢٠١٥م.https://www.france24.com/ar

(٢) https: //ar.wikipedia.org

المعتقلين السابقين دينق ألور، وتحالف معارضة جنوب السودان جبريال جونسون، على اتّفاق السلام النهائي، بحضور رؤساء دول: السودان، جيبوتي، إثيوبيا، الصومال، وأوغندا، وممثّلي المنظّمات الدولية»[1].

وهناك أمثلة كثيرة على ما نحن فيه؛ فإنّ هذه الاتّفاقيات ترعاها ـ في كثير من الأحيان ـ هيئة الأُمم المتّحدة، أو ممثّلون عنها، وتُعتبر قانونية ويجب العمل بها، وفي حال خالف أحد الأطراف بنود الاتّفاق فإنّه يحقّ للطرف الآخر الاعتراض عليه والوقوف بوجهه والاحتجاج بالاتّفاقية الموقّعة بين الطرفين.

وهذه الأمثلة هي نظير معاهدة الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام، ومعاوية فيما إذا نظرنا إلى النزاع على أنّه نزاع داخلي في دولة واحدة، ويُعتبر ما فعله معاوية أمراً مرفوضاً؛ لأنّه مخالف للعهد والميثاق، ويترتّب على ذلك جواز الاعتراض عليه، ورفض مشروعه وخطواته التي تخالف المعاهدة، وبذلك يكون خروج الإمام الحسين عليه السلام أمراً مشروعاً، وعلى وفق الأعراف الدولية السارية في النزاعات والصراعات الداخلية، وأنّ ما تعرّض له الإمام عليه السلام يُعتبر أمراً مرفوضاً ومخالفاً للقيم الإنسانية.

الرؤية الثانية: المعاهدة دولية

حازت المعاهدات الدولية على اهتمام بالغ من قبل المجتمع الدولي؛ لما لها من أهمّية قصوى في تنظيم تعامل الدول فيما بينها، وما يترتّب على ذلك من سلم وأمن دوليّين، وفي حال عدم احترام تلك المعاهدات فإنّه سوف تَحلّ الفوضى واللااستقرار في عموم المعمورة، وهي أهمّية قصوى أدركها المجتمع الإنساني، ووضع لها قانوناً يُنظّم تلك المعاهدات من خلال بنود واضحة ومرتّبة.

(١) https://al-ain.com/article/

قانون المعاهدات الدولية[1]

وهو المعروف بـ(اتّفاقية فيينا لقانون المعاهدات)، حيث اعتُمدت من قبل مؤتمر الأُمم المتّحدة بشأن قانون المعاهدات، المؤتمر الذي عُقد بموجب قراري الجمعية العامّة للأُمم المتّحدة رقم ٢١٦٦ المؤرّخ في ٥ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٦٦، ورقم ٢٢٨٧ المؤرّخ في ٦ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٦٧، وقد عُقد المؤتمر في دورتين في (فيينا) خلال الفترة من ٢٦ آذار (مارس) إلى ٢٤ آيار (مايو) ١٩٦٨، وخلال الفترة من ٩ نيسان (أبريل) إلى ٢٢ آيار (مايو) ١٩٦٩. وفي ختام أعماله في ٢٢ آيار (مايو) ١٩٦٩، قد اعتُمدت الاتّفاقية ـ المشار إليها ـ وعُرضت للتوقيع في ٢٣ آيار (مايو) ١٩٦٩، ودخلت حيّز النفاذ في ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠.

وقد جاء في هذا القانون مجموعة من البنود التي تنطبق على وثيقة الصلح محلّ البحث، منها:

---

(١) جاء في ديباجة هذا القانون: إنّ الدول الأطراف في هذه الاتّفاقية، تقديراً منها للدور الأساسي للمعاهدات في تاريخ العلاقات الدولية، واعترافاً منها بالأهمّية المتزايدة للمعاهدات كمصدر للقانون الدولي وكسبيل لتطوير التعاون السلمي بين الدول مهما كانت نظمها الدستورية والاجتماعية، وملاحظة منها أنّ مبادئ حرّية الإرادة، وحسن النيّة، وقاعدة العقد شريعة المتعاقدين معترف بها عالمياً، وتأكيداً منها بأنّ المنازعات المتعلّقة بالمعاهدات كبقية المنازعات الدولية يجب أن تسوّى بالطرق السلمية، ووفق مبادئ العدالة والقانون الدولي، وتذكيراً منها بتصميم شعوب الأُمم المتّحدة على إقامة شروط يمكن معها الحفاظ على العدالة واحترام الالتزامات الناشئة من المعاهدات، واعتباراً منها لمبادئ القانون الدولي المقرّرة في ميثاق الأُمم المتّحدة، مثل: الحقوق المتساوية، وتقرير الشعوب لمصائرها، والمساواة في السيادة واستقلال جميع الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، ومنع التهديد بالقوّة أو استعمالها، والاحترام العالمي لحقوق الإنسان والحرّيات الأساسية للجميع. واعتقاداً منها بأنّ التقنين والتطوّر التقدّمي لقانون المعاهدات اللذين تحقّقا في هذه الاتّفاقية سيدعمان مبادئ الأُمم المتّحدة المنصوص عنها في الميثاق، وهي المحافظة على السلم والأمن الدوليّين، وتطوير العلاقات الودّية، وتحقيق التعاون بين الدول. وتأكيداً منها بأنّ قواعد القانون الدولي العرفية ستستمرّ في حكم المسائل التي لم تنظم بأحكام هذه الاتّفاقية، قد اتّفقت على ما يلي...

١ـ المادّة ٢، البند ١، فقرة أ: «**يقصد بـ (المعاهدة) الاتّفاق الدولي المعقود بين الدول في صيغة مكتوبة، والذي يُنظّمه القانون الدولي، سواء تضمّنته وثيقة واحدة أو وثيقتان متّصلتان أو أكثر، ومهما كانت تسميته الخاصّة**».

٢ـ المادّة ١٠، الفقرة ب، في توثيق واعتبار المعاهدة: «**بالتوقيع، أو بالتوقيع بشرط الرجوع إلى الحكومة، أو بالتوقيع بالأحرف الأُولى من قبل ممثّلي الدول على نصّ المعاهدة، أو على المحضر الختامي للمؤتمر الذي يتضمّن النصّ**».

كما تحدّثت المادّة ١١ أيضاً عن مسألة التوثيق والاعتبار بالقول: «**يمكن التعبير عن رضا الدولة الالتزام بالمعاهدة بتوقيعها، أو بتبادل وثائق إنشائها، أو بالتصديق عليها، أو بالموافقة عليها، أو بقبولها، أو بالانضمام إليها، أو بأيّة وسيلة أُخرى متّفق عليها**».

٣ـ المادّة ١٨: «**تلتزم الدولة بالامتناع عن الأعمال التي تُعطّل موضوع المعاهدة أو غرضها**».

٤ـ المادّة ٢٦: «**كلّ معاهدة نافذة ملزمة لأطرافها وعليهم تنفيذها بحسن نيّة**».

٥ـ المادّة ٤٢، البند ٢: «**لا يجوز انقضاء المعاهدة أو إلغاؤها أو انسحاب طرف منها إلّا كنتيجة لأعمال نصوص المعاهدة**».

٦ـ المادّة ٦٠، البند ١: «**الإخلال الجوهري بالمعاهدة الثنائية من قِبل أحد أطرافها يخوِّل الطرف الآخر الاحتجاج به كسبب لانقضائها، أو لإيقاف العمل بها كلّياً أو جزئياً**».

هذه مجموعة من البنود التي تنطبق بشكل صريح على وثيقة الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام وبين معاوية، فيما إذا نظرنا إليها على أنّها بين دولتين، فقد أثبتت النصوص المتقدّمة أنّ الوثيقة معتبرة وموثّقة، ولا يصحّ نقضها من أيّ طرف، وفي حال نَقَضَها أحد الأطراف فإنّه يحقّ للطرف الآخر الاعتراض وعدم العمل بها، وبذلك يحقّ للإمام الحسين عليه السلام الاعتراض على معاوية وعلى تولّي يزيد خلافة الدولة الإسلامية،

فهـو اعتراض مشروع ومقبول ووفق القوانين الدوليـة الوضعية، فضلاً عن القانون الإسـلامي، وبذلك يثبـت أنّ ما جرى في كربلاء من قِبل الدولـة غير الشرعية يُعتبر جريمـة نكـراء، يرفضهـا المجتمع الـدولي ويعاقب عليهـا، ويعتبرها انتهـاكاً صريحاً للقانون الدولي.

المبحث الثاني: نهضة الإمام الحسين وفق ممارسات يزيد ومؤهّلاته

لا شـكّ أنّ لـكلّ دولة نظاماً تسـير عليه، وقانوناً تعمل عـلى طبقه، ولا يجوز لها تجـاوزه والعمل على خلافه، وأنّ الراعي الأوّل لحفـظ ذلك القانون هو الذي يكون في هـرم ذلك النظام، سـواء كان رئيسـاً، أم ملكاً، أم خليفـة، أم أيّ عنوان آخر، وفي حال خالف ذلك الشـخص القانونَ المعين والمتّفق عليه ـ عملياً ونظرياً ـ فإنّه بطبيعة الحال ومن المسـلّم عند الجميع سـوف يفقد الأهلية لقيادة ذلك النظام؛ وبذلك يحقّ للآخرين الاعتراض والمطالبة بإسقاط ذلك الحاكم وتغييره، وفيما نحن فيه فإنّ يزيد قد خالف الدين الإسلامي بأكثر تفاصيله النظرية والعملية.

القانون الإسلامي

مـن الواضح والمسـلّم بـه أنّ القانـون الذي تعتمـد عليه الدولة الإسـلامية هو القانون النابع من القرآن الكريم وسُنّة الرسول عليه السلام، فهناك قواعد اعتقادية وسلوكية ثابتـة وواضحـة عند جميع المسـلمين، وتُعتـبر من المسـلَّمات التي لا يمكـن تجاوزها ومخالفتهـا أو تركهـا، من قبيـل الاعتقاد بالله تعـالى وبالنبوّة والمعـاد، ومن قبيل فعل الصـلاة والصيـام والحجّ وباقي الواجبات الأساسـية في الديـن، وترك شرب الخمر والزنـا وقتـل النفـس المحترمـة وسرقة المـال وبخاصّـة المـال العامّ، وغـير ذلك من الواجبـات والمحرّمـات التي لا بدّ مـن مراعاتها طبقاً للقانون الإسـلامي، وفي حال خالفهـا الحاكـم في الدولـة الإسـلامية فإنّه يفقـد الأهليـة لإدارة الدولـة، ولا بدّ أن

يُستبدل، ويحقّ الوقوف بوجهه ومعارضته وإسقاطه[1].

مخالفات يزيد للقانون الإسلامي

يُعتبر يزيد من الشخصيّات المتهتّكة جدّاً حسب موازين الإسلام، فهو قد خالف الإسلام عقيدةً وسلوكاً، فهو من جهة ينفي وجود الرسالة والدين الإسلامي، ومن جهة أُخرى يستخفّ بالصلاة وبعض الواجبات الأساسية، ومن جهة ثالثة يرتكب المحرّمات الواضحة كشرب الخمر والزنا، وغير ذلك من الممارسات التي خالف بها أوضح القوانين الإسلامية الثابتة عند جميع المسلمين. وقد أُلّفت في إثبات تلك المخالفات العديد من الكتب والبحوث والمقالات[2].

وبناءً على ذلك فإنّ من الثابت والواضح جواز معارضة يزيد والوقوف بوجهه، بل وجوب ذلك وضرورته، لفقده أهلية إدارة الدولة الإسلامية.

احترام القانون الداخلي في القوانين الدولية

نصّت القوانين والمواثيق الدولية على ضرورة احترام النظام الداخلي في العديد

---

(١) من الواضح أنّ كلامنا عن الدولة الإسلامية التي تعتقد بمبادئ الدين الإسلامي، والّا فإنّ كثيراً من الدول الإسلامية ـ خصوصاً في الأزمنة المتأخّرة ـ ليس لها من الإسلام إلّا الاسم، والقانون الذي تعتمد عليه هو قانون وضعي يخالف في الكثير من مفرداته المبادئ والقيم الإسلامية، وكلامنا عن الدولة الإسلامية في ذلك الزمان التي تُعتبر فيه خلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وقانونها هو الإسلام الذي يعتمد على القرآن وسُنّة الرسول صلى الله عليه وآله.

(٢) أُنظر: (الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد) لابن الجوزي. (محاضرات حول دور الصحابة في النهضة الحسينية وجواز لعن يزيد في القرآن والسُنّة) للشيخ محمد جواد الطبسي. (مَن هم قتلة الحسين؟) للسيّد علي الميلاني. (الأُطر الشرعية والقانونية لثورة الإمام الحسين) للشيخ حكمت الرحمة (الفصل الثالث، المبحث الثاني: يزيد وعدم أهليّته للخلافة). مقال تحت عنوان: (النهضة الحسينية وحفظ المبادئ والمظاهر الدينية) للشيخ رافد التميمي، منشور في مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد الرابع. مقال: (يزيد بن معاوية سنخ الجريمة) لمحمد طاهر الصفّار، منشور على موقع العتبة الحسينية المقدّسة. وغير ذلك من البحوث.

مـن فقـرات نُظُمها وقوانينها العامّـة، وأكّدت أنّ القوانين التي تكون عامّة وشـاملة للمجتمع الدولي لا بدّ أن تكون موافقة للقانون الداخلي للدولة، أو لا أقلّ ألّا تكون معارضة له، ومن الأمثلة على ذلك:

١ـ المـادّة ١ مـن قانون المحكمة الجنائية الدولية: «**وتكـون المحكّمة هيئة دائمة لها السـلطة لممارسة اختصاصها على الأشخاص إزاء أشـدّ الجرائم خطورة موضع الاهتمام الدولي، وذلك على النحو المشـار إليه في هذا النظام الأسـاسي، وتكـون المحكمة مكمّلة للولايـات القضائية الجنائية الوطنيـة**»[١]. وهذا تصريح بأنّ المحكمـة الجنائية الدولية هـي مكمّلة للمحكمـة الوطنية لا معارضة لهـا، وهذا يعني احـترام النُظُم الداخلية للدول.

٢ـ مبـدأ الاختصـاص الإقليمـي، الذي هو لحفـظ النظام العامّ داخـل الدولة، والـذي أصبح في هذه الأيّام من الأُمور المقبولة في العلاقات الدولية بين كلّ الدول؛ لأنّه يُعتبر مثالاً لسلطة الدولة؛ ولأجل ذلك فالدول لا تأذن بأن يُنفّذ قانون عقوبات دولة أُخرى على أراضيها بناءً على أصل استقلال الدولة وسيادتها[٢].

يقـول (جان جاك روسـو) الفرنسي، وهو مـن مؤيّدي ومنظّري هـذا المبدأ: إنّ أسـاس الوحـدة (الاتّحاد) بـين أعضاء مجتمـع معيّن وكـذا اتّحادهم مـع الدولة، هو العقـد الاجتماعـي، وأنّ العامـل الذي له الحصّـة الأبرز في تحقّق هـذا العقد هو مبدأ الاختصاص الإقليمي؛ باعتبار أنّ الأشخاص الذين يختارون العيش في مكان معيّن، يُعتبر اختيارهم هذا إعلاناً لإطاعة القوانين في ذلك المكان وتنفيذها؛ إذ لو لم يكونوا راضـين بتلك القوانين لتركوا ذلـك المكان تخلّصاً منها، فعدم تـرك ذلك المكان يدلّ

(١) نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، تمّ اعتماده من قِبل مؤتمر الأُمم المتّحدة الدبلوماسي للمفوّضين، المعني بإنشاء محكمة جنائية دولية. روما ـ إيطاليا، ١٥ حزيران (يونيه) ـ ١٧ تموز (يوليه) ١٩٩٨م.

(٢) اُنظر: هادن دير دووابر، هانري، حقوق جنايي وقانون كذاري جنايي (فارسي): ص٣٧.

على أنّ الذين اختاروا العيش فيه يرغبون بإطاعة القانون الوطني، ويقبلون بأن تكون تلك القوانين حاكمة على أفعالهم وأعمالهم. وبناءً على هذا؛ فإذا وقع جرم ما ـ الذي يعتبر تخلّفاً عن العقد الاجتماعي ـ فلا بدّ أن يكون القانون الذي قبل الفرد حاكميّته هو الفيصل الذي لا بدّ أن يُطبّق ويُنفّذ على مثل هذا النوع من الأعمال[1].

ويعتبر (سزاري بكاريا) ـ وهو من مؤسّسي المذهب التقليدي (المدرسة الكلاسيكية)، ومن المناصرين المتعصّبين لمبدأ الاختصاص الإقليمي ـ أنّ قانون العقوبات حافظ لنظام الدولة، ويعتقد أنّ القوانين الجنائية يتمّ إجراؤها داخل الدولة فقط؛ لأنّ السلطة السياسية لكلّ دولة تنتهي عند حدودها، فإنّ ارتكاب الجرم يؤدّي إلى اختلال النظام في مجتمع معيّن؛ لذلك لا بدّ أن تكون المتابعة والمجازات في نفس ذلك المكان، حتّى يمكن لهذه العقوبة أن تُزيل الآثار والنتائج السيّئة والمشؤومة لتلك الجريمة[2].

٣ـ من المبادئ المهمّة في القانون الدولي التي قبلها كثير من المشرّعين أنّه: «**لا تسري قواعد القانون الدولية بصفة إلزامية في النظام القانوني الداخلي مباشرة، ولكن لا بدّ من تحويلها إلى قواعد داخلية وفقاً لما يتمّ النصّ عليه في الدساتير الوطنية لتطبيق الاتّفاقيات الدولية**»[3].

هذه الموارد جميعاً تدلّ على ضرورة احترام النظام والقانون الداخلي للدول، وأنّه لا يجوز تجاوزه من الخارج فضلاً عن الداخل؛ وبناءً على ذلك فإنّ المخالفات التي ارتكبها يزيد قد أسقطت عنه الأهلية والشرعية، فهو بمخالفته للقانون الإسلامي

(١) أُنظر: محسني، مرتضى، كلّيات حقوق جزاي عمومي: جلد اول، ص٣٨٥.
(٢) أُنظر: بكاريا، سزاري، جرايم ومجازاتها: ص ١٠٢، وص١٣٦.
(٣) أُنظر: علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العامّ، الإسكندرية: ص٩٣. حسينة شرون، مقال تحت عنوان: علاقة القانون الدولي بالقانون الداخلي: ص٣٢، منشور على الموقع الإلكتروني: https://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream.

ونظامه الداخلي، جعل الخروج والاعتراض عليه أمراً مشروعاً وجائزاً وفقاً للقوانين والأعراف الدولية فضلاً عن الإسلامية.

المبحث الثالث: النهضة وفق مبدأ الحرّية ورفض الظلم

إنّ من الأُمور المهمّة التي كفلها القانون الدولي للأشخاص هو حرّية الرأي والتعبير، ونبذ الظلم والاضطهاد؛ فإنّ مَن تُصادر حقوقه ويقع عليه الظلم يحقّ له الاعتراض على ذلك، ويحقّ له الرفض والمقاومة بكافّة الوسائل المشروعة، وهو دفاع عن النفس والعزّة والكرامة.

استبداد حكومة يزيد وقمعها للحرّيات

هناك شواهد كثيرة على استبداد حكومة يزيد، وأنّها حكومة دكتاتورية ظالمة تُصادر كافّة الحرّيات المشروعة للأفراد، دينية كانت أم إنسانية. وسوف نقتصر على ذكر شاهدين على ذلك:

الشاهد الأوّل: الإجبار على البيعة والتهديد بالقتل

روى البلاذري في (أنساب الأشراف): «**وكتب [أي: يزيد] إليه [أي: والي المدينة] في صحيفة كأنّها أُذن فأرة: أمّا بعد، فخذ حسيناً، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة ولا هوادة حتّى يبايعوا، والسلام**»[1].

وروى ابن شهر آشوب في مناقبه: «**فلمّا مات معاوية كتب يزيد إلى الوليد بن عقبة بن أبي سفيان بالمدينة يأخذ البيعة من هؤلاء الأربعة أخذاً ضيّقاً ليست فيه رخصة،**

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٩٩. الطبري، محمد جرير، تاريخ الأُمم والملوك (تاريخ الطبري): ج٤، ص٢٥٠. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٥، ص٣٢٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٥٧. وأُنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٠.

فمَن تأبّى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه، فأحضر الوليد مروان وشاوره في ذلك، فقال: الرأي أن تُحضرهم وتأخذ منهم البيعة قبل أن يعلموا. فوجّه في طلبهم، وكانوا عند التربة، فقال عبد الرحمن وعبد الله: ندخل دورنا ونُغلق أبوابنا. وقال ابن الزبير: والله، ما أُبايع يزيد أبداً. وقال الحسين بن علي عليه السلام: أنا لا بدّ لي من الدخول على الوليد وأنظر ما يقول. ثمّ قال لمَن حوله من أهل بيته: إذا أنا دخلت على الوليد وخاطبته وخاطبني، وناظرته وناظرني، كونوا على الباب فإذا سمعتم الصيحة قد علت، والأصوات قد ارتفعت، فاهجموا إلى الدار ولا تقتلوا أحداً ولا تثيروا الفتنة»[1].

فالإجبار على البيعة كان واضحاً وصريحاً وبكتاب رسمي، وفي حال تمّ الامتناع عن البيعة فالقتل وقطع الرؤوس، وهي من أبشع الجرائم الإنسانية، ومخالفة لأبسط الحقوق والحرّيات.

الشاهد الثاني: القتل والظلم والتهتك

الروايات والأخبار في ذلك كثيرة، وقد ملأت كتب التاريخ والسير، نقتصر على نصّ واحد يبيّن أهمّ ثلاث جرائم كبرى قام بها يزيد:

قال البلاذري: «**وأمّا يزيد بن معاوية فكان يكنّى أبا خالد، حدّثني العمري، عن الهيثم بن عدي، عن ابن عيّاش وعوانة وعن هشام ابن الكلبي، عن أبيه وأبي مخنف وغيرهما، قالوا: كان يزيد بن معاوية أوّل مَن أظهر شرب الشراب، والاستهتار بالغناء، والصيد، واتّخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القرود، والمعاقرة بالكلاب والديكة، ثمّ جرى على يده قتل الحسين، وقتل أهل الحرّة، ورمي البيت وإحراقه**»[2].

هذه هي بعض ممارسات يزيد الثابتة والواضحة والمسلّمة في التاريخ.

---

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٤٠. وأُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٣.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٨٦.

أفعال يزيد وفقاً للقانون الدولي

هنـاك قوانـين دولية عديدة تؤكّد نبـذ الظلم وضرورة الوقـوف بوجه الظالمين، وضرورة المحافظـة عـلى الحرّيـات العامّـة للأفـراد، التـي تُعطـي الحقّ للفـرد الذي يتعـرّض للظلم والاضطهاد بأن يدافع عن نفسـه وكرامتـه وحرّيته، وهي بنود كثيرة نقتصر على بعضها:

١ـ المادّة ٥ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: «**لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة، أو العقوبة القاسية، أو اللاإنسانية، أو الحاطّة بالكرامة**».

٢ـ المـادّة ١٩ مـن الإعلان العالمي لحقوق الإنسـان: «**لكلّ شـخص حـقّ التمتّع بحرّية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحقّ حرّيته في اعتناق الآراء دون مضايقة...**».

٣ـ المـادّة ٢١ البنـد الأوّل من الإعلان العالمي لحقوق الإنسـان: «**لكلّ شـخص حقّ المشـاركة في إدارة الشؤون العامّة لبلده، إمّا مباشرة، وإمّا بواسطة ممثّلين يُختارون في حرّية**».

٤ـ جاء في ديباجة قانون المعاهدات الدولية، كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك مسبقاً: «**أنّ الدول الأطراف في هذه الاتّفاقية، تقديراً منها للدور الأساسي للمعاهدات في تاريخ العلاقـات الدولية... واعتبـاراً منها لمبادئ القانون الدولي المقرّرة في ميثاق الأُمم المتّحدة مثل: الحقوق المتساوية، وتقرير الشعوب لمصائرها، والمساواة في السيادة، واستقلال جميع الدول، وعدم التدخّل في شؤونها الداخلية، ومنع التهديد بالقوّة أو استعمالها، والاحترام العالمي لحقوق الإنسان والحرّيات الأساسية للجميع... قـد اتّفقت على ما يلـي...**».

فإذا طبّقنا مثل هذه القوانين على فعل يزيد نجده قد ارتكب أبشـع الجرائم التي ينهى عنها القانون الدولي، فقد هدّد، وروّع، وخوّف، وشرّد، وصادر جميع الحرّيات، ثمّ قتل، وأَسر، وصادر الأموال، وانتهك الأعراض، واعتدى وأحرق.

الخاتمة

قد تبيّن من خلال البحوث السابقة أنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام إذا حاكمناها على وفق القانون الدولي ـ وهي اللغة التي يفهمها المجتمع الإنساني بشكل عامّ ـ نجد أنّها نهضة مشروعة ومباركة، ويدعمها القانون الدولي والأعراف الحاكمة على المجتمع الإنساني؛ كونه عليه السلام اعتمد في نهضته على عدّة أُمور، منها: أنّ وثيقة الصلح التي عقدها معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام سلبت من معاوية الأهلية لأن يُعيّن الخليفة بعده، كما أنّ يزيد قد خالف القانون الداخلي للدولة الإسلامية، وهو يُفقده أهلية تولّي أمرها والحكم عليها، بالإضافة إلى ظلمه وقتله وانتهاكه الحرمات والأعراض والأموال، جميع ذلك يجعل من المشرّع والقانوني الوقوف بوجهه والنهوض لإسقاط حكومته الفاسدة. فنهضة الإمام الحسين عليه السلام نهضة حرّية وعدالة وحقوق، فهي مشروعة على وفق القانون الدولي، فضلاً عن القانون الإسلامي.

المصادر والمراجع

١. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ضمن سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، الطبعة الأُولى، ١٩٩٢م.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد، علي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، ١٩٩٥م.

٤. الأُطر الشرعية والقانونية لثورة الإمام الحسين عليه السلام، د. الشيخ حكمت الرحمة، مؤسّسة وارث الأنبياء، الطبعة الأُولى.

٥. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: محمد حميد الله، معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية، ١٩٥٩م.

٦. البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأُولى، ١٩٨٨م.

٧. تاريخ الأُمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: نخبة من العلماء، مؤسّسة الأعلمي، ١٩٨٣م.

٨. تاريخ خليفة بن خيّاط، خليفة بن خيّاط العصفري، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ١٩٩٣م.

٩. جرايم ومجازاتها، سزاري بكاريا، ترجمة: محمد علي اردبيلي، دانشكاه شهيد بهشتي، الطبعة الأُولى، طهران.

١٠. حقوق جنايي وقانون كذاري جنايي، هانري هادن دير دووابر، ترجمة: علي ازمايش، جزوة درسي كارشناسي ارشد، دانشكاه تربيت مدرس، ١٣٦٨هـ.ش.

١١. الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد، عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي المعروف بابن الجوزي، تحقيق: هيثم عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية.
١٢. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: عادل أحمد، وعلي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، ١٩٩٣م.
١٣. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، دار الفكر، الطبعة الأُولى.
١٤. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأُولى.
١٥. الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي، خرّج أحاديثه وعلّق عليه: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.
١٦. علاقة القانون الدولي بالقانون الداخلي (مقال)، الأُستاذة حسينة شرون، منشور على الموقع: http://sciencesjuridiques.ahlamontada.net.
١٧. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي بن عنبة، تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية، الطبعة الثانية، ١٩٦١م.
١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت ـ لبنان.
١٩. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ.
٢٠. الفصول المهمّة في معرفة الأئمة، أحمد بن محمد المعروف بابن الصبّاغ المالكي، تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ.
٢١. القانون الدولي العام والشريعة الإسلامية، علي علي منصور، القاهرة، ١٩٧١م.
٢٢. القانون الدولي العام، علي صادق أبو هيف، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

٢٣. الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ١٩٦٦م.
٢٤. كليات حقوق جزاي عمومي، مرتضى محسني، دانشكاه شهيد بهشتي، طهران.
٢٥. المبادئ العامّة في قانون العقوبات، د. علي حسين الخلف، و د. سلطان عبد القادر الشاوي، المكتبة القانونية، العراق بغداد.
٢٦. مجلّة القضاء، العدد الخامس، السنة ١٩٥٥م.
٢٧. محاضرات حول دور الصحابة في النهضة الحسينية وجواز لعن يزيد في القرآن والسُنّة، الشيخ محمد جواد الطبسي.
٢٨. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيشابوري، إشراف: يوسف المرعشلي، دار المعرفة.
٢٩. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، محمد بن طلحة الشافعي، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية.
٣٠. مقدّمة في القانون الدولي العام، صلاح الدين عامر، دار النهضة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٣١. مَن هم قتلة الحسين عليه السلام؟، السيّد علي الميلاني، مركز الحقائق الإسلامية.
٣٢. مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، تصحيح: لجنة، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦م.
٣٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي المعروف بابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى.
٣٤. النهضة الحسينية وحفظ المبادئ والمظاهر الدينية (مقال)، الشيخ رافد التميمي، مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد الرابع.
٣٥. يزيد بن معاوية سنخ الجريمة (مقال)، محمد طاهر الصفّار، موقع العتبة الحسينية المقدّسة.

المواقع الإلكترونية:

36. https://www.france24.com/ar
37. https://ar.wikipedia.org
38. https://al-ain.com/article/
39. https://mawdoo3.com
40. https://www.un.org/ar/sections/issues-depth/international-law-and-justice
41. http://sciencesjuridiques.ahlamontada.net
42. https://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream

العلاقة بين أهل البيت عليهم السلام وباب حطّة
الإمام الحسين عليه السلام أُنموذجاً

عمّار عبد الله الجويبراوي

باحث إسلامي، مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية/

من العراق

The Relationship Between the Household (PBUT) and Bab Hitta
– Imam Al-Husayn (PBUH) as a Sample

Ammar Abdullah al-Juwaibrawy

Islamic researcher, the Warith al-Anbiya Institute for Specialized Studies on the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH), from Iraq

ملخّص البحث

إنّ الإنسان ـ عدا مَن ثبتت عصمته ـ لم يُخلق ليكون مطهّراً من الذنب، ومبرّأً من الإثم؛ ومن هنا خلق الله تعالى مظاهر لرحمته، يقف الإنسان من خلالها على عفوه عزّ وجلّ وسعة رحمته، وجميل لطفه؛ منها التوبة التي تجعل الله عزّ وجلّ أشدّ فرحاً بتوبة عبده من أحدنا إذا وجد ضالّته، ومنها باب حطّة في بني إسرائيل، ومنها الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام في أُمّة الإسلام؛ ومن هنا جاء بحثنا ليقف على طبيعة (العلاقة بين الإمام الحسين عليه السلام وباب حطّة)، باعتبارهما مظهرين من مظاهر الرحمة الإلهية.

وقد تمّ اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في جمع البيانات من أجل الوصول إلى نتائج مقبولة، فكان ممّا توصّلنا إليه من نتائج أنّ الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام يمثّلون باب حطّة هذه الأُمّة، وأنّ هنالك تشابهاً كبيراً وتناظراً مثيراً بين الإمام الحسين عليه السلام وباب حطّة من حيث الآثار، وقد تمّ ذلك من خلال أدلّة بيّناها وقرائن سقناها.

الكلمات المفتاحية: باب حطّة، بنو إسرائيل، أهل البيت عليهم السلام، الإمام الحسين عليه السلام، غفران الذنوب.

Abstract

Humans – except for those whose infallibility has been established – were not created to be purified from sin and absolved of misdeed. Therefore, Allah Almighty created manifestations of His mercy, through which people can witness His forgiveness, the extent of His mercy, and the beauty of His grace. Among them, there is repentance which makes Allah, the Great and Almighty, more content with His servant's repentance than one of us would be when we reach our ultimate goal. One of these manifestations is Bab Hitta for Bani Israel, and another is Imam al-Husayn (PBUH) and the Household (PBUT) in the Islamic nation. Hence, our research aims to explore the nature of the relationship between Imam al-Husayn (PBUH) and Bab Hitta, since they are both part of the manifestations of divine mercy.

We adopted a descriptive-analytical approach when collecting data to get acceptable results. One of the results we reached is that Imam al-Husayn (PBUH) and the Household (PBUT) represent the Bab Hitta of this nation and that there is a significant similarity and an interesting parallel between Imam al-Husayn (PBUH) and Bab Hitta on the level of the effects. These results have been reached through the evidence and indications that we provided.

Keywords: Bab Hitta, Bani Israel, Household (PBUT), Imam al-Husayn (PBUH), forgiveness of sins.

المقدّمة

شـاءت الحكمة الإلهية أن يُخلق الإنسانُ ليكون شاخصاً ودليلاً على قدرته تعالى وعجيـب صنعه، وكيف لا يكون كذلك وقـد تولّت يد القدرة خلقه، فأتقنت قالبه، وأحسنت تقويمه، وزيّنت تصويره؟!

كلّ ذلـك تمهيـداً لجعله خليفة لله في أرضه، وحجّة على خلقه، ومسـتودعاً لسرّه، فسـخّر لـه ما في السـماوات والأرض، وأتحفه بنعمـه ظاهرة وباطنة، قـال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ...﴾[1]، وأتمّ له تلك النعم بإرسـال الرسل، وإنزال الكتب؛ ليكونوا له عوناً على اجتياز طريق العبودية، وسـلوك سبيل الوحدانية، الذي يؤمّن للإنسان نيل الرخاء الأبدي، والظفر بالهناء السرمدي.

وهـو طريق محفوف بالمشـقّة، وغايـة في الدقّة؛ لكثـرة مزالقه، وحِـدّة منعطفاته المتمثّلة بالشـيطان من جهة، وأهواء الإنسـان ونفسـه الأمّارة مـن جهة أُخرى، وهو فيـما بين ذلك بين أخذ وردّ، تتقاذفه الأهواء، وتجتذبـه الألطاف الإلهية التي ما فتئت تحنو عليه، ولم تكن لتدعه لقمة سائغة لوساوس الشيطان، وإغراءات النفس الأمّارة وتسـويلاتها؛ فكان من تلك الألطاف والمظاهر على ـ سـبيل المثال ـ باب حطّة في بني إسرائيـل، والإمام الحسـين وأهـل البيت عليهم السلام في أُمّة الإسـلام، وهاهنـا تكمن أهمّية الموضوع؛ إذ إنّه يركّز على توطيد العلاقة بين الإنسان وخالقه، وسبل تعزيزها.

وأمّا أهداف هذا البحث، فتتلخّص ببيان العلاقة بين هذين المظهرين، والوقوف عـلى دورهمـا في تحقيق الأمـان، وغفران الذنـوب، والرجوع مـن ذلّ المعصية إلى عزّ الطاعـة، ومن أسر الشـيطان وحظوظ النفس إلى حضيرة القـدس، على أن يتمّ ذلك من خلال المباحث التالية:

---

(١) لقمان: الآية ٢٠.

المبحث الأوّل: التعريف بـ(مصطلحات البحث)

قبل الخوض في بيان طبيعة العلاقة بين الإمام الحسين عليه السلام وباب حطّة؛ نرى من المناسب جدّاً أن نتطرّق إلى معنى حطّة في اللغة والاصطلاح؛ لأنّ ذلك يُعدّ أمراً ضرورياً لاستبعاد الكثير من عوامل الاختلاف ومسبّباته الناجمة عادة عن الفهم المتباين لتلك الألفاظ والمصطلحات.

الحطّة لغة

حِطَّة، من الحَطّ: «**وهو وضع الأحمال عن الدوابّ، تقول: حططت عنها... وحطّ السعر وانحطّ حُطوطاً وكسر وانكسر: يريد فتر**»[1]. وتقول: «**استحطّني فلان من الثمن شيئاً: أي استنقصني**»[2]، ومن ذلك قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿**وَقُولُواْ حِطَّةٌ**﴾[3]، و«**إنّما قيل لهم ذلك كي يستحطّوا بها أوزارهم، فتُحطّ عنهم... ويُقال: حطّ الله عنك وِزْرك، ولا أنقض ظهرك**»[4].

الحِطَّة اصطلاحاً

وهي تعني: نقصان المنزلة، ذلّة وهوان (تصرّفه يدلّ على حِطَّة في خُلقه)، ويُقال: حطَّ من قدره وسمعته أو نحوِهما: حقّره، عابه وأهانه. حطَّه عن مقامه: عزله، خلعه منه، وتأتي بمعنى طلب المغفرة[5].

---

(١) الهروي، محمّد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج٣، ص٢٦٧ـ٢٦٨.

(٢) الصغاني، الحسن بن محمّد، العباب الزاخر: ج١، ص٢٤٢. وأُنظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج٧، ص٢٧٥.

(٣) البقرة: الآية ٥٨.

(٤) الهروي، محمّد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج٣، ص ٢٦٨. وأُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج٣، ص١١١٩.

(٥) أُنظر: عمر، أحمد مختار بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة: ج١، ص٥١٦ـ٥١٧.

وفي ضوء ما تقدم يتّضح أنّ هنالك تقارباً بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردة حطّة، فكلاهما ورد بمعنى: التقليل والتخفيف والتنقيص، وهو ما يتناسب مع المراد من كلمة حطّة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾[1].

المبحث الثاني: باب حطّة مظهر الرحمة لبني إسرائيل

لقد حبا الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل بالكثير من النعم، وميّزهم على سائر الناس بامتيازات قلّما اتّفقت لأُمّة من الأُمم، وعلى كلا المستويين:

١ـ المادّي، قال تعالى: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ﴾[2]، وفي إشارة إلى هذه النعم وغيرها قال ابن عبّاس: «**من نعمة الله تعالى على بني إسرائيل أن نجّاهم من آل فرعون، وظلّل عليهم في التيه الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى في التيه، وأعطاهم الحجر الذي كان كرأس الرجل، يسقيهم ما شاؤوا من الماء متى أرادوا، فإذا استغنوا عن الماء رفعوه فاحتبس الماء عنهم، وأعطاهم عموداً من النور ليضيء لهم بالليل، وكانت رؤوسهم لا تتشعث، وثيابهم لا تبلى**»[3].

٢ـ المعنوي، المتمثّل بإنزال الكتب السماوية، وإيتائهم الحكم والنبوّة، وما تنطوي عليه تلك النعم من نفحات معنوية، وفيوضات ربّانية، وفي إشارة إلى جميع ما تقدّم من النعم يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4].

وأتمّ لهم تلك النعم بأن جعل لمذنبيهم باباً إلى عفوه ورحمته يُسمّى باب حطّة،

---

(١) البقرة: الآية ٥٨.

(٢) البقرة: الآية ٥٧.

(٣) الرازي، محمّد بن عمر، مفاتيح الغيب: ج٣، ص٤٧٧.

(٤) الجاثية: الآية١٦.

«وهـو البـاب الثامن من أبواب المسـجد، وهو من جهـة القبلة معلوم مذكـور»[1]، قال تعـالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وقد اختلف المفسّرون فيما هو المراد من كلمة حطّة على عدّة أقوال نقلها الشـيخ الطوسي في تفسـيره: «**قال الحسـن وقتـادة وأكثر أهـل العلم: معناه حطّ عنّـا خطايانا. وروي عـن ابن عبّاس أنّه قال: أُمروا أن يسـتغفروا. وروي عنه أيضـاً أنّه قال: أُمروا أن يقولوا: هذا الأمر حقّ، كما قيل لكم. وقال عكرمة: أُمروا أن يقولوا: لا إله إلا الله...**»[3].

ويمكننا أن نجمل مظاهر الرحمة الإلهية المتجلّية في باب حطّة بما يلي:

أوّلاً: الأكل حيث يشـاؤون في رغد من العيش؛ قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾. وكلمة (رَغَداً) تتضمّن معنيين:

١ـ الواسـع مـن العيش، الهنـيء الذي لا يُعنِّـي صاحبه، يقال: أرْغـد فلان: إذا أصاب واسعاً من العيش الهنيء، كما قال امرؤ القيس بن حُجْر:

بـيـنـمـا المـــرء تـــراه نـاعـمـاً ... يأمن الأحداث في عيش رغد[4]

٢ـ أنّه لا حساب عليهم[5].

ثانياً: غفران الذنوب: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾.

وهذا يمثّل المظهر الأساسي من مظاهر الرحمة الإلهية المتجلّية في باب حطّة؛ فإنّ الوعـد من الله ﷻ لبني إسرائيل بغفران الذنـوب يُعدُّ من النعم العظيمة التي تنطوي

(١) ابن العربي، محمّد بن عبد الله، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس: ص٣٥.
(٢) البقرة: الآية٥٨.
(٣) الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج١، ص٢٦٣.
(٤) أُنظر: الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج١، ص٣٢٩.
(٥) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمّد، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم): ج١، ص١١٧، رقم ٥٧٠.

عـلى معانٍ جليلة، تتمثّل في صفاء السريرة من أدران الخطايا، ونقاء القلوب من رين الذنوب، وبالتالي الرجوع إلى حريم طاعة المولى، والفوز بقربه، ونيل رضاه.

وقد ورد في تهذيب اللغة: أنّ «**أصل الغفر: السـتر والتغطية، وغفر الله ذنوبه: أي سـترها، ولم يفضحه بها على رؤُوس الملأ، وكلّ شيء سـترته فقد غفرته، ومنه قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس: مغفر**»[1].

تجدر الإشـارة إلى أنّ الخطيئة التي اقترفها بنو إسرائيل، والتي تسبّبت في غضب الله تعـالى عليهـم تتمثّل بإبائهـم على النبي مـوسى عليه السلام دخول الأرض المقدّسـة التي فيهـا الجبّارون[2]، وقد حكى القرآن الكريم ذلك على لسـانهم: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[3].

ثالثاً: زيادة أجر المحسنين: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

قال الشـيخ الطبرسي في تفسير المقطع المتقدّم، أي: «**ومَن كان محسناً منكم كانت تلك الكلمة سبباً في زيادة ثوابه، ومَن كان مسيئاً يغفر له، ويصفح عن ذنوبه**»[4]؛ حيث إنّ بنـي إسرائيل لم يكونوا في المعصية سـواءً، فقد كان فيهـم العصاة المذنبون، وفيهم المطيعـون النزيهون الذين أثنى الله عزّ وجلّ عليهم: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[5]؛ فالمحسـنون زادهـم الله إحسـاناً[6] بإيمانهـم وتسـليمهم، والرجـلان اللذان أثنى عليهما القرآن الكريم أحدهما يوشـع بن نون، والآخر كالب بن يافنا[7]،

(١) الهروي، محمّد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج٨، ص١١٢.
(٢) أُنظر: الواحدي، علي بن أحمد، التفسير الوسيط: ج١، ص١٤٤.
(٣) المائدة: الآية ٢٤.
(٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع: ج١، ص١٠٨.
(٥) المائدة: الآية ٢٣.
(٦) أُنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج١، ص١٧٣ـ ١٧٤.
(٧) أُنظر: العياشي، محمّد بن مسعود، تفسير العياشي: ج١، ص٣٠٣.

«وهما من النقباء»[1].

وأمّا النعم التي أنعمها الله عليهما، فتتمثّل في الخوف والمراقبة[2]، ويا لهما من نعمتين عظيمتين! أمّا الخوف فإنّه يبعث على لزوم الطاعة؛ لأنّ مَن خاف الله أطاعه، وأمّا المراقبة فتبعث على العصمة من الذنوب؛ لأنّ مَن جعل الله رقيباً على أعماله لم يتفرّغ للمعاصي، قال سيّد الشهداء عليه السلام: «**عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَراكَ عَلَيْها رَقيباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْد لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصيباً**»[3].

الحطّة اعتقاد وسلوك

إنّ دخول باب حطّة لا يكون سبباً في غفران الذنوب كيفما اتّفق، وإنّما يكون كذلك عندما تتوفّر شرائط معينة، كالدخول على هيئة الإنحناء والتواضع والخشوع المقرون بقول (حطّة)، قال تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾[4]؛ ولذا نجد أنّ الذين أخلّوا بتلك الشرائط، وبدّلوا الكلمة التي أُمروا بها، وقالوا (حنطة) على وجه التهكّم والاستهزاء، باؤوا بغضب الله عزّ وجلّ وانتقامه، قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[5]، قال الواحدي في بيان معنى ﴿رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: «**ظُلمةً وطاعوناً، فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً؛ جزاءً لفسقهم بتبديل ما أُمروا به من الكلمة**»[6].

وفي ضوء تلك المعطيات يتّضح أنّ الحطّة ليست مجرّد اصطلاح يُلفظ، أو كلمة تقال، وإنّما هي عقيدة وسلوك معناه: «**اتّخاذ الحطّة برنامجاً في أُمور حياتهم، وفي جميع**

(١) الطبري، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج٦، ص٢٤٠.
(٢) التستري، سهل بن عبد الله، تفسير التستري: ص٥٨.
(٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٥، ص٢٢٦.
(٤) البقرة: الآية ٥٨.
(٥) البقرة: الآية ٥٩.
(٦) الواحدي، علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج١، ص١٠٨.

أُمورهم، وفي سلوكهم وأفكارهم وأعمالهم، وهذا كتكليفهم بخطاب: قولوا: لا إله إلّا الله، أي: اتّخذوا التوحيد منظوراً وملحوظاً في جميع أُموركم، وجريان حياتكم.

وحقيقة الحطَّة هنالك: طرح الأثقال والأوزار والأحمال، ممّا خالف العقل والشرع في عقيدة أو فكر أو خلق أو عمل، ومرجعه إلى التخلّي والورع عمّا ينافي رضاء الله تعالى، والتقوى عمّا كانوا عليه من اتّباع الهوى، وارتكاب المناهي والمعاصي.

فيكون المعنى: بأن يكون برنامج أُموركم بعد هو الحطَّة، فقولوا: جريان أُمورنا هو الحطَّة عن الأوزار السابقة، والكدورات الماضية، والتكلّفات المادّية التي كانت لنا»[1].

المبحث الثالث: أهل البيت عليهم السلام مظاهر الرحمة الإلهية

يمثّل أهل البيت عليهم السلام المظهر الأتمّ من مظاهر الرحمة الإلهية لأُمّة الإسلام، وأيّ رحمة أفضل من أن يكونوا دعاة إلى سبيل الله عزّ وجلّ، وأدلّاء على مرضاته؛ ومن هنا أُوكل إليهم العديد من المهامّ؛ تأتي في طليعتها هداية العباد، واستنقاذهم من براثن الجهل، ووِهاد الضلال، وإنارتهم بنور العلم.

فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي، الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**»[2].

وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا، فصاروا حزب إبليس**»[3]. والأخبار بهذا المضمون خارجة عن حدّ الحصر، قال في (إسعاف

(١) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج٢، ص٢٤٤.

(٢) الألباني، محمّد بن نوح، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج٤، ص٣٥٧، ح١٧٦١.

(٣) الحاكم النيسابوري، محمّد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص١٦٢، رقم ٤٧١٥. وعلّق عليه بالقول: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الراغبين) بعد نقله لأخبار الأمان: إنّ أهل بيته عليهم السلام يقومون مقامه في الأمان؛ لأنّهم منه، وهو منهم[1].

وعليه؛ فإنّ التخلّي عن أهل البيت عليهم السلام، والانكفاء عنهم، له عواقب وخيمة، أشارت إليها الأخبار المتقدّمة، منها: الاختلاف في الأفكار والمعتقدات الذي يؤدّي إلى فقدان المقاييس، وانطماس البصيرة، والتيه والضلال الذي يؤدّي إلى التشرذم والضياع، وبالتالي تصدّع كيان الأُمّة الإسلامية، وتشتّت أمرها، حتى تصبح طرائق قدداً.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أيّتها الأُمّة المتحيّرة بعد نبيّها؛ أما إنّكم لو قدّمتم مَن قدّم الله، وأخّرتم مَن أخّر الله، وجعلتم الولاية والوراثة حيث جعلها الله، ما عال ولي الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان [في حكم الله، ولا تنازعت الأُمّة في شيء من أمر الله]، إلّا علم ذلك عندنا من كتاب الله، فذوقوا وبال ما قدّمت أيديكم، وما الله بظلّام للعبيد، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون**»[2].

أوجه التشابه بين أُمّة الإسلام وبني إسرائيل

مَن يتأمّل في كتب الحديث، أو يُراجع كتب التفسير يتفاجأ بالكثير من أوجه التشابه والتماثل بين أُمّة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وبين بني إسرائيل من حيث السنن الإلهية التي جرت فيهم، وهذا ليس أمراً عرضياً، أو من قبيل الصدفة؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ملتفتاً إليه، وقد نبّه أُمّته عليه، ومن تلك السنن على سبيل المثال:

١ـ **الافتراق إلى فرق ومذاهب شتّى**: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[3].

---

(١) أُنظر: الصبّان، محمّد بن علي، إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين: ص٤٥٦.

(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٧، ص٧٨.

(٣) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج١٤، ص١٢٤، ح٨٣٩٦. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود: ج٤، ص١٩٧، ح٤٥٩٦.

٢ـ **عدد النقباء اثنا عشر نقيباً**: كما أنّ عدد نقباء بني إسرائيل اثنا عشر نقيباً، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ..﴾[١]، كذلك عدد خلفاء رسول الله ﷺ اثنا عشر خليفة، فعن مسروق قال: «**كنّا جلوساً عند عبد الله بن مسعود، وهو يُقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله ﷺ كم تملك هذه الأُمّة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثمّ قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله ﷺ فقال: اثنا عشر، كعدّة نقباء بني إسرائيل**»[٢]. وهذا المعنى كان واضحاً عند الصحابة، حتى أنّ ابن عبّاس أشار إليه في معرض إجابته لمسائل نافع بن الأزرق حينما سأله قائلاً: «**يا ابن عبّاس، أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾، قال: اثني عشر وزيراً، وصاروا إلينا بعد ذلك**»[٣].

والنقيب ورد في اللغة والاصطلاح بمعنى متقارب، وهو رئيس القوم، وشاهدهم، وضمينهم، المعنيّ بشؤونهم، جمعه نقباء[٤].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل: «**فاستتر الأئمّة بعد يوشع بن نون إلى زمان داود عليه السلام أربعمئة سنة، وكانوا أحد عشر، وكان قوم كلّ واحد منهم يختلفون إليه في وقته، ويأخذون عنه معالم دينهم، حتى انتهى الأمر إلى آخرهم، فغاب عنهم، ثمّ ظهر (لهم)، فبشّرهم بداود عليه السلام، وأخبرهم أنّ داود عليه السلام هو الذي يطهّر الأرض من جالوت وجنوده، ويكون فرجهم في ظهوره، فكانوا ينتظرونه**»[٥].

---

(١) المائدة: الآية ١٢.

(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٦، ص٣٢١، ح٣٧٨١. الحاكم النيسابوري، محمّد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٤، ص٥٤٦، ح٨٥٢٩.

(٣) ابن عبّاس، عبد الله، مسائل نافع بن الأزرق: ص٢٧٦.

(٤) أُنظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٥، ص٤٦٦. قلعجي، محمّد رواس، معجم لغة الفقهاء: ص٤٨٧.

(٥) الصدوق، محمّد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص١٥٤.

٣ـ باب حطّة مغفرة للذنوب: كما أنّ باب حطّة يمثّل مظهراً من مظاهر الرحمة الإلهية في بني إسرائيل كما تقدّم، فكذلك أهل البيت عليهم السلام يمثّلون باب حطّة هذه الأُمّة وملاذها المنيع، وقد ورد الكثير من الروايات التي تؤكّد هذا المعنى عند الفريقين:

أ) ما ورد عن طريق شيعة أهل البيت عليهم السلام :

فقد نقل شيعة أهل البيت عليهم السلام الكثير من الروايات التي تنصّ على هذا المعنى، منها على سبيل المثال:

أوّلاً: عن أبي ذرّ الغفاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الأئمّة بعدي اثنا عشر، تسعة من صلب الحسين عليه السلام، تاسعهم قائمهم، ألا إنّ مثلهم فيكم مثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها هلك، ومثل باب حطّة في بني إسرائيل**»[١]. وفي رواية: «**مَن دخله كان آمناً مؤمناً، ومَن تركه كفر**»[٢].

ثانياً: عن مسعدة بن صدقة، عن... قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ألا إنّ العلم الذي هبط به آدم، وجميع ما فضّلت به النبيّون إلى خاتم النبيّين والمرسلين في عترة خاتم النبيّين والمرسلين، فأين يتاه بكم؟ وأين تذهبون؟ يا معاشر من فسخ من أصلاب أصحاب السفينة، فهذا مثل ما فيكم، فكما نجا في هاتيك منهم مَن نجا، وكذلك ينجو في هذه منكم مَن نجا، ورهن ذمّتي، وويل لمَن تخلّف عنهم، إنّهم فيكم كأصحاب الكهف، ومثلهم باب حطّة، وهم باب السلم، فادخلوا في السلم كافّة، ولا تتّبعوا خطوات الشيطان**»[٣].

ثالثاً: روي عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾، قال: «**نحن باب حطّتكم**»[٤].

---

(١) الخزّاز القمّي، علي بن محمّد، كفاية الأثر: ص٣٩.

(٢) الكراجكي، محمّد بن علي، كنز الفوائد: ٢١٥.

(٣) العياشي، محمّد بن مسعود، تفسير العياشي: ج١، ص١٠٢ـ ١٠٣. البحراني، هاشم بن سليمان، البرهان في تفسير القرآن: ج١، ص ٤٤٧.

(٤) العياشي، محمّد بن مسعود، تفسير العياشي: ج١، ص٤٥.

ب) ما ورد عن طريق أهل السنّة:

المصادر الحديثية لأهل السنّة أيضاً لم تخلُ من الروايات التي تنصّ على أنّ أهل البيت عليهم السلام يمثّلون باب حطّة هذه الأُمّة، وسفينة نجاتها، منها ما ورد:

أوّلاً: عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إنّما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل، مَن دخل غفر له**»[1].

ثانياً: عن حنش بن المعتمر، قال: «**رأيت أبا ذرّ أخذ بعضادتي باب الكعبة، وهو يقول: مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا أبو ذرّ الغفاري، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَثَل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قوم نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها هلك، ومثل باب حطّة في بني إسرائيل**»[2].

المبحث الرابع: مَثَل الإمام الحسين عليه السلام مَثَل باب حطّة

لا شكّ ولا ريب في أنّ الإمام الحسين عليه السلام يمثّل مدخلاً من مداخل الرحمة الإلهية، وهو مثل باب حطّة، فمَن دخل في ولايته عليه السلام أمن، ومَن اعتصم به كُفي، ويمكننا الاستدلال على ذلك بعدّة أدلّة:

الأوّل: ما ورد في زيارته عليه السلام في أوّل يوم من رجب؛ حيث جاء فيها: «**السلام عليك يا باب حِطّة الذي مَن دخله كان من الآمنين**»[3].

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط: ج٦، ص٨٥، رقم٥٨٧٠. وأُنظر: الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج٩، ص١٦٨، ح١٤٩٨.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص٤٥، ح٢٦٣٧. الشجري، يحيى بن الحسين، الأمالي الخميسية: ج١، ص٢٠٥، ح٧٦١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سنن: ج٩، ص٤٨٥ـ٤٨٦، ح١٢٣٥٣.

(٣) العاملي (الشهيد الأوّل)، محمّد بن مكّي، المزار: ص١٤٣.

وهذا يمثّل نصّاً صريحاً في أنّ الإمام الحسين عليه السلام من أجلى مصاديق الأمن والأمان وأتمّها؛ فحرمه الطاهر أمن من كلّ خوف، وأُنس من كلّ وحشة، والأمان هنا من الأمانة بمعنى «**سكون القلب**»[1]، ففي حرمه الطاهر عليه السلام من السكينة والنفحات الإلهية والنسمات الرحمانية ما أدركه المحبّون، وأنس به المستوحشون، الأمر الذي جعلهم لا يبارحون زيارته، ولا ينفتلون عن حرمه الطاهر.

وكما أنّ الله عزّ وجلّ قد شرّف حرمه بأن جعله أُنساً وأمناً لزائريه، كذلك جعل تراب قبره أماناً من كلّ روع، وحرزاً من كلّ آفة، فعن زيد أبي أُسامة، قال: «**كنت في جماعة من عصابتنا بحضرة سيّدنا الصادق عليه السلام، فأقبل علينا أبو عبد الله عليه السلام، فقال: إن الله تعالى جعل تربة جدّي الحسين عليه السلام شفاء من كلّ داء، وأماناً من كلّ خوف، فإذا تناولها أحدكم فليقبّلها... وليقل: اللهمّ بحقّ هذه التربة، وبحقّ مَن حلّ بها، وثوى فيها... إلّا جعلتها شفاءً من كلّ داء، وبُرءاً من كلّ مرض، ونجاة من كلّ آفة، وحرزاً ممّا أخاف وأحذر، ثمّ يستعملها**»[2].

الثاني: ما ورد على لسان شعراء أهل البيت عليهم السلام:

١ـ السيّد أحمد بن محمّد بن علي بن سيف الدين الحسني البغدادي الشهير بالسيّد أحمد العطّار[3]، له قصيدة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام اخترنا منها ما يلي:

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج١، ص١٣٣.

(٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص٣١٨.

(٣) كان حيّاً سنة (١١٤٥هـ) وتوفّي سنة (١٢١٥هـ) في النجف الأشرف، ودفن في العتبة العلوية، كان فاضلاً فقيهاً أُصولياً رجالياً محدّثاً زاهداً ناسكاً، صاحب كرامات، وأديباً شاعراً، وعلماً من أعلام عصره، هاجر من وطن أبيه ببغداد إلى النجف وعمره عشر سنوات، فقرأ العلوم العربية وغيرها حتى برع فيها، ثمّ قرأ في الأُصول والفقه على مشاهير ذلك العصر. تلمذ على السيّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي، ويروي عنه وعن الشيخ جعفر صاحب (كشف الغطاء)، وله مؤلّفات كثيرة في الفقه والأدب والتاريخ. اُنظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج٣، ص١٣٠ـ ١٣١.

يـا بـاب حطّـة يـا سـفن النجـاة ويـا كنـز العفـاة ويـا كهفـي ومرتكنـي
يـا عصمـة الجـار يا مَـن ليـس لي أمل إلّا ولاه إذا أُدرجـت في كفنـي
هـل نظـرة منـك عـين الله تلحظنـي بهـا وهـل عطفـة لي منـك تدركنـي
إن لم تكـن آخـذاً مـن ورطتـي بيـدي ومنجـدي في غـدي يـا سـيّدي فمَـنِ
وكيـف تـبرأ منّـي في المعـاد وقـد محّضـت ودّك في سرّي وفي علنـي[1]

٢ـ السـيّد أبو الفتح عزّ الدين نصر الله بن الحسـين بن علي الحائري الموسوي[2]، له بيتان من الشعر كتبهما على أحد أبواب الطارمة الحسينية المقدّسة[3]:

زائـــــري سـبـــط أحمـــد مـنـبـع الـرشـــد والهـــدى
هـــــذه بـــــاب حـــطّـــة فـادخـلـوا الـبـاب سـجّـدا[4]

الثالـث: النصـوص التـي شـبّهت أئمّة أهـل البيت عليهم السلام بباب حطّة؛ فـإنّ هذه النصوص تصلح لأن تكون دليلاً على أنّ مَثَل الإمام الحسـين عليه السلام في أُمّتنا الإسـلامية كـ(باب حطّة)؛ باعتباره أحدهم، فيكون مشمولاً لتلك النصوص التي تقدّم الحديث عنها مفصّلاً في المبحث السابق.

---

(١) المصدر السابق: ج٣، ص١٣٢.

(٢) عالم جليل محدّث أديب شاعر خطيب، كان من أفاضل أهل العلم بالحديث، متبحّراً في الأدب والتاريخ، حسن المحاضرة، جيّد البيان، طلق اللسان، ماهراً في العربية، خطيباً مصقعاً، وشاعراً مفلقاً، كان يدرس في الروضة الحسنية الشريفة، استشهد بقسطنطينية على التشيّع لأهل البيت عليهم السلام سنة (١١٥٥هـ) أو (١١٥٣هـ) عن عمر يقارب الخمسين. اُنظر: المصدر السابق: ج١٠، ص٢١٣ـ٢١٤.

(٣) مكان في الروضة الحسينية له عدّة أبواب، يقع بين الصحن والرواق، وهو في الشرافة أعلى من الصحن، وأدنى من الرواق. كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: ج٣، ص٦٧.

(٤) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج١٠، ص٢١٦.

المبحث الخامس: وجه الشبه بين الإمام الحسين عليه السلام وباب حطّة

فكما أنّ الله عزّ وجلّ لطف ببني إسرائيل، وجعل لهم باب حطّة، ليكون مظهراً من مظاهر الرحمة بهم، ومنجى لهم من الذنوب والتيه والضلال، كذلك لطف بهذه الأُمّة، فنصب فيها أعلام هداية لعباده، وأدلاء على مرضاته، كالإمام الحسين عليه السلام، وسائر أئمّة أهل البيت عليهم السلام؛ ليكونوا نوراً في دياجي الظلمات، وهدى في غياهب الشبهات؛ لكي تصل القافلة البشرية إلى برّ الأمان، وينال الإنسان كماله المنشود الذي يمثّل الغاية من خلقه وإيجاده، وتتمّ الحجّة البالغة لله عزّ وجلّ على خلقه، وقد ورد هذا المعنى في زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين: «**وجعلته حجّة على خلقك من الأوصياء، فأعذر في الدعاء، ومنح النصح، وبذل مهجته فيك؛ ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة**»(١).

إذاً؛ فالإمام الحسين عليه السلام وباب حطّة ـ باعتبارهما مظهرين من مظاهر الرحمة الإلهية ـ يجمعهما بعض أوجه التشابه والتلاقي التي يمكن إجمالها بما يلي:

أوّلاً: غفران الذنوب

شُبّه الإمام الحسين عليه السلام بباب حطّة؛ لوجود علاقة ومشابهة بينهما تتمثّل في أنّ كلاً منهما سبب في غفران الذنوب، وعلامة من علامات الخضوع والاستسلام للأوامر الإلهية، فكما أنّ دخول باب حطّة بشرائط معيّنة ـ كالتواضع والخشوع المقرون بكلمة (حطّة) ـ موجب لغفران الذنوب؛ كذلك اللجوء إلى الإمام الحسين عليه السلام والاهتداء بهديه ـ بشروط تأتي الإشارة إليها ـ موجب لغفران الذنوب والأمان ودخول الجنان، وقد ورد هذا المعنى بشكل واضح وجلي في زياراته عليه السلام، من ذلك:

١ـ ما ورد في (تهذيب الأحكام): «**أشهد أنّك كنت على بيّنة من ربّك، جئتك مقرّاً**

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٧٨٨.

بالذنوب؛ لتشفع لي عند ربّك يابن رسول الله»[1].

٢ـ ومن ذلك أيضاً ما ورد في كتاب (المزار): «**فاشفع أيّها السيّد الطاهر إلى ربّك في حطّ الأثقال عن ظهري، وتخفيفها عنّي، وارحم ذلّي وخضوعي لك وللسيّد أبيك صلّى الله عليكما**»[2].

٣ـ ومن ذلك أيضاً ما ورد في زيارة عاشوراء: «**اللهمّ اجعلني في مقامي هذا ممّن تناله منك صلوات ورحمة ومغفرة**»[3].

هل زيارة الإمام الحسين عليه السلام علّة تامّة لغفران الذنوب؟

لا شكّ في أنّ لزيارة الإمام الحسين عليه السلام أسراراً لا يُدرك مغزاها أو يحيط بمعناها إلّا مَن نوّر الله بصيرته، وطهّر سريرته، وأصلح عقيدته، وهذا المعنى لا يحتاج إلى كثير بيان، أو إقامة برهان، فعلى سبيل المثال: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث مع أحد زوّار الإمام الحسين عليه السلام الذين جاؤوا لزيارته عليه السلام في أيّام الصيف القائظ، وشدّة الحرّ اللاهب: «**جِئْتَ زائراً للحسين عليه السلام... وما ترون في زيارته؟ قال: نرى في زيارته البركة في أنفسنا وأهالينا وأولادنا وأموالنا ومعايشنا، وقضاء حوائجنا**»[4].

وقد ورد أيضاً أنّها مغفرة للذنوب ما تقدّم منها وما تأخّر، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**مَن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر**»[5]. وقال عليه السلام: «**مَن زار قبر الحسين عليه السلام أوّل يوم من رجب، غفر الله له البتة**»[6]، والروايات في هذا المعنى خارجة عن الحصر والعدّ.

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص١١٤ـ ١١٥.
(٢) الشهيد الأوّل، محمّد بن مكّي، المزار: ص١٤٦.
(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٣٠.
(٤) المصدر السابق: ص٣٠٥.
(٥) المصدر السابق: ص٢٦٣.
(٦) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٦، ص٤٨.

إلّا أنّ مـا تقـدّم لا يعنـي أنّها مطلقـة في غفران الذنـوب وإن كان ظاهر الأخبار يوحي بذلك، وهذا نظير مَن قال: (**استغفر الله**) قاصداً بذلك التوبة، من دون توفير شرائطهـا، وإزالـة موانعها، وقد ورد هذا المعنى عن أمـير المؤمنين عليه السلام في إجابته لمَن قـال بحضرته (أستـغفر الله): «**ثكلتك أُمّك، أتدري ما الاسـتغفار؟ الاسـتغفار درجة العلّيين، وهو اسـم واقع على سـتّة معانٍ: أوّلها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العـود إليـه أبداً، والثالث أن تـؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم؛ حتـى تلقى الله أملس ليس عليـك تبعـة، والرابع أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها، والخامس أن تعمـد إلى اللحم الذي نبت على السـحت فتُذيبه بالأحزان، حتـى تلصق الجلد بالعظم، وينشـأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تُذيق الجسم ألم الطاعة، كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله**»[1].

وممّا تقدّم يتّضح: أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام على شرفها وجلالة شأنها لا يُعقل أن تكـون علّـة تامّة ـ لا يتخلّف عنهـا معلولها ـ لغفران الذنوب؛ لأنّ تفسـيرها بهذا المعنى يُعدّ إغراءً بالذنوب، وتشجيعاً على المعاصي.

وعليـه؛ فإنّهـا تكون غفراناً للذنوب على نحو الاقتضاء، بمعنى أنّها تكون سـبباً في غفران الذنوب مع عدم وجود الموانع التي تمنع من ذلك، من قبيل ترك الفرائض، واقـتراف الكبائر، والتعدّي على حقوق النـاس، إلى غير ذلك من الذنوب المانعة من دخـول الجنان، مثال ذلك قولنا: النار تحرق الخشـب، فهـذه العملية متقوّمة بركنين، أحدهما: المقتضي للإحراق (النار)، والثاني: عدم المانع كـ(رطوبة الخشب)، فاختلال أحـد هذين الركنـين يعني عدم حدوث عملية الاحتراق، فزيارة الإمام الحسـين عليه السلام من هذا القبيل.

ومـن الأمثلة الواضحة عـلى ذلك ما روي عن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ قوماً يجيئون**

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج٤، ص٩٧.

يـوم القيامة ولهم من الحسـنات أمثال الجبال، فيجعلها الله هبـاءً منثوراً، ثم يُؤمر بهم إلى النـار. فقال سـلمان: صفهم يا رسـول الله، فقال: أمـا إنّهم قد كانـوا يصومون ويصلّون ويأخـذون أُهبـة من الليل، ولكنّهم كانوا إذا عرض لهـم شيء من الحرام وثبوا عليه»[1].

فالمقتـضي لدخول الجنّة موجود، وهو (المجيء بالحسـنات)، لكـنّ المانع غير مفقود، وهو (الوثوب على الحرام)، ومن هنا يُؤمر بهم إلى النار.

ثانياً: سبوغ النعم وطيب العيش

إنّ أهل البيت عليهم السلام يمثّلون وسـائط الفيض الإلهي، وأُسّ النعم وأساسها؛ لأنّهم المثـل الأعلى للإنسـانية بعد رسـول الله صلى الله عليه وآله، وقـد ورد هذ المعنى في إحـدى زيارات الإمـام الحسـين عليه السلام المطلقـة: «**وبكـم تنبـت الأرض أشـجارها، وبكم تخـرج الأرض أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها**»[2].

فلـو أنّ الأُمّة الإسـلامية اجتمعـت على تولّي أهل البيـت عليهم السلام، والانضواء تحت لوائهم، والتبرّي من أعدائهم، لعمّتهم النعم، وطاب عيشـهم، كيف لا وقد قرن الله طاعتهم بطاعته، «**مَن أطاعكم فقد أطاع الله، ومَن عصاكم فقد عصى الله**»[3]؟!

وقد أشـار سـلمان المحمّدي إلى هذا المعنى حينما قال: «**أمـا والله، لو وضعتموها حيـث وضعهـا الله، لأكلتم من فوق رؤوسـكم وتحت أرجلكم رغـداً، أما والله، حيث عدلتـم بها عـن أهل بيت نبيّكـم، ليطمعنّ فيها الطلقـاء، وأبناء الطلقـاء**»[4]. وقد نقل اليعقـوبي عن أبي ذرّ أنّه قال: «**أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخّرتم من أخّر الله، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيّكم، لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم**»[5].

(١) الديلمي، الحسن بن محمّد، إرشاد القلوب: ج١، ص١٩١.
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٦٥.
(٣) الصدوق، محمّد بن علي، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٦١٧، (الزيارة الجامعة).
(٤) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٢٨، ص٤٠١.
(٥) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧١.

موازنة بين أهل البيت عليهم السلام وباب حطّة

في نهاية المطاف إذا أردنا أن نعمل موازنة بسيطة بين أهل البيت عليهم السلام وباب حطّة، يتّضح لنا في ضوء ما تقدم أنّ الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام أعلى مرتبة وأشرف منزلة من باب حطّة، فشرفهم مُستمدّ من شرف رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّهم عترته، والمبلّغون عنه، والمطهّرون بنصّ كتاب الله، الذين وجبت مودّتهم وطاعتهم في محكم آيه، وجميل بيانه، وهذا نزر يسير في بيان فضلهم، وعلوّ شأنهم، وما عسى أن يكون باب حطّة أمام تلك الصروح الشامخة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فهؤلاء بنو إسرائيل نُصب لهم باب حطّة، وأنتم يا معشر أُمّة محمّد، نُصب لكم باب حطّة؛ أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله، وأُمرتم باتّباع هداهم، ولزوم طريقتهم، ليُغفر [لكم] بذلك خطاياكم وذنوبكم، وليزداد المحسنون منكم، وباب حطّتكم أفضل من باب حطّتهم؛ لأنّ ذلك [كان] باب خشب، ونحن الناطقون، الصادقون، المرتضون، الهادون، الفاضلون...**»[1].

الخاتمة

توصّلنا من خلال البحث المتقدّم إلى عدّة نتائج مهمّة، يمكن إجمالها فيما يلي:

أوّلاً: أنّ الله (سبحانه وتعالى) ميّز بني إسرائيل على كثير من الأُمم، وحباهم بوافر من النعم، وكان من بين تلك النعم أن جعل لمذنبهم باباً إلى عفوه، أسماه باب حطّة.

ثانياً: أنّ دخول باب حطّة لا يكون سبباً في غفران الذنوب كيفما اتّفق، وإنّما يكون كذلك عندما تتوفّر شرائط معينة، كالدخول على هيئة الانحناء والتواضع والخشوع المقرون بقول: (حطّة)، والحطّة ليست مجرّد اصطلاح يلفظ، أو كلمة تقال، وإنّما هي عقيدة وسلوك يجب أن يُتّبع.

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ص٥٤٦.

ثالثاً: أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام بأجمعهم يمثّلون باب حطّة هذه الأُمّة، بل هم أعلى رتبة وأشرف منزلة من باب حطّة، فشرفهم مستمدّ من شرف رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّهم عترته، والمبلّغون عنه، والمطهّرون بنصّ كتاب الله، الذين وجبت مودّتهم وطاعتهم في محكم آيه، وجميل بيانه.

رابعاً: أنّ الإمام الحسين عليه السلام يمثّل مظهراً من مظاهر الرحمة الإلهية، وهو كـ(باب حطّة)، من دخله أمِن، ومن اعتصم به كُفي.

خامساً: تتمثّل أوجه التشابه والتلاقي بين الإمام الحسين عليه السلام وباب حطّة بغفران الذنوب، وكونها سبباً من أسباب النعم، وطيب العيش، وعلامة من علامات الخضوع والاستسلام للأوامر الإلهية.

سادساً: أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام وكذلك باقي أئمّة أهل البيت عليهم السلام لا يعقل أن تكون علّة تامّة ـ لا يتخلّف عنها معلولها ـ لغفران الذنوب؛ لأنّ تفسيرها بهذا المعنى يُعدّ إغراءً بالذنوب، وتشجيعاً على القبيح.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١ـ الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تعليق وملاحظات السيّد محمّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

٢ـ إرشاد القلوب، الحسين بن محمّد الديلمي (ت ق٨)، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/ ١٣٧٤ش.

٣ـ إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين، محمّد بن علي الصبّان، تحقيق: الدكتور صلاح الدين الشامي، مبرة الآل والأصحاب، الطبعة الأُولى، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.

٤ـ أعيان الشيعة، السيّد محسن بن عبد الكريم الأمين (ت١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٥ـ الأمالي، محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ.

٦ـ بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، الناشر: مؤسّسة الوفاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧ـ البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسيني البحراني (ت١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة، قم المقدّسة.

٨ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر الكاتب العبّاسي المعروف باليعقوبي (ت٢٨٤هـ)، منشورات دار صادر، بيروت.

٩ـ التبيان في تفسير القرآن، محمّد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت٤٦٠ هـ)، تحقيق:

أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ.
١٠ـ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي (معاصر)، الناشر: مؤسّسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
١١ـ ترتيب الأمالي الخميسية، يحيى بن الحسين بن إسماعيل الشجري الجرجاني (ت٤٩٩هـ)، رتّبها: القاضي محيي الدين محمّد بن أحمد القرشي العبشمي (ت٦١٠هـ)، تحقيق: محمّد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٢ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام، منسوب للإمام العسكري عليه السلام (ت٢٦٠هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ.
١٣ـ تفسير التستري، سهل بن عبد الله بن يونس التُستري (ت٢٨٣هـ)، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.
١٤ـ تفسير العياشي، محمّد بن مسعود بن عياش العياشي (ت٣٢٠هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلّاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
١٥ـ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)، عبد الرحمن بن محمّد الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمّد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
١٦ـ تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٩٠هـ.
١٧ـ تهذيب اللغة، محمّد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠١م.

١٨ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمّد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١٩ـ جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الملك بن عبد الله الدهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ـ بيروت، مكّة المكرّمة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٢٠ـ جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرّفة، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.
٢١ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، لبنان ـ بيروت.
٢٢ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمّد بن نوح الألباني (ت١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٢٣ـ سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان ـ بيروت.
٢٤ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٥ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر، الحسين بن محمّد الصغاني (ت٦٥٠هـ)، (دون ط.ت).
٢٦ـ غريب القرآن في شعر العرب (مسائل نافع بن الأزرق)، عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب القرشي الهاشمي أبو العبّاس (ت٦٨هـ)، (دون ط.ت).
٢٧ـ القبس في شرح موطّأ مالك بن أنس، محمّد بن عبد الله بن العربي (ت٥٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمّد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٩٩٢م.

٢٨ـ الكافي، محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٧ش.
٢٩ـ كامل الزيارات، جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: جواد القيّومي ـ لجنة التحقيق، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٣٠ـ كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء، جعفر بن خضر بن شلال المعروف بكاشف الغطاء (ت١٢٢٨هـ)، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي (فرع خراسان)/ قسم إحياء التراث الاسلامي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم المشرّفة، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ.
٣١ـ كفاية الأثر، علي بن محمّد الخزّاز القمّي (ت٤٠٠هـ)، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، منشورات بيدار، ١٤٠١هـ.
٣٢ـ كمال الدين وتمام النعمة، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي الشيخ الصدوق (ت٣٨١ هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرّفة، ١٤٠٥هـ.
٣٣ـ كنز الفوائد، محمّد بن علي الكراجكي (ت٤٤٩هـ)، الناشر: مكتبة المصطفوي، قم المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩ش.
٣٤ـ لسان العرب، محمّد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي المعروف بابن منظور (ت٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، لبنان ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٣٥ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
٣٦ـ المزار، محمّد بن مكّي العاملي المعروف بالشهيد الأوّل (ت٧٨٦هـ.ق)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ.
٣٧ـ المستدرك على الصحيحين، محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)

مـع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميـزان، والعراقي في أماليه، والمناوي في فيـض القدير وغيرهم، دراسـة وتحقيق: مصطفى عبد القـادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٣٨ـ مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: الدكتور عبد الله بن عبد المحسـن التركي، مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣٩ـ مصباح المتهجّد، محمّد بن الحسـن الطوسي (٤٦٠هـ)، منشـورات مؤسّسـة فقه الشيعة، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٤٠ـ المعجم الأوسـط، أبو القاسـم سـليمان بن أحمد بن أيّوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيـق: أبـو معاذ طارق بـن عوض الله بن محمّـد وأبو الفضل عبد المحسـن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤١ـ المعجم الكبير، سـليمان بن أحمد بن أيّـوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

٤٢ـ معجم اللغة العربية المعاصرة، الدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأُولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م.

٤٢ـ معجم لغة الفقهاء، محمّد رواس قلعة جي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤٣ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٤ـ مفاتيـح الغيـب، محمّد بن عمر الـرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٤٥ـ مَن لا يحضره الفقيه، محمّد بن علي بن الحسين القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تصحيـح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسـة النشر الإسـلامي

التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرّفة، الطبعة الثانية.
٤٦ـ نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، الشريف الرضي، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان ـ بيروت.
٤٧ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد بن محمّد الواحدي النيسابوري الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ.
٤٨ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

سيميائية الذهن في خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

م.م. كوثر عاشور عبد الحسين الكعبي
كلّية التربية ـ جامعة ميسان/ العراق

The Mind's Semiotics in the Speech of Imam al-Husayn (PBUH) on the Day of Ashura

Assistant Professor Kawthar Ashoor Abd al-Husayn al-Kaabi
The College of Education – University of Maysan, Iraq

ملخّص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان تجلّيات سيميائية الذهن في خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء؛ لتتشكّل لنا سمة مهمّة وآلية جديدة من آليات البحث السيميائي في تناول الخطابات والأدعية الدينية، مرتكزة على معطيات سيميائية الذهن، التي هي سيميائية تتجاوز الاعتماد على الحقل المعرفي، والبعد التداولي، والبعد الهووي للخطاب، إلى بعدٍ ذهني (إدراكي)، أي: إنّها تتعامل مع الشخصية والشخص في ضوء رؤية نحوية ولسانية.

وقد تجلّت في خطاب يوم عاشوراء محطّات مهمّة كانت غايتها الأساسية الكشف عن المسارات الذهنية الكامنة في النصّ عن طريق الانتقال من البنية السطحية للنصّ إلى البنية العميقة التي تتشكّل منها الوحدات الدلالية الكبرى والصغرى.

الكلمات المفتاحية: السيميائية، سيميائية الذهن، خطاب الإمام الحسين عليه السلام، تأويل النصّ.

Abstract

This study aims to explain the mind's semiotic manifestations in the speech of Imam al-Husayn (PBUH) on the Day of Ashura, to form an important feature and a new mechanism of semiotic research in addressing the religious speeches and supplications, focused on the data of the semiotics of the mind. These semiotics goes beyond relying on the epistemic field and the pragmatic and the identity dimensions of discourse to a mental (perceptual) dimension. In other words, it deals with the personality and the individual in light of a linguistic and verbal vision.

Moreover, important stages manifested in the speech of the Day of Ashura whose main goal was to reveal the latent mental pathways in the text, by moving from the superficial structure of the text to the deep structure from which the major and minor semantic units are formed.

Keywords: Semiotic, mind's semiotic, Imam al-Husayn's speech, text interpretation.

المقدّمة

تسعى السيميائية منذ نشأتها إلى محاولة إرساء استراتيجية للتأويل تكون فيها السلطة للذات الفردية، والقراءة فيها منتجة وإبداعية، متجاوزة الأُفق المعرفي إلى الأُفق الجمالي، ممّا يُتيح للقارئ إمكانية غير محدودة في مجال التأويل، ومحاورة النصوص الأدبية واستنباطها واستنطاقها؛ بغية استخلاص القيم المتوارية خلف البنية اللغوية في المستوى العميق للنصّ.

وقد ظهرت عدّة اتّجاهات استطاعت أن تؤسّس للسيميائية في مختلف التوجّهات الحديثة، ومن هذه الاتّجاهات السيميائية الحديثة هي سيميائية الذهن، أو السيميائية الذهنية التي جاء ببوادرها الباحث المغربي جميل حمداوي؛ إذ تُنظّم سيميائية الذهن العمل في النصّ الخطابي (السَّردي) على وفق النظرية التأويلية الفكرية المنطقية والنحوية اللسانية، حول مركز يتّفق مع ذهنية المرسِل (الفاعل) في البعد الذهني (الإدراكي).

وعليه؛ تندرج سيميائية الذهن في ضمن سياق المشروع النقدي الحديث للنظرية السيميائية، من خلال الاهتمام بالبعد الذهني، وإعادة الاعتبار للجانب الداخلي (الذهني ـ الإدراكي) للذات الإنسانية، الذي لم يُسلَّط عليه الضوء برغم كثرة الدراسات التي أُجريت على وفق المنهج السيميائي.

لذلك ارتأينا خوض غمار البحث في هذا التوجّه الجديد للسيميائية، ومحاولة تعرّف مفهومها لدى الروّاد الغرب والعرب، فما هو مفهوم الذهن؟ وما هي المسارات الذهنية؟ وقد اعتمدنا في المقام على كتاب (السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق) للباحث جميل حمداوي أساساً للبحث؛ وذلك باعتباره المرجع الرئيس الذي أشار بصدق إلى مفهوم سيميائية الذهن.

وقد قُسِّمت الدراسةُ إلى مبحثين: **الأوّل**: أبحاث تمهيدية، تتضمّن بيان مفهوم السيمياء، ومفهوم الذهن، وكذلك التطرّق إلى ملاحظات أوّلية في نصّ خطاب الإمام الحسين عليه السلام، أمّا **المبحث الثاني**: فهو تجلّيات سيميائية الذهن في خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وقد تحدّثنا فيه عن النصّ الخطابي للإمام الحسين عليه السلام، وعن المسارات الذهنية (البعد الذهني) في الخطاب، وصولاً إلى تحديد المسارات الذهنية للخطاب الحسيني.

المبحث الأوّل: أبحاث تمهيدية

أوّلاً: مفهوم السيمياء

تُعدّ السيميائيات الحديثة قفزةً نوعية في مجال تطوّر العلوم، فقد بدت في أُسسها ومفاهيمها ونتائجها علماً جديداً، فهي طريقة جديدة في فهم الظواهر وتحليلها، لها حدودها ومفاهيمها وأدواتها الجديدة، فالسيميائيات ليست تطوّراً للبنيوية ـ مثلاً ـ أو لأيٍّ من النظريّات المشابهة لها في مجال البحث، بل إنّها ردّة فعل لها؛ فلقد جاءت السيميائيات الحديثة لهدم النظريّات السابقة وتقويضها، وتقديم نظرة مختلفة للظواهر، وتصوّر مختلف لكيفية تحليلها وفهمها؛ لذلك ـ بالرغم من الخلفية المعرفية المتعدّدة، والإرث التاريخي الكبير ـ يمكن القول: إنّها شكّلت قفزة كيفية وقطيعة معرفية مع النظريّات التي سبقتها. والسيميائيات الحديثة تتّكئ على خلفية معرفية متعدّدة الجوانب، فمنها اللسانية والفلسفية والمنطقية والعلمية (الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء)[1].

يتحدّد تأريخ السيميائيات الحديثة عادة من خلال الإحالة إلى علَمين من أعلام الفكر الإنساني الحديث، وهما: فرديناند دي سوسير (١٨٥٦ـ١٩١٣م)، وساندريس

(١) أُنظر: سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها: ص٢٥.

بيرس (١٨٣٩ ـ ١٩١٤م)، فهما المؤسّسان الفعليان للسيميائيات الحديثة؛ فقد أطلق الأوّل من خلال كتابه (محاضرات في اللسانيات العامّة) ـ الذي أصدره في عام (١٩١٦م) ـ على العلم الذي بشّر به في بداية القرن العشرين (السيميولوجيا)، وهو علم يأخذ على عاتقه دراسة «**حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، وسيكون هذا العلم جزءاً من علم النفس العامّ**»[١].

كان (دي سوسير) يدرك منذ البداية أنّ العملية التواصلية تتمّ عبر مجموعة من الإشارات اللغوية وغير اللغوية، فكانت الخطوة الأُولى التي قام بها هي «**تحديد علم اللغة بعد النظر إلى شتّى العوامل البيولوجية والفيزيقية والسيكولوجية والاجتماعية والتاريخية والجمالية والعلمية التي تتداخل وتتشابك، لتكوّن نسيج النشاط اللغوي لدى البشر**»، فبعد أن رأى (دي سوسير) «**أنّ اللغة مؤسّسة اجتماعية، ولكنّها تتميّز عمّا سواها... بعدّة سمات**»، توصّل إلى نتيجة مؤدّاها ضرورة إدراج ظواهر من صعيد آخر في هذا السياق؛ ذلك أنّ هذه اللغة ما هي إلّا «**نظام من الدلائل يُعبّر عمّا للإنسان من أفكار، وهي في هذا شبيهة بالكتابة، وبألف بائية الصمّ والبكم، وبالطقوس الرمزية وصور آداب السلوك، وبالإشارات الحربية**»، فاللغة إذاً ما هي إلّا وسيلة من الوسائل التي تُحقّق الدلالة، وتنقل الأفكار بين الناس[٢].

تهتمّ السيميائية بدراسة الظواهر الإشارية المكوّنة من وجهتين متلازمتين متلاصقتين، يُشبّههما (سوسير) بعملة واحدة ذات وجهين، وهما: (الدالّ ـ المدلول)، ويرى أنّ العلامة مؤلّفة من هذين العنصرين، والعلاقة بينهما اعتباطية[٣]؛ وعليه

(١) سعيد بنكراد، السيميائيات النشأة والموضوع: مجلّة عالم الفكر، السنة ٢٠٠٧م، المجلّد٣٥، العدد٣: ص١٦.

(٢) أُنظر: الأحمر، فيصل، معجم السيميائيات: ص٤١.

(٣) أُنظر: الزامل، منير، سيمياء المسرح (سيميائية العنوان ـ سيميائية الشخصيّات ـ سيميائية المكان): ص١٢.

عندما أتحدّث عن ثنائية (سوسير) في المقام، فإني أتحدّث عن علاقةٍ ما بين اللسانيات والسيميائيات؛ لكون الدالّ هو الصورة الصوتية والمدلول هو الصورة الذهنية، وتنتج بينهما إشارة اعتباطية، فقد أراد (سوسير) بها السيميائيات البنيوية، التي اختلطت بالألسنية البنيوية؛ «**إذ يصعب الفصل بين بدايات السيميائيات الأُوروبية وبدايات الألسنية**»[1]؛ وذلك بفضل تأثير (سوسير) ومَن جاء بعده من السيميائيّين الأُوروبيّين ذوي الأُصول الألسنية، فكما تأثّرت سيميائيات هذه الحقبة بالبنيوية فكذلك تأثّرت بالألسنية، واختلطت بها، «**وكثيراً ما تلجأ السيميائية إلى الأفاهيم الألسنية بسبب تأثير سوسير**»[2].

أمّا السيميائيات الحديثة ما بعد البنيوية، فقد أزاحت عن نفسها هذا الالتباس، وتخلّصت من التأثير الألسني؛ لأنّها اعتمدت كثيراً على سيميائيات (بيرس) ذات الأُصول المنطقية والفلسفية والرياضية؛ فقد أدرك السيميائيّون ـ حتّى في أُوروبا ـ أنّ «**محاولة حشر جميع وسائل الاتّصال في إطار ألسني هو خطر قاتم**»[3].

وهكذا أصبحت السيميائيات ذات خلفيات مختلفة، واتّجاهات متعدّدة، وابتعدت عن الألسنية في منطلقاتها وأدواتها، وذلك مع الفيلسوف المنطقي الأمريكي تشارلز ساندرس بيرس (١٨٣٩ ـ ١٩١٤م)[4]، الذي يُعَدّ رائداً في السيميائيات الحديثة التي أُطلق عليها مصطلح (السيميوطيقا)، بحيث تقوم هذه الأخيرة لديه على المنطق، والظاهراتية[5]، والرياضيّات.

---

(١) تشاندلر، دانيال، أُسس السيميائيات: ص٣٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٨ـ ٣٩.

(٤) تشارلز ساندرس بيرس: هو فيلسوف أمريكي، وعالم منطق، وعالم رياضيّات. ولد في ١٠ سبتمبر عام (١٨٣٨) م، وتُوفّي في ١٩ أبريل عام (١٩١٤م). يُطلق عليه في بعض الأحيان لقب (أب البراغماتية أو العملانية).

(٥) الظاهراتية (فينومينولوجيا): هي مدرسة فلسفة تعتمد على الخبرة الحدسية للظواهر، ويُعَدّ (هوسرل) مؤسّس هذه المدرسة.

ومن ثمَّ كانت السيميوطيقيا مدخلاً إلى المنطق، أي: يرادف المنطقُ عند (بيرس) السيميوطيقا، وفي هذا النطاق يقول بيرس: «**إنّ المنطق بمعناه العامّ... ليس سوى تسمية أُخرى للسيميوطيقا**»[1]، وبهذا فهو جزء من بناء فلسفي مهمّته رصد حياة الدلالات التي ينتجها الإنسان من خلال جسده ولغته وأشيائه وفضائه وزمانه، وباختصار من خلال كلّ ما يمسّه أو يجرّبه أو يحيط به، فالعلاماتية ـ بحسب ما يسمّيها (بيرس) ـ لا يمكن فصلها من مجموع فلسفته؛ لكونها مرتبطة بثلاث مراحل، وهي: المرحلة الكانطية، المرحلة المنطقية، المرحلة السيميوطيقية[2].

إنّ نظام (بيرس) السيميوطيقي هو عبارة عن مثلّث، تُشكِّل العلامةُ فيه الضلع الأوّل، وله صلة حقيقية بالموضوع الذي يُشكِّل الضلع الثاني المحدّد للمعنى، والضلع الثالث ـ أي: المعنى ـ هو علامة كذلك تعود على موضوعها الذي أنتج المعنى، وتكون العلاقة بينهما علاقة قصدية.

وبهذا التقسيم يخالف (بيرس) (دي سوسير) الذي قسّم العلامة تقسيماً ثنائياً، والظاهر أنّ هناك اختلافات كبيرة بين هذين العالمين، بل لا يجمع بينهما أحياناً سوى تعريفات أوّلية، عادة ما تتعلّق بالعلامة ودورها في بلورة الفكر وإشاعته.

هذا؛ ويُعدّ رولان بارت (١٩١٥ـ ١٩٨٠م) في كتابه (درس السيميولوجيا) «**من الأعلام البارزين في التنظير لموضوعات السيمياء الحديثة، وهو ناقد أفاد كثيراً من اللسانيات للنهوض بالبحث السيميائي، يقول: (استمدّت السيميولوجيا، هذا العلم الذي يمكن أن نحدّده رسمياً بأنّه علم الدلائل، استمدّت مفاهيمها الإجرائية من اللسانيات)**»[3].

أمّا فيما يتعلّق بالثقافة العربية، فإنّها تلقّت هذه المعرفة الجديدة متأخّراً، ويُرجع

(١) حمداوي، جميل، الاتّجاهات السيميوطيقية: ص١٣.
(٢) أُنظر: عبيدة صبطي ونجيب بخوش، مدخل إلى السيميولوجيا: ص٧٣.
(٣) لخذاري سعد، الدرس البلاغي العربي: ص٩٤.

(بـوداود) ذلك إلى قلّة الخطاب التأسـيسي للسـيميائيات الحديثة في المشـهد النقدي العربي، وكذلك إلى أنّ السيميائيات الحديثة تُعدّ منهجاً جديداً ما زال في طور النشأة، وكذلـك إلى صعوبة السـيميائيات الحديثة؛ نظـراً إلى تداخلها مع علوم شـتّى، مثل: الفلسفة، والمنطق، وعلم النفس، وغيرها من العلوم التي تحتاج إلى جهد فكري[1].

وقد تجلّت الجهود العربية من خلال ما نقله وترجمه سعيد بنكراد بشأن (سيمياء الأهـواء)، وكذلـك ظهـور (سـيمياء الـكلام الروائـي) التـي تقـترن بجهـود محمد الداهـي، وأخيراً ظهور سـيمياء الذهن أو السـيميائية الذهنية التـي ترتبط بالباحث جميل حمداوي. وتُحيلنا هذه السيمياء الحديثة إلى دراسة بُعد مهمٍّ في الحياة، وهو البعد الذهني (الإدراكي)، وما يشـتمل عليه من ظواهر التفكّر والإدراك، وتشغيل العقل والمنطق.

ثانياً: مفهوم الذهن

تنوّعت نظرات الفلاسفة المتعلّقة بقضية الإدراك، «**واختلفت ما بين نظرة ترى أنّ المعرفة الأساسية تأتي من الحسّ أوّلاً، ثُمّ يتدخّل العقل والحدس أحياناً من أجل ترتيب ما وعاه الحسّ ونقله، ونظرة ترى الأُمور بطريقة مثالية، فتعتقد أنّ الأفكار تأتي أوّلاً، ثُمّ تطابق هذه الأفكار الواقع الخارجي، وقد بدأت هذه الأفكار لدى أفلاطون الذي جعل عالم المُثل عالماً حقيقياً، على حين جعل عالم الواقع ظلالاً لعالم المُثل الحقيقي**»[2].

كما عرض (إسـبينوزا) سـؤالاً عن قضية المعرفة والإدراك، وهو: «**كيف يتسـنّى للعقـل أن يعرف العالم الخارجي، مع أنّه مرتبط بجسـم مضايف له؟ كيف يعرف شـيئاً**

(١) أُنظر: وذناني بوداود، خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر (مقاربة في بعض أعمال يوسف أحمد): مجلّة الأثر، السنة (٢٠٠٧م)، عدد خاصّ بالملتقى الدولي الثالث لتحليل الخطاب، ص٦.

(٢) سمير أحمد معلوف، الصورة الذهنية (دراسة في تصوّر المعنى): مجلّة جامعة دمشق، السنة (٢٠١٠م)، المجلّد ٢٦، العدد ١ـ٢، ص١٣١.

العدد الحادي والأربعون ـ السنة الحادية عشرة ـ ١٤٤٤هـ ـ ٢٠٢٣م

آخرَ غير جسمه هو وما يرتبط به من أفكار؟ والجواب عن ذلك هو: أنّ حالته النفسية الفيزيائية في أيّة لحظة معلومة هي دائماً مؤلّفة من طبيعة جسمه الخاصّ به، ومن حالة البيئة المحيطة التي بها يتأثّر ويتغيّر؛ ومن هنا فإنّه حين يعرف نفسه فإنّه سيسجّل أيضاً (أفكار الموضوعات) التي بها يتأثّر، ثُمّ إنّ تجربته تُثري من اتّصالات جسمه بالبيئة المحيطة»[1].

أسهب الفيلسوف العربي أبو حيان التوحيدي في التفريق بين أنواع الإدراك نقلاً عن أحد الفلاسفة، الذي بيّن أنّ النفس تُدرك الأشياء بخمس قوىً تجعلها قادرة على التعامل مع محيطها ومعرفة ما حولها، وهذه القوى التي تمتلكها النفس هي: «**الحسّ، الوهم، الذهن، الاختبار، والفكر. فأمّا الحسّ فلَحاق**[2] **الأشياء بلا فحص، ولا يُحتاج في ذلك اللَّحاق إلى شيء آخر، إلّا أن يكون ممنوعاً بمانع، وذلك إذا وجد شيئاً أبيض حكم بأنّه أبيض بلا فكر أو قياس. وأمّا الوهم فإنّه يقع على الأشياء بتوسّط الحسّ، وأمّا الاختبار فيوافق الفكر، كقولك: النفس لا تموت، فهذا قول اختباري بعد الفكر، فإن كان هذا هكذا، فالاختبار ليس بقياس، ولكنّه أُفُقُ القياس. وأمّا الذهن فإنّه لا يهجم على أوائل الأشياء**»[3].

ومن هنا؛ ترد كلمة الذهن في معجم (لسان العرب) بالمعاني التالية: «**الذهن: الفهم والعقل، والذهنُ أيضاً: حفظ القلب، وجمعها أذهان**»[4]. ويُشير الإمام الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسرّ العربية) إلى بعض الوحدات المعجمية التي تُحيل على الذهن وآلياته العقلية في باب (في الدهاء وجودة الرأي) بقوله: «**إذا كان الرجل ذا رأي وتجربة، فهو داهية، فإذا جال بقاع الأرض واستفاد منها، فهو باقِعة، فإذا نقّب في البلاد**

(١) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة: ص١٤١.
(٢) اللَّحاق: الإدراك.
(٣) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد، الإمتاع والمؤانسة: ج٢، ص٣٥.
(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٥، ص٦٤.

واستفاد العلم والدهاء، فهو نقّاب»[1].

ثالثاً: الإشارات في نصّ خطاب الإمام الحسين عليه السلام

قبل الخوض في هذا البحث لا بدّ من الكشف عن تجلّيات الشخصيّات في خطاب يوم عاشوراء، وبيان مجموعة من الإشارات التي نراها مهمّة في تكوين المسارات الذهنية في الخطاب المذكور، والغاية منها هي تحديد نمط الخطاب، وسيرورة المضمون المتجلّي فيه.

من الملاحظات التي تجسّدت في مضمون الخطاب هي الشخصية الرئيسة للإمام الحسين عليه السلام، بما مثّلته من كونها أقوى الشخصيّات المتحرّكة في المجتمع، وأشدّها نفوذاً، وأعظمها تأثيراً، ويمكن تحديد دورها المحوري من خلال المسارات الذهنية التي انطلق منها الإمام الحسين عليه السلام في خطاب يوم عاشوراء، ويتشكّل البعد الذهني (الإدراكي) في كلامه عليه السلام عبر اللغة الرصينة، ذات الإيحاءات الدينية والنفسية والآيدلوجية، وتذكيرهم بالنسل العظيم، أمثال: (وليّ الله، ابن بنت رسولكم، ابن وصيّه وابن عمّه، عمّي الحمزة، عمّي جعفر الطيّار صلوات الله عليهم أجمعين).

إنّ التنقّل بين مقاطع الخطاب أسهم في توسيع دائرة الأحداث والشخصيّات، ومن ثَمّ كانت طبيعة الخطاب مرتبطة بالموقف الاجتماعي والديني والسياسي؛ «**إذ جاءت النهضة الحسينية كضرورة حتمية في وقت انحرف الحكم الأُموي بالرسالة، فعمل الإمام الحسين عليه السلام على إعادة التوجيه إلى الخطّ المحمّدي، بافتعال صدمة قوية تقوم على التنبيه من الغفلة، وجعل الشهادة وسيلة لتركيز مفهوم الامتداد والبقاء الفعلي للرسالة المحمّدية**»[2].

(١) الثعالبي، عبد الملك بن محمد، فقه اللغة وسّر العربية: ص١٤٧.

(٢) إيمان يونس إبراهيم، الثورة الحسينية أيقونة الارتقاء الأخلاقي والإصلاح المجتمعي: مجلّة إشراقات تنموية، العدد ٢١، ص٣١٤.

إنّ البعد الذهني (الإدراكي) في الخطاب السردي تجلّى بشكل قويّ من خلال القوى الخطابية المتجلّية في شخصية الإمام الحسين عليه السلام، فهو عليه السلام أراد أن ينقذ أهل العراق من ظلم بني أُمية (لعنهم الله) وجورهم، مستعيناً بالخطاب السيميائي الذهني المحنّك الذي يدلّ على أنّه عليه السلام جاء لنشر الإصلاح؛ لأنّه كان «**من أعلام النهضة الفكرية والعلمية في عصره، وقد ساهم مساهمة إيجابية في نشر العلوم الإسلامية، وإشاعة المعارف والآداب بين الناس، وقد انتهل من نمير علومه حشدٌ كبير من الصحابة وأبنائهم...**»[1].

المبحث الثاني: تجلّيات سيميائية الذهن في خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

أوّلاً: نصّ خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

قال عليه السلام: «**أيّها النّاس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا، حتّى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتّى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النّصف، كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النّصف من أنفسكم، فأجمعوا رأيكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّةً، ثمّ اقضوا إلي ولا تنظرون. إنّ وليّي الله الذي نزّل الكتاب، وهو يتولّى الصالحين.**

ثمّ حمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله وعلى ملائكة الله وأنبيائه، فلم يُسمع متكلّمٌ قطّ قبله ولا بعده أبلغ في منطقٍ منه، ثمّ قال:

أمّا بعد، فانسبوني، فانظروا مَن أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي، وانتهاك حرمتي؟! ألست ابن بنت نبيّكم، وابن وصيّه، وابن عمّه، وأوّل المؤمنين، المصدّق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه؟! أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّي؟! أوليس جعفر الطيّار في الجنّة بجناحين عمّي؟! أولم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟! فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام: ج١، ص١٣٧.

ما تعمّدت كذباً منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم مَن لو سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي. أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!

فقالَ له شمرُ بنُ ذي الجوشن: هو يعبدُ الله على حرف إن كان يدري ما تقول، فقال له حبيبُ بنُ مظاهر: والله إنّي لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

ثمّ قال لهم الحسين عليه السلام: فإن كنتم في شكٍّ من هذا؛ أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم؟! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيٍّ غيري فيكم ولا في غيركم. ويحكم، أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟! فأخذوا لا يكلّمونه.

فنادى: يا شبث بن ربعي، يا حجّار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار، واخضر الجناب، وإنمّا تقدم على جند لك مجنّد؟!

فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن انزل على حكم بني عمّك؛ فإنّهم لن يروك إلّا ما تحبّ.

فقال له الحسين: لا والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد. ثمّ نادى: يا عباد الله، إنّي عذت بربّي وربّكم أن ترجمون، أعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب»[1].

ثانياً: المسارات الذهنية في الخطاب

يتّضح أنّ سيميائية الذهن تنبني على مجموعة من المسارات التي تحدّد البعد

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص ٩٧ـ٩٨. وأُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٢٢ـ ٣٢٣.

الذهني داخل الخطاب السردي الذي يشكّله خطاب يوم عاشوراء، ويمكن حصر هذه المسارات المشكّلة من الوحدات الدلالية الكبرى والصغرى في: (العقل، الفهم، التذكّر، المعرفة، المنطق، الثقافة، العلم، الكفاءة، الفطنة، الدهاء، الرأي...)، وهذا يعني: أنّ الذهن لدى المخاطب يرتبط بما هو ثقافي وسيكولوجي، ويقابل ما هو عاطفي وانفعالي ووجداني واستهوائي وكلامي ونفسي وحركي[1].

إنّ خطاب الإمام الحسين عليه السلام لم يقتصر على الجانب اللغوي والأُسلوبي فقط، بل تضمّن البعد الذهني (الإدراكي)؛ من خلال تجاوزه مستوى الجملة والفقرة إلى المضمون والمحتوى، ثمّ إلى البعد الإصلاحي الذي جاء فيه؛ لذا فإنّ تحليلنا للخطاب المتشكّل ضمن منهج سيميائية الذهن الذي «**يجب أن يراعي اجتماع الخصائص اللسانية، والقضايا الفكرية، والاعتبارات النفسية والبويطيقية والفنّية**»[2]، لكنّنا نعتقد أنّ تحليلنا لخطاب الإمام عليه السلام يجب أن يتجاوز البنية السطحية إلى البنية العميقة، حيث بؤرة النهضة الإصلاحية، اعتماداً على المستويات الأربعة التي يتشكّل منها البعد الذهني للخطاطة السيميائية[3] التي هي:

١: هوى ـ ذهن ـ كلام ـ فعل.

٢: فعل ـ ذهن ـ كلام ـ هوى.

٣: فعل ـ هوى ـ ذهن ـ كلام.

٤: فعل ـ هوى ـ كلام ـ ذهن.

---

(١) أُنظر: حمداوي، جميل، السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق: ص١٠٧ـ١٠٨.

(٢) الشبلي، حربي نعيم محمد، وغفران إقبال يوسف، خطب الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ لأبي مخنف الأزدي (ت١٥٧هـ).. دراسة في ضوء تحليل الخطاب: مجلّة العميد، المجلّد ١٠، العدد ٣٧، ص٢٧.

(٣) الخطاطة السردية: تمثيل مبسّط ومختصر لمختلف العمليات التحويلية الكبرى في مجرى السرد، منتظمة وفق البنية التالية: البداية، والوسط، والنهاية.

يتّضح من خلال المسارات الأربعة للخطاطة الذهنية (الإدراكية) أنّ الذات لا تتكلّم أو تعبّر عن انفعالاتها ومشاعرها إلّا بعد استعمال العقل والتفكير، وتجريب آليات الذهن، وإلّا فسيكون سلوك الفاعل سلوكاً عشوائياً ومضطرباً وغير مسؤول، ويعني هذا: أنّ الذهن قد يسبق الفعل والهوى والكلام الناطق والصامت، أو يتوسّطها، أو يتأخّر عنها[1]، «**والمقصود من هذا: أنّ الفاعل [في البعد الذهني] لا يمكن أن ينجز الأدوار داخل سياق نصّي ما، أو ضمن برنامج سردي، إلّا إذا تمّ تحفيزه وتطويعه من قبل المرسِل؛ نظراً لما يمتاز به الفاعل من قدرات وكفاءات ضمنية وظاهرة؛ ليقوم بأداء مجموعة من التجارب الصراعية الحاسمة؛ للحصول على الموضوع المرغوب فيه**»[2].

هذا؛ ومن خلال القراءة المتأنّية لمقاطع الخطاب الحسيني سنلاحظ المثل العليا، والأخلاق الرفيعة، والقول المحنّك، والبلاغة، والوعظ، والإرشاد، وما فيها من جوانب تربوية واجتماعية وسياسية واقتصادية، فمن خلال هذا الأُسلوب في الخطاب تبرز جدّية مطلبه عليه السلام المعزَّزة بلهجة قوية ذات وقع في أسماع المتلقّين[3].

ثالثاً: المسارات الذهنية للخطاب الحسيني

المسار الذهني الأوّل

«**أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتّى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النّصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النّصف من أنفسكم،**

(١) أُنظر: حمداوي، جميل، السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق: ص١٠٨ـ ١٠٩.

(٢) المصدر السابق: ص١٠٨.

(٣) أُنظر: الشبلي، حربي نعيم محمد، وغفران إقبال يوسف، خطب الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ لأبي مخنف الأزدي (ت١٥٧هـ).. دراسة في ضوء تحليل الخطاب: مجلّة العميد، المجلّد ١٠، العدد ٣٧، ص ٢٩.

فأجمعوا رأيكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّةً، ثمّ اقضوا إليّ ولا تنظرون، إنّ وليّي الله الذي نزّل الكتاب، وهو يتولّى الصالحين. ثمّ حمد الله، وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله وعلى ملائكة الله وأنبيائه، فلم يُسمع متكلّم قطّ قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه».

يُشير مقطع الخطاب المؤلّف من الدلالات السيميائية (فعل ـ ذهن ـ كلام ـ هوى) إلى أنّ «**المقاومة العملية ضدّ الظلم تعني: العمل بمختلف الوسائل والآليات الممكنة؛ لتغيير الواقع من الظلم إلى العدل، ومن الفساد إلى الإصلاح، ومن الجور إلى الإحسان، ومن انتهاك الحقوق إلى ضمانها والدفاع عنها**»[1].

يوضّح المقطع الآتي أهمّية التروّي والتأنّي في خطاب الإمام عليه السلام: «**أيّها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا، حتّى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتّى أعذر إليكم**»، فقد كان من حقّ الأُمّة التي تسرّب إليها ظلام الجهل والاستبداد أن يقف سيّد الشهداء عليه السلام صادحاً بالقول والوعظ والإرشاد للجموع المنتظرة، وذلك عبر استخدام أُسلوب النداء من خلال أداة النداء التي تُشير إلى مواجهة الإمام عليه السلام للمخاطَب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة مباشرة؛ وقد جاءت بعد النداء الجملة الفعلية (اسمعوا ـ لا تعجلوا)، وكان الغرض من هذا الفعل هو تهيئة القوم لسماع ما يريد قوله عليه السلام، وما يريد أن يعظهم به؛ لكونه إمام أُمّة، ومفترض الطاعة، ومن أهل البيت عليهم السلام.

أمّا موضوعة (الذهن) التي تجلّت في خطاب يوم عاشوراء، فقد جاءت بوصفها بُعداً ذهنياً، أي: إنّ الإمام الحسين عليه السلام اعتمد الحوار والمنطق والحجّة والنصيحة كأداة سليمة في خطابه للآخر؛ حيث كان هذا الخطاب ذا دور حيوي في الفهم الصحيح للمعرفة الدينية والدنيوية، ومبيّناً ما عليه عليه السلام من حقّ الأُمّة في الموعظة، كما جاء ذلك

(١) اليوسف، الشيخ عبد الله أحمد، الإمام الحسين ومبدأ العدالة الاجتماعية: ص٥١.

في قولـه عليه السلام: «**فـإن أعطيتموني النّصف كنتم بذلك أسـعد، وإن لم تعطـوني النّصف من أنفسكم، فأجمعوا رأيكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّةً، ثمّ اقضوا إلي ولا تنظرون**».

يتجـلّى البعـد الذهني (الإدراكي) الذي تجسّـد في خطـاب الإمام عليه السلام من خلال الوحـدات الدلاليـة الصغرى المتمثّلـة في الانتباه والدهاء والتفكـير والنفس المفكّرة التـي زجّهـا الإمام عليه السلام بين الجملة الدعائية؛ لغرض جلب انتبـاه المتلقّي، إي: إنّه عليه السلام عمل على بناء القيم العليا في كلّ مجالاتها الاجتماعية والفكرية والنفسـية والسـلوكية بطريقة متعايشة ومحبّة للآخرين.

أمّـا موضوعـة (الـكلام)، فقـد تجسّـدت في قولـه عليه السلام: «**إنّ وليّي الله الـذي نزّل الكتـاب، وهو يتـولّى الصالحين**»، **وكأنّ الإمام عليه السلام في هذا الخطاب لا يريدهم أن يبتعدوا عـن الإسـلام؛ «لأنّ المنظومـة الحسـينية منظومـة عقديـة تشريعية مشـبعة بالإيـمان بالله تعـالى، المتمثّـل بطاعة وإقامة حدوده من أجل الإنسـان الذي اسـتخلفه، واسـتعمره في الأرض**»[1]، بـل يسـعى عليه السلام إلى تقريبهـم بمنتهى الجذب، وهذا ما جسّـدته جملة (إنّ وليّـي الله)؛ لأنّـه عليه السلام يحذّرهم من انهيار المبادئ الإسـلامية في حالـة عدم خضوعهم لدعوة تكون فيها كلمة الله هي العليا[2].

أمّا موضوعة (الهوى) فقد جسّدها عليه السلام في المقطع: «**ثمّ حمد الله، وأثنى عليه، وذكر الله بـما هو أهلُـه، وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله وعـلى ملائكة الله وأنبيائه، فلم يُسـمع متكلّم قطُّ قبلـه ولا بعـده أبلـغ في منطق منه**»؛ إذ يكشـف نصّ هـذا الخطاب عـن محطّات مهمّة كانت غايتها الأساسـية إظهار الحالات الاستهوائية الكامنة في النصّ، وهي محطّات اسـتطاعت أن تبيّن رؤية الإمام الحسـين عليه السلام للعالم، وهو عالم مسكون بهاجس الأرق

(١) إيمان يونس إبراهيم، الثورة الحسينية أيقونة الارتقاء الأخلاقي والإصلاحي المجتمعي: مجلّة إشراقات تنموية، العدد ٢١، ص٣١٠.

(٢) أُنظر: يوسف جعفر سعادة، الجهاد بين النظرية والتطبيق من خلال ثورة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ص٤١.

والقلق والخوف من الحاضر، والرعب من المستقبل[1]، وكأنّه عليه السلام أشار بشكل واضح إلى وجوب التصدّي للحاكم الجائر، وهذا ما ينطوي على تأصيل الوعي المتزايد الذي يمتلكه الإمام عليه السلام.

المسار الذهني الثاني

«أمّا بعد فانسبوني، فانظروا مَن أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟! ألست ابن بنت نبيّكم، وابن وصيّه، وابن عمّه، وأوّل المؤمنين المصدّق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه؟! أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّي؟! أوليس جعفر الطيّار في الجنّة بجناحين عمّي؟! أولم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟! فان صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعمّدت كذباً منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم مَن لو سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي. أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!».

تتجلّى في المقطع المذكور آنفاً الوحداتُ الدلالية الكبرى (هوى ـ ذهن ـ كلام ـ فعل) التي يتشكّل منها البعد الذهني (الإدراكي) للفاعل (الإمام الحسين عليه السلام)؛ حيث نلاحظ دلالة الخطاب السيميائي الذهني في مقطع خطاب يوم عاشوراء للإمام عليه السلام، بدأ بموضوعة (الهوى)، والهوى هنا كما يقول جاك دريدا: «**لا تعود الأهواء في حقيقتها إلى تلك الحالات النفسية المرافقة لأنشطة عقلية، وكأنّها تتحكّم بها، بقدر ما تبدو موضوع النشاط النفسي من جهة الوعي بها، بوصفها موضوعات للعقل كذلك**»[2]؛ إذ أراد الإمام عليه السلام أن يوضّح حقيقة صدق المبدأ الذي جاء من أجله من

(١) أُنظر: ربابعة، موسى، سيمياء العواطف.. قراءة في قصيدة (نام الخلي) للأسود بن يعفر: مجلّة الجامعات العربية للآداب، المجلّد ١٥، العدد ١، ص ٣٢٧.

(٢) جاك دريدا، انفعالات: ص١١٠.

خلال الإشارات الاستهوائية والانفعالية التي حملها النصّ، وما يتخلّلها من الموروث الديني والنسب الطاهر لهعليه السلام، وهذا ما تجلّى بشكل واضح في الألفاظ والمعاني والصورة التي رسمهاعليها السلام، والتي تساعد السامعين على فهم مضمون كلامه ونسبه الطاهر، خلال قولهعليه السلام: «**أمّا بعدُ فانسبوني، فانظروا مَن أنا، ثمّ ارجِعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟!**». فلم يكن الإمامعليه السلام مستعدّاً للتنازل والاستسلام تحت أيّ ظرف كان؛ لذلك استعمل موضوعة الهوى الممتزجة بالوعي الذهني، عسى أن يهتدي القوم إلى السير مع ركبه المبارك.

لينتقل بعد ذلك الحديث السيميائي إلى الوحدة الدلالية الأكثر تأثيراً، ألا وهي استشارة العقل والذهن والمنطق والنفس المفكّرة التي تتجلّى في موضوعة (الذهن)، وما يشي فيها من دلالات البعد الذهني و(الإدراكي) المتجسّدة في قول الإمام الحسينعليه السلام: «**ألست ابن بنت نبيّكم، وابن وصيّه، وابن عمّه، وأوّل المؤمنين المصدّق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه؟! أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّي؟! أوليس جعفر الطيّار في الجنّة بجناحين عمّي؟! أولم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟!**»؛ حيث تحمل الدلالات الذهنية عمق تحديد نوع المعلومات التفكيرية والإدراكية التي يدركها الإمام الحسينعليه السلام من خلال الصياغة اللغوية القائمة على الاستفهام المتجسّد بخطاب إقناع المتلقّين.

كما «**استحضر الإمام الحسينعليه السلام رمزية جدّه رسول اللهصلى الله عليه وآله في خطاباته، وأخذ يُذكّر القوم بانتمائه نسباً وديناً لرسول اللهصلى الله عليه وآله، ممّا يستدعي منهم أن يراعوا تلك الصلة، وذلك الانتماء؛ لذلك خاطب جيش بني أُمية**»[1] بأساليب لغوية ونحوية شتّى، منها أداة الاستفهام (الهمزة)، فهي أداة تدعم موقفه، وتعزّز مقامه، وتقيّد وتُحجّم أعداءه؛ لتمكّنه من النصر، والالتفاف حوله؛ لتولّيه أُمور المسلمين، ممّا ألجأهعليه السلام إلى تكرار الاستفهام.

(١) الشبلي، حربي نعيم محمد، وغفران إقبال يوسف، خطب الإمام الحسينعليه السلام في واقعة الطفّ لأبي مخنف الأزدي: مجلّة العميد، المجلّد ١٠، العدد ٣٧، ص٣٣.

ونبرة الاستفهام جاءت لتدلّ على أُسلوب الخطاب الذي أراد به إفهام المتلقّين، من خلال البعد الذهني المتمثّل في تذكيره القوم بنسبه الطاهر؛ لأنّ الحسين الشهيد عليه السلام تربّى في حجر الرسول صلى الله عليه وآله، وتخرّج في مدرسته؛ فقد أصغى إلى كلام جدّه صلى الله عليه وآله؛ ليستلهم ما أُوحي إليه، ويشنّف به سمعه. هكذا نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى الأُمّة بهذا اللحاظ، فهي أُمّة جدّه، وهو أكثر مَن يستشعر بأنّهم رعيّة له، وأنّه مسؤول أمام الله عن رعايتهم، والسهر على مصالحهم، والدفاع عنهم[1].

لينتقل بعد ذلك إلى موضوعة (الكلام) كما في قوله عليه السلام: «**وإن كذّبتموني؛ فإنّ فيكم مَن لو سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي**»؛ إذ توضّح الملفوظات الذهنية صفات أبي الأحرار؛ حيث إنّه كان شديد الرأفة بالناس، وهو يحثّهم على تصديق قوله، والاهتداء إلى طريق الحقّ؛ إذ يمدّ يده إلى كلّ ذي حاجة.

هذا النمط من الخطاب ينقلنا من المسار الذهني إلى موضوع (الكلام) حيث سيادة الإشارات السيميائية المتجسّدة بالجمل الفعلية والإسمية التي استخدمها الإمام الحسين عليه السلام في كلامه مع الأعداء، من خلال الجملة الشرطية (المقابلات الشرطية)؛ لأنّها تتّخذ من أُسلوب الشرط صورة لها، ولعلّ الإمام عليه السلام أراد أن يوضّح ـ من خلال البعد الكلامي ـ انقسام المسلمين إلى صنفين، الأوّل: مَن كان مع دعوة الإمام الحسين عليه السلام وجيشه القليل إلى نصرة الدين، والآخر: هو الجيش المعادي الذي يحاول التغلّب على الإمام عليه السلام[2].

(١) أُنظر: محمد جواد وعمّار باسم، أُسس النهضة في الثورة الحسينية، كلّية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الأربعين المباركة: السنة الخامسة، المجلّد٥، العدد٢، ص٣٧٦.

(٢) أُنظر: محسن تركي عطية، خطبتا الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطفّ دراسة أُسلوبية: مجلّة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلّد ١١، العددان ١ـ ٢، ص٩.

لينتقل إلى موضوعة (الفعل) وتحقيق التجربة الدينية، من خلال التواصل وإرضاء الميول الذهنية للمتلقّين من المسلمين والأعداء منهم، كما جاء في نصّ خطاب يوم عاشوراء: «**أمَا في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!**»؛ إذ يوضّح لنا المقطع المذكور أنّه عليه السلام قد توصّل في خطابه مع الأعداء إلى أنّ سفك دمه الطاهر سبيل إلى خلاص الأُمّة من الظلم والجور، وهذا ما تجلّى في موضوعة الفعل.

كما أنّ الإمام عليه السلام ربط الشهادة بالفتح، فليس الفتح هو التغلّب على الأعداد والانتصار عليهم عسكرياً، إنّما الفتح له مفهوم حضاري، فالصراع في كربلاء لم يكن بين رجلين، ولا بين جيشين، إنّما هو بين عقيدتين وفكرتين ومبدأين؛ لذلك رأى عليه السلام سفك دمه الزكي سبيلاً إلى خلاص المسلمين عبر العصور، ولولا شهادته الطاهرة وتضحيته بنفسه وعياله لما رُفِعَ الغطاء الديني المزيّف عن بني أُمية لعنهم الله[1].

المسار الذهني الثالث

كان للحرب النفسية موقع مؤثّر في واقعة الطفّ بصورة عامّة، وفي المجتمع الكوفي بصورة خاصّة؛ إذ رسمت لها مستقبلاً مرعباً ومخيفاً إزاء تباين الآراء بين أفراد المجتمع الكوفي وجيش بين أُمية بقيادة ابن سعد (لعنهم الله) في موقف الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحي[2]، فجاء في المقطع التالي الوارد في ضمن خطاب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء: «**فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول**».

وهنا نلاحظ موضوعة الفعل المتلبّس بهوى الغشم والتيه في كلام شمر لعنه الله؛ فإنّه يحاول أن يجعل من الإمام عليه السلام شخصاً آخر لا يدرك تعاليم الدين والمبادئ

(١) أُنظر: رسول عيسى مهدي، إشراقات النهضة الحسينة، مجلّة الكلّية الإسلامية الجامعة: العدد ٤٣، ج٥، ص٣٩٦.

(٢) أُنظر: عماد الدين باقي، علم اجتماع الثورة الحسينة والمجتمع الكوفي: ص٣٢.

الإسلامية، ولا يعرف جيّداً عبادة الله سبحانه وتعالى، وحاشا لسيّد الشهداء عليه السلام من هذا الكلام المبعثر وغير المرتبط بالوعي والتفكّر.

وبناءً على هذا جاء الردّ على هذا اللعين في قول حبيب بن مظاهر: «**والله، إنّي لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك**». فالبعد الذهني المتشكّل بموضوعة (الكلام) للصحابي الجليل حبيب بن مظاهر، والاحتكام إلى لغة العقل والمنطق والذهن لتقويم التجربة، والحكم على شمر بن ذي الجوشن بأن لا دين له ولا مذهب، يمثّل الدلالات السيميائية للمقطع الخطابي. كما أنّ هناك اقتباساً غير تامّ من القرآن الكريم، وهو عبارة: (**قد طبع الله على قلبك**)، قد وظّفه الصحابي الجليل، وأدخله في ردّه على شمر اللعين، ولا يخفى ما لهذا الأُسلوب من تأثير في واقع نفوس المقاتلين والسامعين.

المسار الذهني الرابع

ثمّ قال لهم الإمام الحسين عليه السلام: «**فإن كنتم في شكٍّ من هذا، أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم؟! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيٍّ غيري فيكم ولا في غيركم. ويحكم، أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟! فأخذوا لا يكلّمونه. فنادى: يا شبث بن ربعي، يا حجّار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار، واخضر الجناب، وإنّما تقدم على جند لك مجنّد؟! فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن انزل على حكم بني عمّك؛ فإنّهم لن يروك إلّا ما تحبّ. فقال له الحسين: لا والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد. ثمّ نادى: يا عباد الله، إنّي عذت بربّي وربّكم أن ترجمون، أعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب**».

يُربّي الإمام الحسين عليه السلام النفس الإنسانية على أُسلوب الرغبة في الله تعالى حينما يكون الباعث والمحرّك في قضاء حاجتها هو الإصلاح؛ فإنّ الاستبداد والتجبّر

وغياب الحرّيات العامّة من أهمّ الأسباب التي ساهمت في نهضة الإمام الحسين عليه السلام، مضافاً إلى حقوق الإنسان الأساسية التي هي نوع من أنواع العدل الإنساني. ومن هنا؛ يمكن المتابع رصدُ عدالة الإمام الحسين عليه السلام في خطاب يوم عاشوراء؛ إذ كانت واضحة جدّاً من خلال محاولة هداية الجانب المعادي إلى طريق الإصلاح، وتخليصه من غياهب الجهل والجور[1].

قال الإمام الحسين عليه السلام: «**فإن كنتم في شكٍّ من هذا، أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم؟! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيٍّ غيري فيكم ولا في غيركم. ويحكم، أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟!**». تتجلّى في المقطع الخطابي دعوة إلى تصديق قوله عليه السلام؛ لأنّه هو الحقّ، وهو الواقع الذي لا خلاف فيه، هذا ما يؤكّده أُسلوب القسم (فوالله)، وطريقة تركيبه في المقطع الدعائي؛ حيث كان قسمه عليه السلام بالذات المقدّسة (الله) حصراً؛ للمنزلة العظمى التي تحتلّها هذه الذات في شخصيّته عليه السلام.

وفي الخطبة الحماسية هذه استعمل الإمام الحسين عليه السلام اليمين لغاية أُخرى، وهي هجاؤهم وتوبيخهم بعد أن تأكّد مكرُهم، وخبثت سرائرهم، فأراد عليه السلام أن يكشف عنها في أقلّ تقدير[2]، وهذا ما تشكّل في قوله المبارك: «**فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيٍّ غيري فيكم ولا في غيركم**».

ومن ثَمّ ينادي الإمام الحسين عليه السلام القوم قائلاً: «**يا شبث بن ربعي، يا حجّار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار، واخضر الجناب، وإنّما تقدم على جند لك مجنّد؟! فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما**

(١) أُنظر: محمد جواد جاويد وخالد كاظم عودة، فلسفة النهضة الحسينية ومقارنتها بالأنظمة العالمية في حقوق الإنسان: مجلّة جامعة ذي قار، المجلّد ١٤، العدد ١، ص ٢١٩.

(٢) أُنظر: محسن تركي عطية، خطبتا الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطفّ دراسة أُسلوبية: مجلّة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلّد ١١، العددان ١ـ ٢، ص ٩٢.

تقـول، ولكن انزل على حكم بني عمّك؛ فإنّهـم لن يروك إلّا ما تحب»، فإنّ هذا الكلام الـذي فيـه انتقال مـن الخطاب العـامّ إلى الخطاب الخاصّ لأشـخاص معيّنين، يحمل بُعداً استهوائياً ذا وعي فكري لا يقدر عليه سوى القائد المتميّز، وهذا ما تمّ رصده في خطـاب الإمام عليه السلام لهؤلاء القوم، فهو عليه السلام بعد عدم اسـتجابتهم لخطبته الطاهرة عمد إلى إلقـاء الحجّـة والموعظة عليهم بما هو حقّ لهم عليه بصـورة خاصّة، إلّا أنّ هواهم اسـتحوذ عليه الشـيطان، فأنسـاهم ما سـمعوا وما فعلوا، وأغفلهم عنه، ولم يعرفوا سوى لغة الحرب[1].

وهنا يردّ الإمام الحسـين عليه السلام على هؤلاء القوم قائـلاً: «**لا والله، لا أُعطيكم بيدي إعطـاء الذليـل، ولا أفـرّ فرار العبيـد**»؛ فإنّ موضوعـة (الكلام) في هـذا المقطع تحمل الـدلالات النحوية واللسـانية التي تُشـير إلى بنية خطابية فيها دلالـة الغضب والقوّة والشـجاعة في الوقت نفسـه، فبهـذه الإرادة الصلبـة قابل عليه السلام الشرك، واسـتطاع أن يتغلّب على مجريات الأحداث.

هكـذا وقف سـبط آل محمّد صلى الله عليه وآله العظيـم في وجه الحكم الأُمـوي، فقد أعلن بلا تـردّد رفضـه لبيعة يزيد (لعنه الله)[2]؛ لأنّه عليه السلام لم يخرج بنفسـه وعيالـه لمبايعة يزيد بن معاويـة (لعنـه الله)، بل جاء ليخلّص الأُمّة من جوره وفسـاده؛ لذلك نلاحظ تكرار أداة النفـي في كلامـه ثـلاث مـرّات (لا)، وهو يدلّ عـلى البعد الذهنـي (الإدراكي) المتشـكّل في كلامه، فممّا لا شـكّ فيه أنّ هذا التكرار يُشـير إلى دلالـة التوكيد، وقوّة نفي ما أُريد منه عليه السلام.

وأخـيراً ورد عنه عليه السلام: «**يا عبـاد الله، إنّي عذت بربّي وربّكـم أن ترجمون، أعوذ بربّي وربّكـم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحسـاب**»، وهذا النـصّ الخطابي المتضمّن للقرآن

(١) أُنظر: عبد الكاظم محسن الياسري، تأمّلات في خطاب الإمام الحسين عليه السلام في جيوش الأعداء يوم عاشوراء: الموقع الإلكتروني: http: / /imamhussain-lib.blogspot.com

(٢) أُنظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام: ج١، ص١١٢.

الكريم يؤكّد مدى الفطنة التي أعملها الإمام الحسين عليه السلام من خلال موضوعة (الذهن)؛ إذ تُحيل دلالة أداة النداء (يا) إلى أُسلوب إيقاظ المنادى من غفلته، وتنبيهه إلى خطابه المبارك الذي يتعرّض عليه السلام فيه كثيراً لتوحيد الله، فأراد من خلال ذلك أن يُلقي الحجّة عليهم؛ لأنّه عليه السلام كان في طليعة العارفين بالله، وكان عظيم الخوف منه، شديد الحذر من مخالفته، كما يوضّح ذلك النصّ الخطابي: «**أعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب**».

الخاتمة

١ـ شكّل التطوّر النقدي الحديث في المنهج السيميائي دوراً مهمّاً في اكتشاف اتّجاهات جديدة تتناول الذات البشرية، وما يعتريها من تغيّرات واختلافات بيولوجية، فسيميائية الذهن تُعدّ فرعاً من السيميائية الحديثة التي أشار إليها الباحث المغربي جميل حمداوي، والتي تدرس البعد الذهني المشكَّل في بؤرة الخطاب السردي، كما أوضحت الخطاطة الذهنية لسيميائية الذهن أنّ عملية الكلام تتشكّل من وحدات دلالية كبرى وصغرى، تسير عبر أربعة مسارات ذهنية متمثّلة في النصّ السردي للخطاب، تمّ عرضها وعرض تطبيقاتها من خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

٢ـ شكّل خطاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ثورة إصلاحية، ومدخلاً ثقافياً للمسلمين في أنحاء العالم كافّة، كما تُعَدّ هذه النهضةُ الأكبر والأنجح على مرّ التاريخ؛ لكونها بُنيت على أُسس دينية إصلاحية في غاية الأهمّية؛ لتحقيق النهضة، وإيقاظ الأُمّة من الجهل والغفلة، وخلاصها من الحكومة المستبدّة التي سيطر عليها بنو أُمية لعنهم الله.

المصادر والمراجع

١ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢ـ أُسس السيميائيات، دانيال تشاندلر، ترجمة: طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٨م.

٣ـ أُسس النهضة في الثورة الحسينية، محمد جواد، وعمّار باسم، كلّية العلوم الإسلامية/ جامعة بغداد، وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الأربعين المباركة، السنة الخامسة، المجلّد الخامس، العدد الثاني، ٢٠١٩م.

٤ـ إشراقات النهضة الحسينة، رسول عيسى مهدي، مجلّة الكلّية الإسلامية الجامعة، العدد الثالث والأربعون، الجزء الخامس.

٥ـ الإمام الحسين ومبدأ العدالة الاجتماعية، الشيخ عبد الله أحمد اليوسف، الطبعة الأُولى، ٢٠١٨م.

٦ـ الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان علي بن محمد التوحيدي، المكتبة العصرية، لبنان ـ بيروت، ٢٠١١م.

٧ـ انفعالات، جاك دريدا، ترجمة: عزيز توما، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ـ اللاذقية، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٥م.

٨ـ البلاغة وتحليل الخطاب، حسين خالفي، دار الفارابي، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠١١م.

٩ـ تاريخ الأُمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان ـ بيروت.

١٠ـ الثورة الحسينية أيقونة الارتقاء الأخلاقي والإصلاح المجتمعي، إيمان يونس إبراهيم، الجامعة المستنصرية / كلّية التربية الأساسية، مجلّة إشراقات تنموية، العدد الواحد والعشرون.

١١ـ الجهاد بين النظرية والتطبيق من خلال ثورة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، يوسف جعفر سعادة، منشورات ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأُولى، ١٩٨٧م.
١٢ـ حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام دراسة وتحليل، الشيخ باقر شريف القرشي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
١٣ـ الدرس البلاغي العربي، لخذاري سعد، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠١٧م.
١٤ـ سيمياء المسرح (سيميائية العنوان ـ سيميائية الشخصيّات ـ سيميائية المكان)، منير الزامل، دار مؤسّسة رسلان، الطبعة الأُولى، ٢٠١٤م.
١٥ـ السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، دار الحوار، سوريا ـ اللاذقية، الطبعة الثالثة، ٢٠١٢م.
١٦ـ السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، جميل حمداوي، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، المملكة المغربية، الطبعة الثانية، ٢٠٢٠م.
١٧ـ الصورة الذهنية (دراسة في تصوّر المعنى)، سمير أحمد معلوف، مجلّة جامعة دمشق، المجلّد السادس والعشرون، العدد الأوّل والثاني، ٢٠١٠م.
١٨ـ عالم الفكر، سعيد بنكراد، المجلّد الخامس والثلاثون، العدد الثالث، دولة الكويت، ٢٠٠٧م.
١٩ـ علم اجتماع الثورة الحسينة والمجتمع الكوفي، عماد الدين باقي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٧م.
٢٠ـ فقه اللغة وسرّ العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار الكتب العلمية، لبنان ـ بيروت.
٢١ـ فلسفة النهضة الحسينية ومقارنتها بالأنظمة العالمية في حقوق الإنسان، محمد جواد جاويد، جامعة طهران، وخالد كاظم عودة، جامعة ذي قار، مجلّة جامعة ذي قار، المجلّد الرابع عشر، العدد الأوّل، ٢٠١٩م.
٢٢ـ لسان العرب، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقي، دار صبح، لبنان ـ بيروت، وإديسوفت، الدار البيضاء، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٦م.
٢٣ـ مدخل إلى السيميولوجيا، عبيدة صبطي ونجيب بخوش، دار الخلدونية،

الجزائر ـ القبة القديمة، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٩م.
٢٤ـ معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠١٠م.
٢٥ـ موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، مكتبة لسان العرب، لبنان ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٨٤م.

المجلات

١ـ خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر (مقاربة في بعض أعمال يوسف أحمد)، وذناني بوداود، مجلّة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر ـ ولاية ورقلة، عدد خاصّ بالملتقى الدولي الثالث لتحليل الخطاب، ٢٠٠٧م.
٢ـ خطب الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ لأبي مخنف الأزدي (ت ١٥٧) دراسة في ضوء تحليل الخطاب، حربي نعيم محمد الشبلي، وغفران إقبال يوسف، مجلّة العميد، العتبة العبّاسية المقدّسة، كربلاء المقدّسة، المجلّد العاشر، العدد السابع والثلاثون، ٢٠٢١م.
٣ـ خطبتا الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطفّ.. دراسة أُسلوبية، محسن تركي عطية، كلّية التربية/ جامعة كربلاء، مجلّة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلّد الحادي عشر، العددان الأوّل والثاني، ٢٠٠٧م.
٤ـ سيمياء العواطف.. قراءة في قصيدة (نام الخلي) للأسود بن يعفر، موسى ربابعة، مجلّة الجامعات العربية للآداب، المجلّد الخامس عشر، العدد الأوّل، ٢٠١٨م.

الموقع الإلكترونية

١ـ الاتّجاهات السيميوطيقية، جميل حمداوي، شبكة الألوكة: www.alukah.net
٢ـ عبد الكاظم محسن الياسري، تأمّلات في خطاب الإمام الحسين عليه السلام في جيوش الأعداء يوم عاشوراء: الموقع الإلكتروني:
http: / /imamhussain-lib.blogspot.com

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية